تعرية الليبرالية

وأساليبها الماكرة من فكر أستاذها

قاسم أمين.

الماكر المفتون

أحمد فرج

تعرية الليبرالية

وأساليبها الماكرة من فكر أستاذها
قاسم أمين.

الماكر المفتون

أحمد فرج

حقوق الطبع والنشر مكفولة لكل مسلم بشرط عدم تغيير أو تبديل أو إضافة في أصل الكتاب.

إهـــداء

إلى زوجتي ...

إلى أختي ...

إلى ابنتي ...

إلى أبنائي ...

إلى كل مسلمة

وإلى كل مسلم

أهديكم هذا الكتاب...

أحذركم فيه مكر شياطين الإنس بعقولكم ومشاعركم وخداعكم بـ "**زخرف القول**"

قال الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 12)

إن مثل قاسم وما اختطه في كتابه كمثل رجل أرغى وأزبد وأطال وأطنب في إقناعك بأن الحفاظ على صحتك بحسن التغذية هو الأصل للحفاظ على الصحة، وصدق، ولكن لك أن تتخيل أنه يريد بذلك أن يقنعك أنه حينئذ لا ضرورة للاحتياط بالثياب في الشتاء، ويزيد على ذلك بأن عليك في الصيف أن تتحرر من كل الثياب ليتعرض جلدك للشمس لما في مخالطة الشمس من فائدة!!!

هذا بالضبط ما نسجه قاسم أمين من أوهام ركبها في عبارات منمقة خادعة للعقول التي ضعف فيها التمسك بأحكام الله وأخلاق الإسلام.

النهضة...،

الحداثة...،

التنوير...

ثلاث ملاعق براقة يخادع بها الليبراليون الناس ويمنوهم أنهم بها سيأكلون شهدا... ولكنها في الحقيقة ملاعق يستعملونها لنبش الأرض من تحت أرجلهم حتى يسقطوا معهم في فسادهم وانحراف أخلاقهم وفسقهم عن دين الله.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، محمد صلى الله عليه وسلم

وبعد

فإن الأمة الإسلامية وصلت إلى حالة من الضعف الشديد في أواخر القرن التاسع عشر، ولم تستيقظ إلا على وقع أقدام الاستعمار الصليبي الحديث، الذي بدأ مع الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801م)، وحاولت الأمة إدراك ما فاتها من العلوم الحديثة عن طريق البعثات العلمية إلى أوروبا، فبدأ المبتعثون في ظل الانبهار بالحضارة الأوروبية المادية الناشئة يشربون من الثقافة الأوروبية، ويتأثرون بالمفكرين الغربيين وأفكارهم، ومنها الأفكار العلمانية والليبرالية، فعادوا يحملون تلك الأفكار مع شهاداتهم العلمية التي أوبأتهم مكانة اجتماعية مرموقة جدا في المجتمع آنذاك، مع ثقافة عالية لكنّها خالية من أي علم بعقيدة الإسلام وقيمه وأصوله، فتصدّروا لإصلاح الأمة حسب عقولهم التي فتنت بالغرب.

وجهلا بالإسلام وبتاريخ الإسلام وتقليدا أعمى للغرب عاد هؤلاء، ومن ضمنهم "قاسم أمين"إلى بلاد الإسلام، وهم يريدون منا أن ننحي شأن الدين جانبا مثل أوروبا، ويرون إخراج الدين من كافة نواحي الحياة لينظموا هم كافة شؤونها. وقد انقسموا إلى علمانيين يدعون إلى فصل الدين عن الدولة صراحة وعدم إدخاله في شئون الحياة، وليبراليين يرون أن حرية الفكر هي أساس النهضة والتقدم، فيجب إطلاق حرية الفكر بلا قيد في كل شيء بما في ذلك الدين، بما يعني أن لا ثوابت في الدين ولا أحكام ولا حدود إلا ما تقرره العقول والأفكار.

وكلاهما " العلمانية والليبرالية" يرون الدين العائق الأول أمام التقدم والنهضة، تبعا لتلك الأفكار التي أُشربتها عقولهم من الغرب، الذي كانت تحكمه الكنيسة ذات يوم، والتي كانت مع الحكام الفاسدين والنبلاء سببا في فقر وقهر وجهل أوروبا قرونا طويلة.

ولكن أين ذلك من الإسلام الذي كان وعلماؤه سندا لكل علم نافع تعمر به الأرض، ويرتقي به الإنسان، وكان جل علماء الاسلام سندا للشعوب ضد الحكام الظالمين وطغيانهم، وتاريخ الإسلام يمتلأ بذلك بما لا يستطيع إنكاره حتى ألد أعدائه.

ولكن قاسم والليبراليين لم يفهموا ذلك، ولا يريدون أن يفهموه، ولا يريدون إلا اتباع أهوائهم، والدعوة إلى أفكارهم، فتصدروا للإصلاح، وهم أنفسهم محتاجون إليه، وتبعتهم الأمة بسبب ضعف العقيدة في قلوب الناس آنذاك، وعدم قدرة العلماء على تعريتهم أمام المسلمين، وتعرية أفكارهم المنحلة من قيم الإسلام وعقيدته، فكان من جراء ذلك أن تاهت الأمة وراءهم، فابتعدت عن دينها، وتردت أكثر في الجهل والفقر والذل.

ولذلك كان لا بد من إصدار كتاب لتعرية هؤلاء الذين ضلوا وأضلوا الأمة وما زالوا، فرأيت أن أفضل وسيلة لتعريتهم هو تعرية فكر أستاذهم ورائدهم "قاسم أمين"، وكشف أساليبه الخبيثة التي خدع بها الناس، والتي ما زال يستخدمها الليبراليون إلى يومنا هذا لتضليل الأمة.

وأنا لست هنا بصدد مناقشة أفكار الكتاب والرد عليها، ولا بالرد على أخطائه الفقهية وتصحيحها، وإن كان هذا مما دعت إليه الحاجة خلال تعرية الكتاب، ولكن الهدف القائم عليه الكتاب هو كشف وتعرية أساليب الخبث والخداع التي انطوى عليها كتاب "قاسم أمين" أستاذ الليبراليين، ثم تطبيق ذلك عليهم اليوم، لأنهم ما زالوا يستعملون نفس الأساليب، وهم المستهدفون بتعريتهم وفضح أفكارهم وكشف أساليبهم من وراء هذا الكتاب وليس قاسم أمين.

ومنهجي في الكتاب هو ما تعلمته من القرآن الكريم في التعامل مع المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلقد ظل القرآن الكريم يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفات المنافقين وأفعالهم في كل موقف وحادثة ليفضحهم، والله قادر على تعريفهم جميعا بأسمائهم وأعينهم للمؤمنين، وأن يأمر رسوله بإخراجهم من المدينة فينتهي أمرهم مرة واحدة، ولكن ماذا يفعل المسلمون بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، وكيف يعرفونهم عند ظهورهم مرة أخرى وهم من بني جلدتهم إن لم يكونوا على علم بصفاتهم ومواقفهم التي تكشف عنهم بجلاء، وإن لم يكونوا على علم بحقيقة ما تنطوي عليه قلوبهم عن الإسلام وشريعته؟

هذا وقد بنيت لَبِنات الكتاب في تسعة فصول سبقتها بمقدمة وتمهيد، وتبعتها بخاتمة، تحدثت في الفصلين الأولين لماذا الآن وبعد مضي أكثر من مائة عام أكتب عن "قاسم امين" وكتابه تحرير المرأة ؟!!، وألحقت به الحديث عن فتنة العصر التي وقع فيها قاسم وأشباهه، وكشفت في الفصل الثالث عن حقيقة فكر "قاسم أمين" التي أخفاها في كتابه في خبث شديد، وحقيقة مراده منها، وهو عين فكر الليبراليين الحقيقي،

وضمنت لبّ الكتاب في الفصل الرابع فتحدثت عن طرق وأساليب الخداع التي إتبعها الذئب المراوغ قاسم أمين من أجل تضليل الناس فذكرتها أولا إجمالا، ثم أفضت ثانيا في الحديث عنها تفصيلا، ثم كان الفصل الخامس والسادس والسابع عن الزواج والتعدد والطلاق للرد على نفس الموضوعات التي أثارها قاسم أمين في كتابه لكشف المكر الذي بثه فيها، ثم كان الفصل الثامن والتاسع عن الدين الليبرالي وشؤمه، وشؤم الليبراليين على العباد والبلاد.

والكتاب وإن كان متوسط الحجم، فإني أرجو من الله للقارئ إن ضاق وقته ألا يعجز عن قراءة الفصول الأربعة الأُول مع آخر فصلين من الكتاب، وإن كنت على ثقة أن القارئ إن أنهى قراءة التمهيد فلن يترك الكتاب حتى ينهيه كله، لِهول ما سيقرأ عن المكر والخداع والغش الذي بثّه قاسم في كتابه، والذي هو نبراس الليبراليين من بعده إلى اليوم في بث أفكارهم بنفس الأساليب الملتوية والماكرة التي علمّها لهم قاسم أمين.

وبالله التوفيق

أحمد فرج

تمهيد

لماذا الآن؟

إذا كان قاسم أمين مات منذ أكثر من مائة عام، وواقع دعوته إلى تحرير المرأة وترك حجاب الوجه أصبحت تتوارى خجلا أمام الواقع الذي وصلت إليه المرأة الآن في كثير من دول المسلمين. بل أصبح الليبراليون الذين يذكرون قاسم أمين كرائد من روادهم لا يدعون إلى قراءة كتابه، لأن ما جاء فيه يعتبر واقعا متحفظا بالنسبة إلى ما يدعون إليه اليوم، وبالنسبة إلى واقع كثير من دول الإسلام، ومنها مصر التي ظهر فيها قاسم أمين، فلماذا إذاً أخط هذه السطور؟

الحقيقة أنني كنت أبحث في أساليب الليبراليين وطرق خُدَعِهم في تغيير أفكار المجتمع، وهالني ما وجدته من مكرهم وخبثهم في بث أفكارهم، ولكن برغم كل هذا المكر والخبث فإنه من السهل كشفه لمن يملك بعض الشك في نواياهم، أو كان على علم ودين متين.

واكتشفت أنه بالرغم من استعمالهم لأساليب كثيرة، فإنه يمكن حصرها وكشفها بسهولة، وهم يكررونها كمن يبدّل بين أسلحته كل حين، وهم لا يختلفون من عصر إلى عصر أو بلد إلى بلد في أساليبهم أو الخطوات التي يرسمونها لتغيير مجتمع ما إلا في مدى جرأتهم على الدين وعلمائه ومدى تغلغلهم في البلد الذي ظهروا فيه. ومع وضوح ذلك كله للعلماء، فإنّ العلماء لم يستطيعوا التغلب عليهم وإبطال ما يدعون إليه وتعريتهم للناس حتى الآن.

وكنت أتساءل لماذا تفشل الدعوات الإسلامية ويفشل العلماء في إيقاف تقدمهم في أي مجتمع يبدءون بالظهور فيه برغم ما يبذلونه من مقاومة شديدة لهم؟

واكتشفت أن الدعاة والعلماء ما زالوا يرتكبون خطأ محوريا في مقاومتهم لدعوات الليبراليين وأفكارهم المنحرفة حين بدأوا بالظهور في بلاد الإسلام، وأن أسلوب العلماء المتبع في مواجهتهم لا يحقق أكثر من تأخير تقدمهم إلى حين، والسبب في ذلك أن أساليب الليبراليين في الدعوة إلى أفكارهم المخالفة للدين لا تعتمد على الحجة والدليل والبرهان، بل تعتمد على المكر والمغالطة، وإثارة الشبهات والخداع بالكلمات والشعارات، وانتهاز الأخطاء وإجتزاء الأدلة ولي أعناق النصوص، والتأميل المزيف في مستقبل مشرق، وبث الكراهية والضيق من الدين ورجاله والمتمسكين به بطريقة مباشرة وغير مباشرة.

وما يزال العلماء يواجهونهم بطريقة تكاد تكون ثابتة، فهم يواجهونهم بالحجة والنصيحة والتعليم والدعوة، والليبراليون يعارضونهم بالشبهات والمغالطات وانتهاز الأخطاء، والعلماء يواجهون ذلك بنقدهم وسبهم أحيانا وتحذير الناس من إتباعهم، وهم يعارضون العلماء بمزيد من الشبهات والمغالطات في دائرة أو حلقة لا تنتهي. وهم صابرون على ذلك لا يأبهون بما يلاقون من العلماء، لأن خطتهم أساسا لا تعتمد على الإقناع فلا حجة لهم أصلا من دين أو خلق، ولكنها تعتمد أساسا على جذب الناس بعيدا عن الدين وعن الاستماع لعلمائه، وتعتمد على عنصر الزمن في نجاحها بالحفاظ على الدوران في هذه الحلقة المفرغة بصورة لا تتوقف!!

وما عسى أن تكون نهاية هذا السباق واللحاق والدوران؟

إن نهاية هذا الدوران بعد زمن وحين: **أولا:** أن يتحول أكثر الناس في هذا الصراع إلى حالِ من يشاهد صراعا لا ينتهي، فيصيبهم الملل منه ويتحولون إلى السلبية ويكتفون بالمشاهدة، **ثانيا:** إنه لا بد أن يثور من هذا الدوران غبار يُعمي كثيرا من الناس فيقعون في شباكهم ويقتنعون بأفكارهم وهذا هو ما يهدفون إليه، وفي كلتا الحالتين هم يكسبون أرضا، ولو كان ذلك ببطء شديد، فيقل أنصار العلماء من الناس والمستمعين لهم، ويزداد المستمعون لهؤلاء الخبثاء حتى تقوى شوكتهم، وكلما قويت شوكتهم زادوا جرأة على الدين وعلى علمائه، وجرأة فيما يدعون إليه ثم تتسارع خطواتهم ويتسارع تقدمهم حتى تنتشر أفكارهم وتغلب على المجتمع كله وينجحون في الوصول لما أرادوا الوصول إليه.

ومما لا شك فيه أن سبب نجاحهم هو المكر والخداع لا الحجة والبرهان، فهم على يقين أنه لا سبيل لهم في مواجهة علماء الدين بالحجة والدليل كالداعي إلى الحق حين يدعو إليه بلا مكر أو خبث أو خداع، ولذلك فإن خططهم تقوم على مخادعة الناس وعلى أساليب تعتمد على المكر والخبث الشديد.

وقد تجلى لي أن السبيل الأمثل في مواجهتهم ليس بمواجهتهم بالحجة، فلا حجة لهم أصلا، وإن كان بيان الحجة للناس يلزمنا أيضا لتعليم الناس أمر دينهم، ولكن السبيل الأمثل والسلاح الأمضى في مواجهتهم هو بكشف تلك الأساليب للناس وفضحها للناس باستمرار، وكلما استجدوا أو استبدلوا طريقة مكر كشفناها للناس وفضحناها وبذلك نقف في طريق دورانهم بدلا من الدوران وراءهم، وسنجني من وراء ذلك فوائد عظيمة أهمها:

أولا: أنه ما من مسلم سينكشف له مدى خبثهم وطريقة مكرهم به إلا وسينقطع عنه أي تأثير لكلامهم طوال حياته بعد أن استبان له مكرهم في إشاعة الضلال والفسق في المجتمع، أما لو كان الأساس أن نرد

على كل شبهة من شبهاتهم فلا يمكن أن نستبعد إن رفض مسلم لهم رأيا أن يميل إلى رأي آخر لهم بعد حين، وخاصة أنهم يعتمدون على استمالة الآذان وتضليل العقول.

ثانيا: أنّه بشرح أساليب هؤلاء الخبثاء لعوام الناس سنشركهم معنا في المعركة ضدهم بدلا من أن يكونوا هم موضع معركتنا بيننا وبينهم فيقفوا في نهاية المطاف بسلبية ليشاهدوا من الفائز.

ولا يقولن قائل إن عوام الناس لا يمكن أن يستوعبوا ذلك، بل على العكس، فإن عوام الناس لا يحتاجون أكثر من أسلوب بسيط في شرح أي قضية لهم، فمن أحسن ذلك معهم فإن شدة اقتناعهم وإيمانهم تكون أقوى ممن هو أذكى وأعلم منهم، والأمر يحتاج معهم إلى وسيلة بسيطة جدا وهي التكرار ثم التكرار ثم التكرار لنحصل على نتيجة بعدها أفضل ألف مرة من مداومة الوقوف على آذانهم لنصحح لهم كل شبهة يلقيها هؤلاء الخبثاء في المجتمع.

ثالثا: أنني أعتقد أن هذا الأسلوب يبني درعا متينا تتكسر عليه كل سهامهم وشبهاتهم وضلالاتهم الذين يريدون بها تضليلنا عن كتابنا وسنة نبينا.

رابعا: أن هذا الأسلوب يرتقي بعقلية المسلم والمسلمة إلى مدى أبعد من التلقي والإتباع، وإلى مدى يستطيعون به أن يواجهوا خطط أعداء الله التي تتطور وتتغير مستخدمين فيها كل العلوم الاجتماعية الحديثة في محاربة هذا الدين.

خامسا: إن التحدي الذي يجب أن ننجزه ليس رد الشبهات وفضحها للناس كل حين –وإن كان ذلك أمرا مطلوبا–لكن التحدي هو أن نعلّم الناس كيف يعرفون هؤلاء الذئاب بصفاتهم وكلامهم وليس بأسمائهم وأعيانهم، فإننا لو قضينا أوقاتنا في تحذير الناس من واحد بعينه فما يلبث أن يختفي أو يموت فيتبعه آخر مرتديا لباسا آخر، ثم يبدأ فيلقي بالشبهات مثل من سبقه إلى حين يفتضح أمره للعلماء فيهاجموه وتبدأ بينهم معركة إلى أن ينسحب قصدا وتكتيكا وليس استسلاما، وقد ظهر لي في الآونة الأخيرة أنهم يتبادلون الأدوار فيما بينهم في البلاد التي ما زالت تتمسك بعفتها لينالوا منها.

هذا ما ظهر لي وأنا أبحث في أساليبهم وأجمعها لأحذر الناس منها وأقرأ لكتّابهم ومقالاتهم حديثا وقديما، فساقني البحث رغما عني إلى أول من دعا إلى تلك الأفكار التحررية التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية العربية فساقني ذلك إلى قراءة كتاب "**تحرير المرأة**" فذُهلت مما وجدته واكتشفته في هذا الكتاب!!!

لقد وجدت أن هذا الكتاب كتلة من الخداع البياني بشكل لم يسبق له أحد، ولم يلحق به أيضا أحد، بل وجدت الكتاب قد جمع داخله كل طرق التغريب، وكل أساليب المكر البياني، وكل أنواع التضليل بمكر

شديد وذكاء نادر، وفوق كل ذلك ببلاغة عذبة وأسلوب سلس رقراق بسيط منساب انسياب الماء الذي لا تسمع له صوتا ولا تشم له رائحة، ولكنه رويدا رويدا يزداد ويزداد حتى يفيض ويغرق.

واكتشفت أن هناك الكثيرين في عصر قاسم أمين ممن كانوا متأثرين بالغرب وثقافته وكان هواهم مثل هوى قاسم أمين أو أشد منه، ولكن لم تكن لهم حجة يستطيعون بها الجدال عن أنفسهم، فجاء قاسم أمين فنسج كل هذه الحجج التي استطاعوا بها بعد ذلك أن يجادلوا عن أنفسهم ويدافعوا عن انحرافهم، ويواجهوا المجتمع بأهوائهم بعد أن فك لهم قاسم أمين بذكائه عي لسانهم إلى جانب أنهم قد حصلوا على شيء يقنعون به أنفسهم أنهم على أمر حسن، ومن هذا المِعين أيضا شرب كل الليبراليين الذي أتوا بعد ذلك واستعملوا تلك الأساليب التي خطها لهم قاسم أمين ليجادلوا بها أهل الحق وينشروا بها الشبهات على الناس ليلتبس عليهم الحق والباطل.

ورغما عني تحولت بالبحث من تتبع الليبراليين إلى الاعتكاف على هذا الكتاب لإعادة تحليله وقراءته مرة بعد مرة، وفي كل مرة أعيد فيها قراءة الكتاب يتبدى لي كم المكر المطمور فيه بين الأحرف والسطور، وأن هذا الكتاب هو كتاب عبقري بمعنى الكلمة بغض النظر عن محتواه، وأن قاسم أمين ليس فقط هو رائد التغريبيين بل هو أستاذهم الفذ العبقري الذي على آثار قدمه يطئون، وعلى منهجه يسيرون شبرا بشبر، وذراعا بذراع، أملا في تغريب الأمة ومسخ هويتها.

لقد اكتشفت أن قاسم أمين هو من نَسَج كل تلك الأساليب التي يستخدمها كل من يريد أن يجادل هذا الدين وينشر فيه الشبهات، وقد جَمعها كلها في كتابه ذاك، ولقد بلغ فيه مبلغا لم يستطع أن يبلغه أحد من الليبراليين من بعده في اللعب بالبراهين والأدلة وتركيبها كيف يشاء، وبلغ من البراعة في التدليس والمغالطة فيه بشكل لم يسبق له مثيل، وقد جمع من كافة أساليب المكر البياني ما لا يمكن تخيله.

ثم بدا لي أمر غريب في هذا الكتاب، وهو أن هذا الكتاب –بغض النظر عن محتواه–هو كتاب عبقري، وهو على عبقريته يقدم فرصة ومنحة عظيمة للمسلمين!!، لأن الكتاب جمع كل أساليب المكر والخبث في تعمية الحق وتجميل الباطل بشكل من الصعب جدا أن يفوقه فيه أحد، ولإن تم تحليل هذا الكتاب وإخراج ما طواه من خبث ومكر وتقديم ذلك للمسلمين عامة وللشباب خاصة لكان من شأنه أن يقضي على كل أساليب الليبراليين في تضليل المجتمع من طريق هذا الكتاب نفسه الذي كان رائد أفكارهم ونبراسهم.

والأمر لا يحتاج إلى جهد كبير بقدر أن يكون هذا الجهد مستمرا، ولا يثبط من عزائمنا ما يملكونه من وسائل الإعلام والصحافة والفضائيات، فقد أعطانا الله وسيلة تغلب أي وسيلة من وسائل أعداء هذا الدين التي يريدون بها تغيير فكر وعقيدة هذه الأمة إلى آخر الزمان وهي خطبة صلاة الجمعة، فهي فقط إن أحسنا استغلالها على الوجه الأمثل تمكننا من تعليم الناس أمر عقيدتهم ومكر أعدائهم. والحذر الحذر

من أن نظن أن عوام الناس قد لا يستطيعون إدراك ما نريد، فهم لا يحتاجون منا إلا إلى شرح بسيط ووقت قصير ووسيلة مفعولها أكيد وهي التكرار ثم التكرار ثم التكرار، بها سيكون عوام الناس أشد اقتناعا وأثبت إيمانا من كثير من الأذكياء.

ومما زادني حرصا على كتابة هذا الكتاب بل استفزني لكتابته هو أن الليبراليين ما زالوا يستخدمون نفس الأساليب ويتبعون نفس الخطوات التي أفسدوا بها دولا من الإسلام في دول أخرى ما زالت تتمسك بعفتها وتدينها، وقد قطعوا فيها شوطا ليس بالقليل وقد اقتربوا من التغلب على العلماء في تلك البلاد وما زال العلماء هناك لا يستطيعون منع تقدمهم!!

ولذلك أكتب ناصحا علماء هذه البلاد ألا يكرروا نفس الأسلوب الذي هُزمنا به من قبل في مواجهة هؤلاء الماكرين، وعليهم أن يكون شغلهم الأول هو كشف أساليب هؤلاء في التلاعب بالألفاظ والأدلة وسبك العبارات حسب أهوائهم، فهذا أولى بإلقائه على المنابر من كثير من فضائل الأعمال، لأن هؤلاء المنحرفين لن يكفوا عن إثارة الشبهات وخداع الناس بها ولن نستطيع ملاحقتهم، لأن تأليف الشبهات لا ينتهي، وليس لنا إلا أن نبين للناس أسلوب مكرهم وكذبهم، فإن نجحنا في ذلك نكون قد أعطينا الناس المنظار الذي يكتشفون به بأنفسهم خبثهم، وساعتها ستمتلئ قلوبُهم كراهية وبغضا من تلقاء أنفسهم لهم، ولن يسمعوا لهم مهما قالوا بعد ذلك، ونكون ساعتها قد جعلنا حال هؤلاء المنحرفين كمن يدور حول نفسه.

إن الإنسان كائن عجيب وعقله أعجب ما فيه، فهو يستطيع بكلمات قليلة ينسجها بهواه أن يصور القبيح في أجمل تصوير، ويقبح الجميل ويظهره في أسوء صورة. إنه يستطيع أن يقلب بذكائه مقصود الأدلة فيجعلها حجة له عليك، ويستطيع أن يستخرج أدلة لا قيمة لها فينحتها بأسلوب يضخم منها ويجعل لها شأنا، إنه يستطيع بعقله أن ينسج الكلمات ويرتبها فينظم منها عبارات رقراقة بليغة منسابة ويضم فيها مشاعر حساسة، ثم يضع بين سطورها أفكارا مخبوءة تتسلل إلى العقول دون أن تدري وإلى القلوب دون أن تشعر، وقد بلغ قاسم أمين في ذلك في كتابه ذاك الغاية القصوى.

من أجل ذلك حولت الدفة كلية صوب هذا الكتاب الذي هالني ما جاء فيه من خبث ومكر لدرجة أني كنت أعيد بناء أفكاري عنه، وأعيد الكتابة فيه، وأعيد تنظيمه بعد أن يظهر لي من مخبوء أفكاره ما لم يكن جليا لي من أول قراءته، وإني لأرجو أن يقوم من هو أقدر مني وأعلم وأكثر تمكنا بدراسة وتحليل هذا الكتاب.

وأريد أن أُلفت نظر القارئ إلى أمر هام جدا أرجو ألا ينساه أبدا أثناء قراءة كتابي هذا، وهو إنني لم أكتب هذا الكتاب من أجل نقد قاسم أمين ومعارضة كتابه بكتاب، ولكني كتبته من أجل أمرين اثنين:

أولا: أن الهدف القائم لي هو كشف أساليب الليبراليين في هذا العصر في تغيير القناعات وقلب الحقائق بمعسول الكلمات والعبارات، وبالتأثير على المشاعر واللعب عليها، وكشف مكرهم في تغيير أدلة الشرع من القرآن والحديث، وكشف غشهم وخبثهم في اتخاذ الدين حذاء يرتدونه إلى حين يستطيعون خلعه وإلقائه وراءهم. وإنني حين أكتب عن قاسم أمين فإنني لا أقصده بكلامي، فالرجل قد مات وحسابه عند ربه، ولكنه مَثل ومُسمّى أقصد به كل ليبرالي مهما اختلفت أشكالهم وبلادهم، وأنا حين أُعلق على فقرات كتابه فإنما أبين طريقة من طرقهم في الخداع والمكر والتضليل، متمثلة فيما كتبه قاسم أمين، ولكنني مع ذلك لن أكتف بهذا، بل سأعقب في كثير من الأحيان بفقراتٍ أكتب فيها مباشرة عن الليبراليين، فذلك هو غاية الكتاب وإنْ تحولت الدفة صوب قاسم أمين وكتابه "تحرير المرأة" أو بالأحرى كتابه "تحرر المرأة من أحكام الدين" فهكذا ينبغي أن يوسم.

ثانيا: أن يتتبع كل منكما –أيها الشاب، وأيتها الفتاة– مقالهم ومقالاتهم، وتفطنا لكل كلمة من كلامهم وما يريدونه من وراء الكلمات من أفكار يبتغون بثها في نفوسكم، وأن تفطنا للتدرج الذي يمارسونه في استدراج المجتمع خطوة خطوة لنهاية فاسقة عن الدين والأخلاق والقيم والإسلام كله، وهم يزعمون في بداية أمرهم استنادهم للإسلام غشا منهم وخداعا لكما.

واللهَ أسأل أن يطفئ كتابي هذا فتنا قد أشعلها كتاب قاسم في الأمة، وما زلنا نصطلي بنارها حتى الآن. وإني أرجو من الله ألا يقف كتابي هذا عند كل من يقرأه، وأن ينشره بين الناس وبين الشباب والفتيات خاصة، عسى الله أن يحمي بعمله هذا شابا أو فتاة من السقوط في شباك هؤلاء الفاسدين الذين يدعونهم إلى النار وهم لا يشعرون.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود:88)

الفصل الأول

فتنة العصر

لا شك أن العالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة كان قد تأخر كثيرا في أواخر الخلافة العثمانية، وانقطعت صلاته بالعالم الخارجي لفترة كبيرة تقدم فيها العالم الغربي خطوات للأمام، وكان من جراء الحملات الصليبية الحديثة على العالم العربي التي ابتدأت بالحملة الفرنسية على مصر وبعدها الشام أن استيقظت الأمة على الهوة العلمية التي تخطاها الغرب، فتكونت مشاعر قوية ورغبة شديدة في إدراك ما فاتها، وخاصة أن الأمة الإسلامية بوجه عام والأمة المصرية بوجه خاص كانت قريبة العهد بعز الإسلام وانتصاراته الكبرى على التتار والصليبيين، ويعيشون تحت ظل خلافة ممتدة يظنونها أقوى دولة في العالم، كما تكونت مشاعر أخرى ذاتية بعد أن حَمَل الشعب المصري وعلماءُ الأزهر وحدهم مسؤولية مقاومة الاحتلال الفرنسي وفشل المماليك والخلافة العثمانية في هزيمتهم إلا بصعوبة كبيرة.

ولكن كان العائق ساعتها هم الأمراء الذي كان يعينهم الخليفة العثماني، والذين ليس لهم إلا جمع الضرائب، فثار عليهم الشعب المصري بقيادة علماء الأزهر، ثم راسلوا الخليفة العثماني ليولي عليهم محمد على، وكانت تلك نقطة فاصلة في التاريخ الإسلامي، وكانت خطأ لا أظن أن أحدا قد تنبه له، لأن للناس والعلماء أن يطلبوا من الخليفة عزل أمير يرونه ظالما، وسنة الإسلام أن يُعزل كل أمير يشتكي منه الناس، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرى أن عزل أمير أهون من الفتنة، ولكن ليس للناس أن يحددوا أميرهم أو يولوه، لأن ولاء هذا الأمير ساعتها لن يكون للخليفة وسيشعر بقوته أمامه، ولا ريب ستعتمل داخله رغبة الاستقلال بنفسه وبحكمه عن السلطان وهذا ما حدث.

أما إذا كانت السنّة أن يحدده ويعينه الخليفة ويعزله إذا اشتكى الناس منه فإن ولاءه سيكون للخليفة مع حرصه على استرضاء الناس بالقيام بالعدل بينهم.

وكانت تولية محمد علي نقطة فاصلة في تاريخ مصر الحديث، لأن الرغبة القوية التي تولدت بين الشعب المصري وعلمائه في اللحاق بالتقدم العلمي في الغرب تلاقت مع رغبة محمد علي في تقوية حكمه والاستقلال به، وكان لا بد في سبيل ذلك من النهوض بمصر عسكريا واقتصاديا، فبدأت البعثات من جانب محمد علي إلى الغرب فخَطَت مصر بها خطوات كبيرة عسكريا واقتصاديا، واستمرت البعثات وخاصة إلى فرنسا التي شجعته على ذلك رغبة منها في تقويته ضد سلطان الخلافة العثمانية التي أذاقتهم الويلات من قبل.

وقد حدث بالفعل، فقويَ "محمد علي" إلى الدرجة التي هدد بجيشه الخلافة نفسها في تركيا، وكاد أن يرث هو الخلافة لتقوم خلافة جديدة ناشئة فتية قوية، فاستدركت القوى الغربية الأمر وتعاونت مع الخلافة العثمانية على محمد علي، ثم أجبروا كلا الطرفين على قبول اتفاق يقطع مصر والسودان من أرض الخلافة لمحمد علي وأبنائه مدى الحياة، ويحدد قوته وجيشه في الوقت ذاته.

وبهذه المعاهدة مات طموح محمد علي وأبنائه، وقنع بما حصل عليه، وبدأ الضعف الكبير في الخلافة العثمانية، ولكن الصلات بين مصر والغرب ظلت عن طريق البعثات، ولكن أي بعثات تفيد لقيادة غير طامحة وبلد قد حُددت مقدراته وقوته؟! وتحولت جل أهداف البعثات بعد ذلك إلى ثقافية اجتماعية أكثر منها علمية صناعية وشتان بين هذا وذاك.

واستمرت الصلات بين مصر والغرب سواء بالبعثات أو بالتجارة أو بغيرها، وكان الغرب مستمرا في نهضته الصناعية والعلمية والاجتماعية والثقافية، وكان يخطو بتسارع شديد، وكانت هناك منافسة حامية بين دول الغرب أنفسهم في شتى المجالات، وأصبح ظاهر الحياة الأوروبية يثير الانبهار، وغطى هذا التقدم والتسارع الحامي على كثير من مساوئه التي عميت عنها الأعين أو تغافلت عنها حينها، وفي الوقت نفسه لم تستطع دولة الخلافة في تركيا من استدراك تأخرها عن الغرب، وبدأت تظهر فيها تيارات ترى أن اللحاق بالغرب يقتضي تقليده، وأن التحديث يقتضي التغيير في أمور خلطوا فيها الصواب بالخطأ والحق بالباطل، وعلى نفس الشاكلة ظهر أمثالهم في الشرق العربي ومنهم المصريون، وكان من ضمن هؤلاء قاسم أمين.

وكان كل من تَخْطُ قدماه أرض الغرب تبهره الحضارة الناشئة وتقدمها العلمي والمادي، وأشد ما يبهره فيها ويأخذ بعينه ويستولي على لبه هو وضع المرأة الجديد هناك الذي لم يتعود عليه، والدليل على ذلك أنهم جميعا وإلى الآن يتباينون في الحديث عن أسباب نهضة أوربا والغرب، وقد يتفاوتون في مدى ذكر هذه الأسباب إلا اجتماعهم على تغيير وضع المرأة وتحريرها حسب زعمهم، فلا يوجد منهم واحد فقط يترك شأن المرأة ليهتم مثلا بأهمية التفاني والأمانة في العمل مثل الغرب فيعدُّ ذلك هو أصل تقدمهم ويجعلها قضيتَه مع إيمانه بتحرر المرأة، لا تجد ذلك أبدا. ولا تجد من يأخذ اهتمام الغرب بالعلم والعلماء فيعدُّ ذلك هو السبب الرئيس في تقدمهم ويجعل ذلك شغله الشاغل وتكون قضية المرأة ثانوية عنده مع إيمانه بها، لا تجد منهم من يأخذ قضية التربية والتعليم ويجعلها شغله الشاغل ويهمل قضية المرأة مع إيمانه بتحررها على المفهوم الليبرالي. كلهم جميعا لا يرون في كل الأسباب التي ارتفع بها الغرب إلا قضية تحرر المرأة من قيود الرجل والمجتمع والدين، وكل ما عداها من الأسباب بالنسبة لهم هامشي أو ثانوي وإن ادّعوا غير ذلك، ولا هَمّ لهم بالليل والنهار إلا تصويرهم أن خروج المرأة وتركها للحجاب هو حجر

الأساس في نهضة الأمة، وها هي قد خرجت–قبحهم الله –فلم تجنِ الأمة شيئا من خروجها الذي زينوه لها إلا زيادةً في الضعف والهوان والفقر والشقاء والذلة بين الأمم.

إن الفتنة التي وقع فيها قاسم أمين وأمثاله حين شاهدوا الغرب هي تلك المرأة التي افتتنوا بوضعها الذي لم يألفوه ولم يتعودوا عليه، تلك المرأة التي رأوها تخرج بأناقتها حاسرة عن جمالها، وتقف مع أحدهم تبادله الحديث والابتسامات، وتتخذ أصحابا من الرجال إن أحبت، وتخرج بحرية وتعمل كتفا بكتف مع الرجل في كل المجالات وأصبحت تنافسه في كل مجال حتى السياسة.

وفي المقابل كانت المرأة في الشرق والعالم الإسلامي قد تراجعت دينيا وثقافيا واجتماعيا، وأصبح دورها بالفعل في المجتمع مقيدا بأعراف بعضها لا يوافق الإسلام وبعضها بالغ الناس فيها، بالإضافة إلى شيوع الأمية فيهن.

ولكن هل كان حال المرأة آنذاك مستقلا بها أم كان تبعا لحال الأمة؟ لا يشك أحد أو يجادل في أنه كان تبعا لحال الأمة رجالها ونساءها، ولكن للأسف كل من وطئت قدماه أرض الغرب واطلع على أسباب تقدمهم والتغير الحاصل في المجتمعات هناك لم يأخذ بعينه ويستولي على كيانه إلا وضع المرأة هناك. وفي ظل التفاوت بين نساء الغرب ونساء الشرق تاهت عندهم موازين الأحكام والأخلاق والدين، ولم يعودوا يرون سوى هذه المرأة الغربية التي فتنتهم حين رأوها، وسحرتهم حين اقتربوا منها، ولم يعودوا يبصرون عيوبا تخرق الأبصار فيها، وإن أبصروا عيبا التمسوا له سببا بعيدا عن أن يكون له علاقة بخروج المرأة وتعريها واختلاطها بالرجال.

وفي هذه الفتنة وقع قاسم أمين مثله مثل غيره، فلم يعد يرى سوى المرأة التي سُحر بها في الغرب، فأراد تحويل المرأة المسلمة لتكون نسخة مثلها، ولكنه كان أكثرهم ذكاء وأكثرهم جرأة، فكتب كتابه "**تحرير المرأة**" الذي تفتقت عبقريته فيه في كيفية سبك البراهين وتركيب الأدلة كيفما يهوى، واستخدم كافة الإيحاءات الشعورية، والتأثيرات العاطفية ، والاستفزازت النفسية في بث أفكار وزرع قناعات دون أن يشعر القارئ بها، ودون أن يدرك أنها قد دخلت عقله واستقرت في مشاعره، لأن قاسم قصد طمرها بين العبارات بسبب أن تصريحه بها سيفسد خطته في أهدافه التي يريد الوصول إليها وتلك كانت قمة عبقريته.

ولم يكتف قاسم بذلك بل قام بتحريف الدين وتحويره، فانتقى منه ما يهوى وأنكر منه ما يشاء، واستدل من كلام العلماء بما يعجبه، وأغفل من آرائهم ما يكره، واستخدم الحجج الكلامية والتصويرات الفنية وضرْب الأمثلة في قدرة عالية لقلب الحقائق.

وفوق قدرته على الخداع الكلامي كان لقلمه الأدبي أسلوب مميز وفريد، فإن كلماته كانت تنساب بهدوء رقراق ولكنها تمتلئ قوة وثقة فوق العادة بشكلٍ يستولي على عقل كل من يقرأ كتابه إن لم يكن له وافر حظ من علم ودين. وإن كثيرا ممن عاصروا قاسم أمين قد فاقوه من الناحية الأدبية ولكنه من ناحية البساطة والانسيابية قد فاقهم جميعا، أضف إلى ذلك مهارته العالية في ترتيب الأفكار وتنظيم العبارات حتى تبين لي لماذا صَعُب على كثير من الكتّاب مواجهة كتابه ودحض ما فيه برغم وضوح أغلاطه ومغالطاته وتركيبه للأدلة والبراهين. وكل ذلك لأن كتابه قد جمع داخله كافة أساليب الخداع الكلامي المنسوجة باقتدار في زي من كلمات رقراقة بسيطة يسهل على أي أحد فهم عباراتها المفردة ويَخفى على غالبية الناس إدراك ما وراءها. بل إن ممن عارضوه وهاجموا كتابه لم يستطيعوا أن يدركوا بالضبط ماذا كان يريد وما هو هدفه الذي كان يضعه نصب عينيه ليصل إليه في كل كلمة وكل عبارة وكل سطر وصفحة من صفحات كتابه، وكل ذلك دون أن يفشيه أبدا وهذا ما سأوضحه فيما بعد.

لقد وصلت قدرة قاسم أمين فيما نسجه من كلمات وعبارات وقدرته على قلب الصورة وتزيين المقلوب أن جعل الحق باطلا والباطل حقا حتى قال أحدٌ ممن عاصروه: **ما رأيت باطلا أشبه بحق من كلام قاسم أمين.**

لقد أخَذتْ بنفس قاسم أمين تلك المرأة التي رآها في الغرب وأُعجب بحالها، وسحرته شخصيتها الجديدة حتى ظن أن النهضة في قدميها، بل هي النهضة نفسها، فجعل شغله الشاغل أن يحول المرأة المسلمة على صورتها بعد أن تهيأ له أن تلك هي الصورة المثلى للمرأة والمجتمع.

سحرته المرأة التي رآها هناك تخرج متعطرة حاسرة عن بعض جمالها، وتخرج بحرية تامة بلا قريب أو حسيب، وتتخذ أصدقاء من الرجال كيفما تشاء، وتقف إحداهن أمام أحدهم تحادثه وتلاطفه وتتبسم في وجهه وتبادله الحديث والنقاشات، ثم هي تحب وتصاحب من تشاء وتهوى.

وكل ذلك وهو لا يفكر ما هو وضع المرأة في الإسلام وما هي سنة الله فيها للقيام بوظيفتها وواجبها في المجتمع، بل كل ما اهتم به في الدين أن يستخرج دلائل يقتصّها منه ليركب منها أجزاء يدعم بها هذه الصورة التي استولت على ذهنه لتماثل تلك الصورة التي رآها في الغرب. هذه الصورة التي استولت عليه حتى أصبحت تتحكم في عقله فأمسى يحلل كل منظور ومشهود من حوله وكل حادثة في المجتمع وكل واقع يراه ليَخلُصَ من كل ذلك بنتيجة توافق ما بناه في عقله من تلك الصورة، ويستخرج من كل ذلك أدلة توافقها، ويُهوِّن من كل دليل ضدها مهما كان قويا، ويفند كل واقع يؤكد على بطلانها وفسادها.

وليس أدل على استيلاء تلك الصورة عليه من كلامه نفسه حين قال:

هذه الحقيقة
التي أنشرها اليوم شغلت فكري مدَّة طويلة كنت في خلالها أقلِّبها وأمتحنها وأحلِّلها حتى إذا تجرَّدت عن كل ما كان يختلط بها من الخطأ استولت على مكان عظيم من موضع الفكر مني، وزاحمت غيرها، وتغلَّبت عليه، وصارت تشغلني بورودها، وتنبِّهني إلى مزاياها، وتذكِّرني بالحاجة إليها؛ فرأيت أن لا مناص من إبرازها من مكان الفكر إلى فضاء الدعوة والذكر.

يقول " استولت على مكان عظيم من موضع الفكر مني " وليست هذه الحقيقة، بل الحقيقة أنها سيطرت وتحكمت فيه فلم يعد يراها إلا الحق المطلق الذي من الواجب أن يتوافق كل شيء معه بما في ذلك الدين والتاريخ وعلوم الاجتماع والعلوم الحديثة، فأصبح يفسر كل ذلك ليثبت هذا الحق، وينكر كل شيء ضده، ويفند كل شيء يبطله، مستخدما تحليلات خادعة ليقلب صورتها، وهذا بالفعل ما فعله، فقد غالط في كتابه في أدلة القرآن والحديث وأحداث التاريخ، وما ورد في علوم الاجتماع وما أنجزته العلوم الحديثة حتى يثبت هذا الباطل الذي يراه حقا.

وليس هذا فحسب ما فعله قاسم أمين، بل هناك ما هو أشد من ذلك وهو استخدامه بذكاء كبير أسلوب التجهيز والمعالجة النفسية للقارئ ليتقبل ما يقول بدون نقد أو تمحيص أو مراجعة لأفكاره التي يكتبها، وليكسر عند القارئ قوة التمسك بهذه الأحكام التي نشأ الناس عليها، واستخدم الضرب على المشاعر والعاطفة واستفزاز الأحاسيس، وخاصة عند النساء ضد أحكام الدين، التي صورها أنها ليست أحكاما بل عادات، وصور أعراف المجتمع بأنها قيد وسجن ربط فيها بين أحكام الدين والتخلف، وصنع فيها معارضة بين أحكام الدين وبين الحرية والنهضة، ليخلق داخل القارئ وخاصة النساء حالة من التمرد الداخلي، تشعر فيها إحداهن أنها في سجن يجب أن تخرج منه، ويربط فيها بين ما هنّ عليه من حجاب وبين الجهل الذي كانوا عليه والتخلف والتأخر الذي كان فيه المجتمع، بل بالاحتلال الذي كانت فيه البلاد آنذاك، وبسبب ذلك كله حين خرج النساء في مظاهرات 1919م وأثناء المظاهرة خلعن الحجاب وألقينه على الأرض، في صورة لم يستطع فهمها أحد حتى الآن حتى ظنوها مؤامرة لنزع الحجاب، والأمر لم يكن بهذه السطحية ولو كان كذلك لم تكن لتفعله كل النساء بل بعضهن، وإن كان الظن بوجود اتفاق بين بعضهن قائم، ولكن الأمر كان عاما نتيجة تلك الأفكار التي زرعت بداخلهن من جراء هذا الكتاب الخبيث الذي صدر سنة 1899م أي قبل الحادثة بعشرين سنة. لقد كان لسان حالهن الأحمق يقول للاحتلال ها قد تحررنا من تخلفنا وخرجنا لنحرر البلاد منكم، وهم لا يدرون أن المحتل قد انتظر هذه اللحظة منذ مئات السنين!!!

تلك هي فتنة قاسم أمين في نفسه التي وصلت إلى الدرجة التي أغرته لتغيير المجتمع كله للوصول إليها فلم يألُ جهدا في نشرها والدعوة إليها واستخدم ذكاءه ومكره في تحقيقها حين كتب هذا الكتاب، وكان له ما أراد حتى فسدت الأخلاق وخربت البلاد بسبب ما كتب. وبعد أن كان الغرب قد سبقنا بخطوات وكان من السهل علينا اللحاق بهم إذا بنا لم نتقدم إلا في تقليدهم والاستيراد من بضائعهم ورفاهيتهم، وازدادوا هم تقدما وسبقا حتى لم نعد نراهم على الطريق وإلى أين وصلوا، ويكاد حالنا اليوم يصل إلى تلك الحال التي حذرنا منها هو حين خوفنا بالفناء والاضمحلال إن لم نلحق بهم فيتحقق على يديه وبسببه ما خوفنا منه.

الفصل الثاني

قاسم وكتابه تحرير المرأة

أثار كتاب "تحرير المرأة" لمؤلفه قاسم أمين ضجة كبيرة حين أطلقه عام 1899م، ولم يكن ذلك بسبب ما طرحه من أفكار في كتابه، فقد كانت تلك الأفكار تتردد في المجتمع المصري بين أولئك الذين فُتنوا بالحياة الغربية والتقدم الغربي المادي والمرأة الغربية آنذاك، ولكن كتابه نال ضجة كبيرة بسبب ذلك الخداع الكبير الذي اشتمل عليه كتابُه، والمغالطات الذكية الذي أتقنها، والبراعة الشديدة في التلاعب بالبراهين والأمثلة والآيات القرآنية والأحاديث وأقوال الفقهاء التي استطاع بها أن يثبّت تلك الأفكار في المجتمع بعد أن كانت مترددة فيه لا تجد لها سندا من منطق أو حجة تجادل بها عن نفسها، فقدم لها قاسم كل حجج الباطل لتدافع بها عن وجودها.

ولد قاسم سنة 1863م من أب تركي وأم مصرية من الصعيد، وقضى تعليمه من المرحلة الابتدائية في الإسكندرية في مدرسة رأس التين، وكانت يومئذ مدرسة أبناء الأرستقراطية من أبناء الشراكسة والأثرياء.

ثم انتقلت أسرته إلى القاهرة وسكنت في حي الحلمية وهو حي الأرستقراطية بالقاهرة آنذاك، والتحق بالمدرسة التجهيزية الخديوية (تعادل الثانوية) التي دخل بها قاسم القسم الفرنسي، ثم التحق بمدرسة الحقوق التي تعادل كلية الحقوق في أيامنا هذه، وتخرّج منها وهو في العشرين من عمره بترتيب الأول على دفعته سنة 1881م، وفي نفس العام سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا والتحق بجامعة مونبلييه لمدة أربع سنوات أنهى فيها دراسته القانونية بتفوق.

وأثناء وجوده بباريس قامت الثورة العرابية وما تبعها من احتلال الانجليز لمصر، ونفي الشيخ محمد عبده إلى باريس الذي التقى به قاسم وعمل معه كمترجم خاص.

وفي فرنسا قرأ قاسم لمفكري أوروبا الكبار مثل نيتشه وداروين وماركس وغيرهم الكثير الذي ملأ كتبه باستشهاداتهم وآرائهم.

وفي فرنسا نشأت قصة حب رومانسية بينه وبين فتاة فرنسية تدعى سلافا، ثم عاد إلى القاهرة سنة 1885م وتم تعيينه في النيابة المختلطة بالقضاء فكانت له عدة مواقف نبيلة تنم عن الوطنية مع الطلبة المقبوض عليهم في المظاهرات، وموقف مشهور مع عبدالله النديم أحد أبرز زعماء الثورة العرابية حين قُبض عليه فكان قاسم هو المحقق معه؛ فأكرمه بشدة بل وسافر إلى القاهرة يلتمس له العفو.

وخارج نطاق العمل القضائي فقد كتب عدة مقالات في صحيفة المؤيد، ثم أصدر كتابه "المصريون" سنة 1894م يرد به على كتاب الدوق داركور الذي هاجم به مصر والمصريين، ثم أصدر كتابه "تحرير المرأة" سنة 1899م ثم كتاب المرأة الجديدة سنة 1900م.

وفي أكتوبر سنة 1906م تولى سكرتارية الاجتماع الذي عقد بمنزل سعد زغلول من أجل إنشاء الجامعة الأهلية المصرية، ثم تخلّى سعد زغلول عن رئاستها لتوليه وزارة المعارف ليترأسها قاسم أمين.

أما عن حياته الأسرية فقد تزوج من زينب ابنة أمير البحر التركي أمين توفيق، الذي كان صديقا لوالده سنة 1894م فأنجب منها بنتين: "زينب" الذي أحضر لها مربية فرنسية و "جلسن" الذي أحضر لها مربية إنجليزية، وأما إجازته الصيفية فقد كان يقضيها بتركيا حيث كان لوالد زوجته منزل هناك.

ثم مات قاسم أمين فجأة سنة 1908م قبل أن يتم عامه الخامس والأربعين بعد حياة قصيرة ولكنها تركت أثرا بعيدا جدا في الحياة الاجتماعية المصرية وإلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

هذه النبذة السريعة عن حياة قاسم أمين كافية لإظهار ملامح شديدة الأهمية في حياته تنبئ عن الظروف التي ساهمت في تكوين شخصيته وآرائه.

لقد كان شابا شديد الذكاء استطاع التخرج في سن صغيرة من مدرسة الحقوق على رأس دفعته وهو في عمر العشرين من عمره، ثم ابتعث إلى فرنسا فأنهي دراسة الحقوق بجامعة مونبلييه بتفوق أيضا.

نشأ منذ نعومة أظافره في حياة أرستقراطية ثرية، وسكن وتعلم وسط تلك الطبقة وتزوج منها، وعاش ومات ثريا بدليل استطاعته توفير مربية أجنبية لكل بنت من بناته.

إتصاله بالشيخ محمد عبده حين عمل له كمترجم خاص لا شك أكسبه شيئا من الثقافة الدينية والفقهية.

تأثره بالحياة الاجتماعية الغربية واضح في تلك العلاقة الرومانسية التي أقامها مع الفتاة الفرنسية سولافا.

كان وطنيا مخلصا له مواقف أخلاقية تحسب له في دعم الثائرين ضد الاحتلال الانجليزي كان أقلها الدعم المعنوي.

هكذا عاش قاسم أمين، ولكنه ترك أثرا كبيرا كما قلنا في الحياة الاجتماعية بسبب كتابيه "**تحرير المرأة**" و "**المرأة الجديدة**"، وغني عن الذكر أن الكتاب الأول هو الأصل الذي بث فيه وأعلن عن كل أفكاره، وتجلت فيه عبقريته وقدرته المبهرة على الإقناع بشتى الوسائل المنطقية واللامنطقية، وبراعته في استخدام كافة التأثيرات النفسية والعاطفية في السيطرة على ذهن القارئ، و ذكائه في الظهور بمظهر المحافظ على

الشريعة الإسلامية، وذكائه في اللعب بكافة الأدلة الفقهية والاحتجاج بجزئيات منتقاة منها ليسحب القارئ بكل ذلك–ودون أن يشعر–لصورة نهائية لا تمت للإسلام بصلة، بل وخارجة تماما عن الشريعة الإسلامية، ولا يرضى بها أي من الفقهاء الذي استشهد بهم.

وفي هذا الكتاب وضع لنفسه مبدأ كان محورا لكل أفكاره، وبنى عليه كل كتابه، لكنه لم يظهره أبدا، ولم يبين أن هذا المبدأ هو الأساس وهو المركز الذي يطوف حوله من بعيد، ليصل بالقارئ إليه دون أن يشعر، وكان هذا من شدة ذكائه، لأن جميع من عارضوه وانتقدوه طاشت سهامهم بعيدا عن قلب أفكاره، فلم يستطيعوا أبدا التغلب عليه.

وكان في كتابه هذا مخادعا حذرا، مما يعلم أنه سيلاقيه من وراء تلك الأفكار التي أخفى منها أكثر مما أظهر، على عكس ما ظن البعض حتى قال بعض الأدباء ممن انتقدوه أنه رجل حسن النية أراد الرقي بوضع المرأة وانتشالها من غياهب الجهل التي كانت تعيشه آنذاك.

وأما ملخص الكتاب فقد كتب قاسم أمين كتاب تحرير المرأة في واحد وتسعين صفحة –حسب طبعة شركة كلمات عربية للترجمة والنشر– قسّمه إلى سبعة فصول، سبقها بمقدمة قصيرة في صفحتين أظهر فيها حسن نيته في الإصلاح وبدأ من عندها ومن أول صفحةٍ في كتابه في إشهار سلاحه الأساسي الذي استعمله في هدم كل الأحكام والأخلاق التي أراد تغييرها، وهو وصف قضيته بأنه يحارب عادات علينا أن نتخلص منها وإلا كنا معاندين للحق، ولم يتخل عن الضرب بهذا السلاح أبدا حتى نهاية الكتاب والذي كان في الوقت نفسه درعا احتمي به أيضا ضد اتهامه بأنه يريد تغيير أحكام الإسلام وأخلاقه.

ثم كان الفصل الثاني بعد مقدمته بعنوان "**تمهيد**" في سبع صفحات تكلم فيها عن حال المرأة في الهيئة الاجتماعية وأنها تابعة لحال الأمة، ودار هذا الفصل حول فكرة مركزة ولكنها ذائبة في السبع صفحات وهي أن حال المرأة يتناسب طرديا مع حال كل أمة من الأمم التي سبقتنا من الترقي، وأن حالها فيما مضى من العصور كان يناسب حال كل أمة ودرجة رقيها، وأن الأمم تترقى بمضي العصور.

وكان يعني من وراء كل ذلك أن يصنع في عقل القارئ دون أن يشعر فكرةً مضمونها أن المرأة وما كانت عليه حتى في العصور الأولى للإسلام وما تبعها كانت في حالة من تلك الحالات أو مرحلة من تلك المراحل التي كانت تترقى فيها في هيئتها الاجتماعية. ما يعني أنها لم تصل بعد إلى ذروة الترقي الاجتماعي حتى في ظل كافة عصور الإسلام، وأن علينا أن نمضي قدما في ترقيها. والذي كان يعنيه بالطبع هو ترقيها بتقليد ما وصلت إليه المرأة الغربية آنذاك، وهو ما أوضحه في فقرته في (ص:12):

أمَّا في البلاد التي ارتقت إلى درجة عظيمة من التمدُّن فإنا نرى النساء أخذن يرتفعن شيئًا فشيئًا من الانحطاط السابق، وصرن يقطعن المسافات التي كانت تبعدهن عن الرجال:

هذه تحبو، وتلك تخطو، وهذه تمشي، وتلك تعدو كل ذلك بحسب حال الجمعية التي تنتسب إليها، ودرجة المدنيَّـة فيها؛

يقول هذا الكلام متجاهلا منهج الاسلام السديد وما كانت عليه المرأة في عصور الإسلام الزاهرة.

ثم جاء الفصل الثالث بعنوان "**تربية المرأة**" وكان تمهيدا أيضا، ولكنه كان تمهيدا عقليا وثقافيا للقارئ، تحدث فيه عن أهمية تربية المرأة في عشرين صفحة كاملة، أسرف فيها إسرافا بالكلام عن شيء لا خلاف عليه وهو أهمية التربية والتعليم للمرأة، وسطّر براهين كثيرة جدا ليدلل على أهمية تعليم المرأة، ولكنه كان يهدف من وراء ذلك الإسراف–بعد ما اتضحت أفكاره– أن يقنع القارئ ويبث في نفسه وشعوره أن التربية والتعليم هما كل شيء وما عدا ذلك ليس بشيء، وأن تربية وتعليم المرأة تقيها ولو خالطت الرجال ليلا ونهارا بغير حجاب، في دلالة واضحة أن تربية المرأة عنده لا تشتمل على التربية على أحكام الإسلام وإتباع أوامر الله. لقد كان كَمَن يريد أن يملأ عقلك بأن الأكل الجيد والصحة الجيدة تقيك من البرد والأمراض ولو ألقيت ثيابك عن جسدك في الشتاء القارص والحر الشديد!!

وقد وصل الأمر به أن يقارن بين طريقة وقوع المرأة الجاهلة في الرذيلة وطريقة وقوع المرأة المتعلمة فيها، فيميز أسلوب المتعلمة في طريقة الوقوع في الرذيلة على الجاهلة التي تُسلّم نفسها لأي رجل، أما المتعلمة فتسلم نفسها بعد انتقاء، وكأن انتقائها لمن تمارس معه الرزيلة يخفف من فسقها وفسقه!!! ذكر هذا في (ص:36):

وعلى خلاف ذلك يكون أمر النساء المتعلِّمات، إذا جرى القدر عليهنَّ بأمر مما لا يحلُّ لهنَّ لم يكن ذلك إلاَّ بعد محبة شديدة يسبقها علم تام بأحوال المحبوب وشمائله وصفاته؛ فتختاره من بين مئات وألوف ممَنْ تراهم في كل وقت، وهي تحاذر أن تضع ثقتها في شخص لا يكون أهلاً لها، ولا تسلِّم نفسها إلاَّ بعد مناضلة يختلف زمنها وقوَّة الدفاع فيها على حسب الأمزجة، وهي في كل حال تستتر بظاهر من التعفُّف، وتخفي ما في نفسها عن أخصِّ الناس بها.

ثم جاء الفصل الرابع من كتابه بعنوان "**حجاب النساء**" في ثلاث وعشرين صفحة ليبدأ في طرح أفكاره التي مهد لها وجهز لها نفسية وعقل القارئ في الفصول الثلاثة الأول من الكتاب. تحدث فيه أولا عن الحجاب (قاصدا به تغطية وجه المرأة)، وأول ما ادعاه في هذه القضية أنه يريد أن يرجع بالحجاب إلى الحد الشرعي، ثم بدأ في تسطير مكره بادعاء أن حجاب الوجه دور من الأدوار التاريخية، لينكر من ناحية أن تغطية الوجه من الدين وأن لا أصل له في الفقه، ويمكر من ناحية أخرى بأنه موروث تاريخي. واستغل في ذلك الخلاف الفقهي بين العلماء في وجوب تغطية وجه المرأة –ولكنهم لم يختلفوا في أنه كان موجودا على عهد رسول الله– فذكر بعضا من أدلة مَن قالوا بعدم وجوبه ولم يذكر شيئا عن الرأي الآخر الموجود في كثير من كتب الفقه للذين قالوا بوجوبه، وهو بالطبع لم يذكر ذلك لأن هذا الرأي هو ما يريد أن يبطله أساسا وادعى أنه ليس موجودا في الشرع مع ادعائه أنه موروث تاريخي وعادة قديمة من الأمم السابقة. ومما قاله في شأن الحجاب في (ص: 38):

> ومن هذا يرى القارئ أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصًا بنا، ولا أن المسلمين هم الذين استحدثوه، ولكنه كان عادة معروفة عند كل الأمم تقريبًا ثمَّ تلاشت طوعًا لمقتضيات الاجتماع، وجريًا على سُنَّة التقدُّم والترقِّي، وهذه المسألة المهمة يلزم البحث فيها من جهتيها الدينية والاجتماعيَّـة.

فالحجاب عند قاسم ليس خاصا بنا نحن المسلمين!! بل كان عادة عند كل الأمم تقريبا. بما يعني عدم ارتباطه بدين الإسلام.

ثم تحدث قاسم عن الحجاب (بمعنى تحجب النساء عن الرجال وعدم اختلاطهن بهم) فخادع بالآية التي نزلت في أمهات المؤمنين التي تأمر المسلمين أن لا يسألوا زوجات الرسول إلا من وراء حجاب ليلبّس قضية الحجاب في عقل القارئ، ويدلس عليه بأن ذلك الحجاب فرض على زوجات النبي فقط، فيكون بذلك الاختلاط مباحا في غيرهن، ونسيَ أو جهِل قول الله تعالى عندما حكا عن ابنتي شعيب ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾(سورة القصص–23) ثم خادع أيضا بقول الله تعالى في (سورة الأحزاب–32) في حق نساء النبي صلى الله عليه وسلم﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ وما تبعها من سبع أوامر:

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

فادعى أن كل كتب التفسير والفقه ذكرت أن ما ورد في الآية يخص نساء النبي فقط دون غيرهن، يقصد بذلك ما ورد في ثنايا الأوامر من قوله تعالى (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)، والعجيب أن ما ورد في الآية من الأوامر الستة الأخرى يبطل ما يقوله بل ويثبت عكسه، فالأمر بعدم الخضوع بالقول، والقول بالمعروف، وعدم التبرج، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله لا يمكن أن تكون خاصة بنساء النبي فقط.

ثم بدأ يخادع أيضا بأنه لا محظور في الشرع في اجتماع الرجل بالمرأة إلا الخلوة، ويذكر شيئا من الأدلة في ذلك، متجاهلا أو جاهلا أنه لا يجوز في الشرع أيضا اجتماع الرجل بالمرأة والرجال بالنساء إلا ما تدعو إليه حاجة معتبرة أو ضرورة شرعية، ويكون ذلك بضوابط شرعية أيضا والمرجع في ذلك آيات كثيرة من القرآن وأحاديث كثيرة من السنة، ومن ذلك ما حكاه الله عن بنتي شعيب.

ثم بدأ يستفيض في شرح التأثير السلبي للحجاب من الناحية الاجتماعية على المرأة والمجتمع، ووصل في تلك الصفحات (أربع عشر صفحة) إلى قمة عبقريته في التلبيس والخداع واللعب بعقلية ونفسية القارئ، ووصل إلى قمة ذكائه في استخدام حق المرأة في التعليم لتزيين خروجها للعمل واختلاطها بالرجال بحجة اكتساب الخبرات والمعارف. كما كان مخادعا غاية الخداع في نسج عبارات تقريرية البناء في وصف صور يبرهن بها على صحة رأيه، مثل أن المرأة الجاهلة التي خرجت للحياة تكون أكثر دراية بالحياة من المرأة المتعلمة التي جلست في بيتها بحيث لو تعاملتا لغلبت الجاهلةُ المتعلمة!! والأمر لا يحتاج إلى تدقيق كبير لنعرف أن أكثر النساء الجاهلات وإن كن يخرجن ليلا ونهارا يحملن من السذاجة ما تجعل المتعلمة تغلبها بسهولة، ولكن قاسم كان ينسج عبارات تقريرية ليمنع عقل القارئ من إعادة التفكير فيها ومراجعتها.

ومن تلك التعبيرات التقريرية التي استخدمها (فمن المشاهد الذي لا جدال فيه – يقول المطلعون) ولو تأملت فيما يأتي بعد تلك الصياغات التقريرية من العبارات التي كان يتكلم عنها كأنها حقيقة، مثل وجود القمر في السماء، لوجدتَها تسخر من عقل القارئ بسبب ما تحمله من زيف وغش واضحين، مثلما قرره من أن نساء أمريكا أصون للأعراض وأقوم أخلاقا من غيرهن بسبب شدة الاختلاط!!!

كما خلط في خبث بين الأحكام والأخلاق التي شرعها الله من أجل صيانة المرأة وبين تصوير قضية الحجاب بأنها عدم ثقة من الرجال في نسائهم وأمهاتهم، وأخذ يضرب في هذا الباب بأساليب متعددة

ومن اتجاهات مختلفة ليضغط بذلك على عقل ونفس وشعور القارئ لينزع من باطنه التمسك بتلك الأحكام والأخلاق بل ويَقْلِبُها في رأسه.

ثم جاء الفصل الخامس عن "**المرأة والأمة**" في اثنتي عشرة صفحة تمتلئ دسامة فكرية مزيفة يتكلم فيها عن لزوم نهضة الأمة المصرية وإلا لحقها الفناء والاضمحلال، ولا سبيل لتجنب ذلك إلا بإتباع وتقليد الغرب المتقدم الذي كان يستعمر البلاد حينها والذي قد أفنى بعضا منها، وعبر عن ذلك بعبارات تدفع دفعا ناعما إلى تقليد الغرب في نظام حياته وأعماله والسير في نفس مسالكه وقال في ذلك عبارة مباشرة في (ص:62):

> فإذا تعلَّمت الأمَّــة كما يتعلَّم مزاحموها، وسلكت في التربيِّــة مسالكهم، وأخذت في الأعمال مآخذهم، وتدرَّعت للكفاح بمثل ما تدرَّعوا به؛ أمكنها أن تعيش بجانبهم

ثم يكرر نفس المضمون في نفس الصفحة ولكن بطريقة مختلفة ويزيد عليها أن لا سبيل لنا إلا التخلص من تلك الأخلاقيات التي تربينا عليها والتي وصفها بالعادة السيئة والخليقة الممقوتة.

> فإن كان للمصريين همٌّ وصدق عزيمة في طلب سعادتهم، والمحافظة على بقائهم، والسعي إلى خلاصهم ونجاتهم من التهلكة؛ فعليهم أن يسلكوا تلك الطريق، ويخلعوا عنهم كل عادة سيئة، وينزعوا من أنفسهم كل خليقة ممقوتة تعطِّل مسيرهم،

وكان حظ علماء الإسلام من التسفيه في هذا الباب وافرا، فحمّلهم تأخر الأمة وتخلفها، وكأن على علماء الدين أن يشتغلوا بدلا منه بالعلوم الحديثة حتى ينتفي عنهم هذا الاتهام.

ثم أخذ يثني على نساء الغرب ثناء المنبهر بهن، ويبدي إعجابه بأن المرأة هناك أصبحت تعمل في كل مجال ومكان كتفا لكتف مع الرجل.

ومن عجيب ما أورده في هذا الباب أدلة القرآن في ذم التقليد واقتفاء آثار الآباء، وكلاهما أشد سوءا ومذمة وربما كفرا عند تقليد النصارى واليهود وغيرهم في حياتهم ولباسهم واختلاطهم وما يخالف شرع الله كما يفعل الليبراليون وكما هو فكرهم، فإن ادعوا كذبا وغشا أنهم يأخذون الشيء الحسن من الدنيا ويتركون ما عداه من المساوئ والكفر وما يخالف الإسلام، نقول أن التقليد المذموم للآباء الذي ذمّه الله في القرآن هو تقليدهم في الكفر وفيما يخالف شرع الله وعقيدة التوحيد، وليس كل إتباع وتقليد للآباء مذموم، ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)رواه أحمد.

ولكن قاسم استعمل تلك الآيات ليخدع القارئ في نفسه ليترك كل ما تربى ونشأ عليه من أخلاقيات وسلوكيات إسلامية، وقد ساعده في هذا الخداع أن أكثر الناس قد تربت على تلك الأخلاقيات دون علم شرعي بها وبأحكامها وحدودها، فكان بعضهم يبالغ فيها غيْرةً أو جهلا، فأتى قاسم يريد منا أن نتخلص منها جميعا، ونقلد الغرب في كل شيء لأن تقليد الآباء مذموم !!!.

وتناسى في هذا الباب أيضا، ولم يكلف نفسه البحث أو السؤال إن كان جاهلا... تناسى ما ثبت عن بعض الصحابيات الخروج في الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تصميم وعناد ألا يعرف أن الإسلام لم يحرّم خروج المرأة للمشاركة في الأمور العامة للأمة، ولم يحرّم خروجها مطلقا، ولكن الإسلام لم يجعل من ذلك أصلا واجبا على النساء وإنما كان استثناء، ولذلك لم تخرج كل النساء للغزو، بل كان بعضهن يخرجن أحيانا في غزوة من الغزوات ليقمن على تمريض الجرحى وسقي الماء، فالأصل للمرأة هو قرارها ببيتها وتربية أولادها، والاستثناء هو خروجها، ولكن قاسم كان يريد عكس ما أصّله الإسلام بتلك الأدلة التي أوردها ليجعل خروجها أصلا والقرار في بيتها استثناء، بحجة المشاركة في نهضة الأمة، وكان ذلك هدفه من وراء كل هذا الالتفاف والدوران، الذي كان يخادع به في الأدلة التي أوردها.

ثم أتي الفصل السادس عن "**العائلة**" ليتكلم فيه عن الزواج والتعدد والطلاق ليغير ويبدل في الأحكام الفقهية الخاصة بهم من أجل هدفه المخبوء في صدره، وبدأ أولا **بالزواج** فاستفتح بتسفيه العلماء فيما عرّفوا به عقد الزواج، لأنه لم يفقه مدلول هذا التعريف وأهميته من كونه عقدا فخلطه بأنه تعريف الزواج عندهم. وبعد ذلك بدأ يذكر ما ينبغي أن يُبنى عليه الزواج من المودة والرحمة كما جاء في القرآن الكريم، ثم انتقل انتقالا ناعما هادئا ليتكلم عن ضرورة اختلاط الخاطب بمخطوبته قبل الزواج، ولم يفته أن يخادع قبل ذلك بما ندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من نظر الخاطب إلى مخطوبته حين أمر بذلك أحد صحابته الكرام، حين قال له صلى الله عليه وسلم (انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما) (رواه الترمذي). فيقول في (ص: 75):

> على أن الانجذاب المادي ليس كافيًا في الزواج بل يلزم أن يوجد أيضًا توافق بين نفوس الزوجين. أي إنه يوجد — لا أقول اتحادًا لأنه مستحيل — ائتلاف بين ملكاتهما وأخلاقهما وعقولهما: ولا تتأتى معرفة وجود هذا التوافق وعدم وجوده إلاَّ إذا خالط كل منهما صاحبه ولو قليلاً.

فمن الاستدلال بما ندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من "نظر الخاطب إلى مخطوبته" إلى "أن يخالط كل منهما صاحبه ولو قليلا" وهو ما لم يأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ندب إليه، ولو كان فيه خيرا لندب إليه عندما أمر الصحابي أن ينظر إلى من يريد خطبتها.

لقد كان قاسم في كل ما يستدل به من الآيات والأحاديث والأدلة الشرعية والفقهية إنما يستدل بها وهو لا يكفيه الوقوف عندها، وإنما يستدل بها ليأخذها مركبا وحذاء للوصول بها إلى غرض أبعد منها.

وبعد الزواج تناول قاسم قضية **التعدد** فوصفها أول ما تكلم عنها بأنها من العوائد القديمة لينفي عنها صفة الحكم الشرعي، مع أنها مشروعة بآية صريحة في كتاب الله عز وجل وبالسنة، والحق الذي تعامى عنه قصدا أنها سنة الله في خلقه وفي أنبيائه ورسله على مدى الأزمان، فجاء الإسلام ليهذبها ويحددها ويحذر الرجل من تلك المسؤولية الضخمة التي يريد أن يتحملها. وبعد وصف التعدد بأنه عادة قديمة وصَمَ التعدد بأن فيه احتقارا شديدا بالمرأة، وكأن الله شرع في كتابه ما تُحتقر به المرأة !!، ثم ذهب يضرب على عاطفة المرأة في هذا الشأن وعلى ما قد يحدث من الشحناء بين الإخوة غير الأشقاء من أب واحد وأمهات عدة، ثم ذهب من عند نفسه ليضع شرطين لمن يريد التعدد، ليكون التعدد عندئذ في شرعه جائزا وهو أن تكون المرأة مريضة مرضا مزمنا أو عاقرا.

وبعد ذلك التمهيد أتى على الآيتين من سورة النساء التي شرع الله في الأولى فيها التعدد وحذر فيها من عدم العدل بين الزوجات، وفي الآية الثانية التي يبين الله فيها ما هو العدل المستطاع الذي افترضه الله على الرجال من العدل بين الزوجات لاستحالة أن يعدل الرجل فيما لا يملك العدل فيه من الحب والشهوة.

قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا﴾، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

فأخذ قاسم يفسرهما ويحللهما على هواه فرأى أن مجرد الخوف من عدم العدل يوجب عدم التعدد، ولا أحد يمكنه ألا يخاف من عدم العدل، ليستدل بذلك على أن الآيتين تدل على التحريم لولا أن السنة جاءت بخلاف ذلك، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام لم يفهموا ما جاء في الآيتين من دلالة التحريم وفهمها قاسم أمين!!!

ثم خادع من ناحية أخرى حين رأى أن غاية ما يستفاد من الآية هو التحليل كأنه نوع حلال، مثل ركوب السيارات أو استخدام الجوالات (وليس حكما شرعيا شرعه الله) ولكنه حلال من النوع الذي يعتريه ما يعتري أنواع الحلال الأخرى من المنع والكراهة بحسب المفاسد والمصالح، وبالطبع لأنه يرى من البداية أن في التعدد احتقارا شديدا للمرأة وسببا للشحناء بين العائلات، فهو لن يرى فيه إلا المنع، وهذا

الذي كان يريد الوصول إليه، حتى أنه كتب يسول للحكام أن يصدروا قانونا بمنع ما شرعه الله، رعاية للمصلحة العامة التي لم يدركها الشرع وأدركها هو !!.

ثم تناول قضية **الطلاق** وكان هدفه الذي يريد الوصول إليه هو إلغاء الطلاق الشفوي المباشر من الرجل لزوجته تماما إلا أمام القاضي، أو أن تُعطى الزوجة حق الطلاق مثلها مثل الرجل. ولكنه تدرج في الوصول إلى هدفه تدرجا ناعما ماكرا. وقد وصل فيما سطره عن قضية الطلاق إلى قمة التلاعب بالاختلافات الفقهية التي وردت فيها، ليقرر بعقله وهواه رأيا لم يرد في أي من كتب الفقه، ولم يقل به أحد من العلماء التي تلاعب بأقوالهم.

ويتابع حديثه مستخدما نفس أسلوبه في التدرج فيبدأ أولا بالحديث عن عدم وقوع الطلاق الشفوي من الرجل إذا قاله الرجل لزوجته وليس في نيته الطلاق؛ فلو قال الرجل لزوجته "أنت طالق" ثم ادعى أنه كان يقولها قهرا لها أو ضيقا منها مثلا أو هازلا فلا يقع الطلاق، واحتج بحديث (إنما الأعمال بالنيات) جاهلا أو متجاهلا موضع هذا الحديث، وجاهلا أو متجاهلا أن العقود لها أحكام أخرى خاصة بها، وأن الجد والهزل في الطلاق جد كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم انتقل إلى الخطوة الثانية وهي قضية وقوع الطلاق ثلاثا في المرة الواحدة، وما وقع فيها من اختلاف بين العلماء، فأخذ بالرأي الذي يقول بأنه يحسب طلقة واحدة رجعية، ووصف الرأي الآخر الذي قال به أغلب الفقهاء بأنه بدعة، ومع أن الرأي الذي انتصر له قد ورد في بعض كتب الفقه، إلا أن الأمر لم يعدو إلا خطوة في سحب القارئ نحو خطوته اللاحقة بعد إغراقه في تلك الاختلافات الفقهية التي أوردها، والتي بث فيها من المكر والمغالطات ما تجعل القارئ ينساق بسهولة وراء ما يسطره بعد ذلك من آراء.

ثم انتقل بعد ذلك إلى الخطوة الثالثة من أجل إبطال الطلاق الشفوي كله من الرجل، فركبَ مَركبَ الخوف على الأسرة والحفاظ عليها ليمنع وقوع الطلاق المباشر من الرجل للمرأة حتى ولو كان قاصدا حقيقة الطلاق، سواء قاله مرة أو ثلاثا أو عشرا إلا أن يذهب إلى القاضي أو المأذون، حيث لا يقر القاضي لأي منهما بوقوع الطلاق إلا بعد فترة يؤخره إليها للإصلاح، ثم بعد ذلك يقر القاضي أو المأذون طلاقه لزوجته إن أصر الزوج، ليحول قاسم طلاق المسلمين إلى ما يشبه الطلاق الكنسي الحديث في أوروبا، وقد تطوع قاسم فسطر عدة قوانين في كتابه من أجل هذا.

وبعد ذلك كله إذا بقاسم فجأة يطلب الآتي: إما أن يُلغى الطلاق الشفوي من الرجل للمرأة فلا يقع إلا أمام القاضي، أو أن تُعطى المرأة حق الطلاق باشتراطه في العقد، أو بإعطائها حق الطلاق مباشرة مثلها

مثل الرجل!!، وكأن كل ما سبق أن قاله وسطره واحتج به (ومنها شفقته على الأسرة ورغبته في الحفاظ عليها) من أجل إلغاء طلاق الرجل مباشرة لزوجته لا أهمية له الآن لو مُنحت المرأة حق الطلاق المباشر!!!

فكان هذا دليلا واضحا بل أكبر دليل على أنه لا يريد من وراء كل الاختلافات الفقهية والحجج العقلية والعاطفية التي أوردها إلا اللعب بها للوصول إلى هدف معين كان يريد الوصول إليه، وأراد ألا يكشف عنه بوضوح أو أن يُظهر أن ذلك الهدف هو مبتغاه من كل الكتاب فجعله مستترا متخفيا لئلا يعرف أي أحدٌ سر أفكاره وأساسها فيسهل عليه نقض أفكاره وكشف زيفها وخطأها. أما ذلك الهدف فهو ما سنكشفه لاحقا في الفصل التالي من هذا الكتاب.

ثم جاء الفصل السابع **والختام** في أربع صفحات ليوجز كثيرا من مكره في هذا الكتاب ويكرر إلى آخر صفحات الكتاب أنه يطلب تغيير عوائد موروثة ثم يقول في براءة الذئب الذي يلبس فراء الضأن:" **أن لو كانت تلك العوائد لها أساس من شريعتنا لكان هناك ما يشفع لنا التمسك بها ولكنه برهن على عكس ذلك، وأن ما يريده من الإصلاح ما يتفق ومصالح الشريعة الإسلامية** " !!!!

ثم أورد قاسم فقرة في غاية الأهمية، بل فقرة من أهم فقرات الكتاب تبين بجلاء قيمة كل ما ورد في الفقه من أحكام عنده وكل ما جاءت به الشريعة من حدود، بما في ذلك التي دعا للأخذ بها وأصر على أنها هي الحق وأنكر غيرها.

يقول في (ص:99):

> إذا توهَّم بعض القُرَّاء أن ما ورد في كتب الفقهاء من استحسان عدم كشف وجه المرأة، وعدم مخالطتها بالرجال دفعًا للفتنة هو من الأحكام الدينية التي لا يجوز تغييرها؛ فنقول إن هذا الاعتراض مردود بان الآحكام الشرعية جاءت في الغالب مطلقة وجارية على ما تقتضيه العادات الحسنة ومكارم الأخلاق، ووُكِّلت فهم الجزئيات إلى أنظار المكلَّفين، ووضعتها تحت تصرُّف اجتهادهم، وعلى هذا جرى العمل بعد وفاة النبي بين أصحابه وأتباعه.

وهكذا وبعد أن ظل طوال الكتاب يدّعي تمسكه بالشريعة الإسلامية، وأنه يريد أن يعود بالأحكام والأخلاق والمعاملات إلى حدود ما أقرته الشريعة الإسلامية إذا به يفصح عما انطوى عليه قلبه وفكره تجاه الشريعة الاسلامية عنده، فالأحكام الشرعية في نظره جاءت على ما تقتضيه العادات الحسنة ومكارم الأخلاق ووكلت فهمها وتفسير جزئياتها للمكلفين. والأسئلة المنطقية المهمة الآن: **من الذي سيحدد**

العادات الحسنة من سيئها؟ ومن الذي سيحدد مكارم الأخلاق من أراذلها؟ وعلى أي أساس يتم تحديد أي منهما؟ ومن هم المكلفون الذين سيحددون ذلك؟؟

إن أحكاما شرعية قال بها الفقهاء مثل تغطية وجه المرأة، وأخلاقا حسنة تعارف عليها الناس مثل غيرة الرجل على أهل بيته من الاختلاط، وعادات جميلة أخذ بعض القادرين عليها مثل توفير خادمة وسائق لزوجته أو ابنته قد قلبها كلها قاسم أمين في كتابه كما سنفصل ذلك فيما بعد، فحطّ من شأنها وقبحها ووصفها بالعادات السيئة، بغية الوصول إلى ما تهواه نفسه من خروج المرأة وحدها تماما. فهل اعتبر نفسه من المكلفين الذين يحق له التغيير والتبديل في الشريعة والأخلاق والقيم حسب ما يراه حسنا من العادات والأخلاق؟

وماذا عن علماء الإسلام في زمانه وكثير من الكتاب والأدباء الكبار الذين عارضوه حتى قال أحدهم: **"ما رأيت باطلا أشبه بحق من كلام قاسم أمين"** ألا يراهم من المكلفين؟!!

وقد يتعجب البعض حين أذكر أسماء بعض من رجالات مصر قد عارضوه منهم زعيم الحزب الوطني آنذاك **مصطفى كامل** حيث هاجمه وربط أفكاره بالاستعمار الإنجليزي، ورد عليه أيضا الاقتصادي المصري **طلعت حرب** بكتاب"فصل الخطاب في المرأة والحجاب"ومما قاله: "إن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا" و**محمد فريد وجدي** بكتاب"المرأة المسلمة"، هذا غير علماء الأزهر والإسلام الذين لا يتسع المقام لذكرهم، ألا يمكن أن يكون هؤلاء هم المكلفون؟ أم أن المكلفين في نظره هم الذين مثله، الذين لا يرون التمسك بشيء من أحكام الشريعة لازما ولو كان منصوصا عليه في كتاب الله ما دام لا يوافق العصر ومصالح الناس من وجهة نظرهم. بالطبع كان يرى نفسه ومن هم على شاكلته هو المكلفون ولا حاجة لأهل التخصص وعلماء الدين الأجلاء، فالدين عنده مطية من لا مطية له، وأكّد بعد ذلك على نفس الفكرة في نفس الصفحة فقال:

> على هذا النمط تألَّفت شريعتنا: من فروع كلها راجعة إلى أصل واحد. فالشريعة الإسلاميَّـة إنما هي كليات وحدود عامَّـة، ولو كانت تعرَّضت إلى تقرير جزئيات الأحكام لما حُقَّ لها أن تكون شرعًا عامًا يمكن أن يجد فيه كل زمان وكل أمَّـة ما يوافق مصالحهما.

فهذه هي الشريعة في رأس قاسم أمين التي كان يعنيها حين كان يطلب الرجوع إليها ويتمثل الحرص عليها طوال صفحات الكتاب!! فالشريعة عنده وعند تلامذته من الليبراليين ما هي إلا "**كليات وحدود عامة**" وما عدا ذلك _ولو كان قرآنا _فهو موكول إلى الزمان والمكان ومصالح الناس.

وهو يؤكد على ذلك ثانية في الفقرة التي تليها بقوله: (**فهذه القواعد الكلية التي تحدد أعمالنا** ....). وأما الأحكام التي شرعها الله مما تتعلق بمعاملات الناس وشؤون حياتهم فقد عدها قاسم أمين من الجزئيات، حتى ولو كان منها ما كان نصا صريحا في كتاب الله عز وجل وحديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكل ذلك يصح تغييره وتعديله تبعا لمصالح الناس وزمانهم كما قال نصا بعدها: (**أما الأحكام المبنية على ما يجري من العوائد والمعاملات** .....) فلو كانت أحكاما لا تدخل في الكليات والحدود العامة فهي أيضا تخضع للتغيير حسب الزمان والمكان.

> فهذه القواعد الكلية التي تحدِّد أعمالنا بحدود يجب الانتهاء إليها على حسب ما ورد في الكتاب والسُنَّــة الصحيحة هي التي لا تقبل التغيير والتبديل، أمَّا الأحكام المبنيَّة على ما يجري من العوائد والمعاملات؛ فهي قابلة للتغيير على حسب الأحوال والأزمان،

هذه هي حقيقة الشريعة عنده وعند تلامذته من الليبراليين، فهي لا تتعدى كونها تأمر بالمساواة والصدق والأمانة والعدل، وأما الأحكام التي شرعها الله والحدود التي حدها الله فكلها عندهم قابلة للأخذ والرد والنقاش، ليروا إن كانت تناسب زمانهم أم لا، وإن كانت آيات محكمات من القرآن أو حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والسؤال الآن: من الذي يحدد القواعد الكلية من المسائل الفرعية؟!

فمن الواضح أن قاسماً يرى الشريعة بكلياتها وفروعها خاضعة تحت تصرف اجتهاده ... طالما أنه هو صاحب القرار في تصنيف ما هو كلي وما هو فرعي!!!

وكانت تلك الفقرات هي خير ختام، لأنها بالفعل أظهرت حقيقة رأيه في الشريعة الإسلامية التي خبأها وادعى ومثّل على الجميع أنه يريد الرجوع إليها والوقوف عند حدودها، ولم يكن ذلك إلا لعباً بعقل القارئ وتدرجا في خطوات تغيير المجتمع، ليصل به إلى ما فتن به في أوروبا.

ثم كانت خاتمة الختام بأن دعا إلى العزيمة التي وصفها بأنها أشرف قوى الإنسان وأعظمها أثرا في حياته، ليحفز من هم على رأيه أن يدعوا إلى ما دعا إليه غير عابئين بالانتقادات، قائلا لهم إن الانتقاد ينصب جميعه دائما على من يبتدئ في أي أمر خطير، ثم يعقبها بعبارة غاية في التحفيز والاستثارة فيقول:

> في أي أمر خطير، ومن النادر أن يوجد شخص يحسُّ من نفسه قوَّة كافية لمقاومة تيار الانتقاد العام.

ثم ينتهي بطلب أن تُؤسس جمعية يدخل فيها من الآباء من يريد أن يربي بناته على الطريقة التي أشار إليها في الكتاب، وتسعى هذه الجمعية لدى الحكومة في إصدار قوانين تضمن للمرأة حقوقها، بشرط ألا تخرج في شيء من ذلك عن الحدود الشرعية، وقد أظهرنا ما كان يقصد بحقيقة الشريعة وحدودها التي كان يعنيها.

الفصل الثالث

ماذا كان يريد قاسم أمين؟

عندما تبدأ بقراءة كتاب "تحرير المرأة" يبدو لك أن قاسم أمين قد اختلطت عليه الأمور والأحكام، وتاه بين الحق والباطل، وتاه بين الظلم الواقع فعلا في العالم الشرقي على المرأة حينذاك، وبين ما أقره الإسلام من أصول وأعراف تنظم العلاقة بين الرجل والمرأة.

في بداية الكتاب يظهر لك أنه يريد أن تخرج المرأة من بيتها لتعمل مع الرجل كتفا لكتف بلا أي قيود أو استثناءات أو احتياطات. أراد لها أن تخرج بحرية تامة تامة، وليس فقط أن تخرج بحرية، بل أن تخرج وحدها متى تحب وإلى أي مكان تريد، مدعيا أن التربية هي التي تحفظها، وأنه بدون التربية تستطيع المرأة أن تفعل ما تشاء ولو كانت داخل بيتها، في أسلوب خادع وماكر كمن يريد أن يقنعك أنك ما دمت صحيح الجسم نشيط الصحة فلا يمكن أن تؤثر فيك أي ميكروبات أو عوارض، ولا داعي لأي احتياطات من ملبس أو نظافة أو وقاية!!

ومن أجل إثبات وجهة نظره ذهب يفند كل ما وضعه الدين من تنظيمٍ للعلاقة وتحديدٍ للاختلاط بين الرجل والمرأة متعاميا عن سنة الإسلام في هذا الشأن العظيم في المجتمع المسلم، فتكتشف بعد قليل من القراءة أنه يُطوع كل شيء ويفسر كل شيء من الدين بشكل عجيب ليتوافق مع وجهة نظره، وتدرك أن في عقله أمرا يضعه نصب عينيه يريد أن يبثه فيك دون أن تشعر.

وعندما أراد قاسم من خروج المرأة للعمل أن يكون بلا أية قيود وتحفظات وحواجز أراد لها أيضا أن تخالط الرجل بلا أية قيود أو حواجز أو تحفظات مُدّعيا أيضا أن التربية هي الأساس. فهو لم يدع إلى خروج المرأة للعمل وفقط، لأنه من الممكن أن تخرج لتعمل في ظل بيئة لا تخالط فيها الرجل، وهنا من المفترض أن يتعجب من يملك عقلا حرا يفكر ويحلل ما يقرأه ولا يمكن التحكم فيه بخادع العبارات وقوة تركيبها.

إذا كان قاسم أمين يرى أن خروج المرأة لازم من لوازم النهضة لتشارك في صنعها فما الداعي لإصراره على أن يكون ذلك بمخالطة الرجل؟! ألا يمكن أن تعمل وتتعلم دون أن تخالط الرجال بلا ضابط أو حدود؟

وبعد تحليل تكتشف أن قاسم كان يدعو إلى صورة مركبة وليس إلى قضية مفردة زعم أن فيها النهضة والتقدم للأمة كما ادعى وخادع بذلك، فهو أراد أن تخرج المرأة للعمل وأن تخالط الرجل وأراد لها فوق ذلك أن تخالطه بلا أية حواجز مطلقا ومن ذلك أن تتخلى عن حجابها أيضا. وبذلك تصبح قضية المرأة

ليست مجرد العمل والنهضة كما ادعى وأفرط وأطال وأسرف في الكلام عنها لكي يسيطر على العقول ويضللها ويملأها بأن ما يمليه من تصور هو أساس النهضة، وأيضا لكي لا يعطي للعقل فرصة لطرح سؤال مهم: ما علاقة أن لا تعمل المرأة إلا في اختلاط مفتوح مع الرجل بالنهضة؟ وما هو علاقة كشف الوجه بالنهضة؟ وقد رأينا في أيامنا هذه كثيرا من النساء طبيبات ومعلمات منتقبات يعملن مع التحفظ من الاختلاط، وما منعهن ذلك من أداء عملهن أو أثّر عليهن إلا في عقول النفوس المريضة من الليبراليين ومن تأثر بهم.

إن قاسما لم يرد مجرد خروج المرأة للعمل من أجل المشاركة في نهضة الأمة كما زعم وخادع، بل أراد صورة محددة ومركبة للمرأة لم يكن يرضى ولا يكفيه جزء منها، هذا الصورة التي تتحلل فيها المرأة المسلمة من كل تعاليم ديننا الحنيف من أصول وأحكام وأخلاق.

وقد استخدم في سبيل ذلك بذكاء شديد أدلة الفقه نفسه لينكر بعضها، وليضرب بعضها ببعض، ويؤول بهواه البعض الآخر ليدعم هذه الصورة التي بناها في رأسه مسبقا والتي تختلف تماما ولا علاقة لها بالصورة التي رسمها الإسلام للمرأة عند خروجها أو اختلاطها بالرجال.

لقد كان يستقي أحيانا من الدين ليقرر صورة نهائية في النهاية لا علاقة لها بالدين وينكرها كل من استقى منهم أدِلّتَه، وقام بوضع كل ذلك في مزيج من العبارات التي تملأ القارئ وخاصة النساء إحساسا بالظلم والجهل والتخلف بسبب واقع لا علاقة له بالإسلام أصلا، وكان الحل فيه هو الرجوع إلى الإسلام وليس التفلت منه ومن أحكامه وأخلاقه.

أراد قاسم أيضا أن يحد من التشريع الإسلامي في تعدد الزوجات بالدعوة إلى وضع قوانين تحدده، والغريب أنه دعا إلى ذلك في مجتمع من أقل المجتمعات الإسلامية تعددا في الزواج، بل ومن أشد المجتمعات قوة في رفض ذلك من المرأة.

وبالطبع من أجل ذلك لوى أعناق الأدلة وفسرها على هواه، مستغلا جهل الكثيرين، وضرَبَ على عاطفة المرأة في هذا الباب ليُسولَ لها رفض هذا التشريع الحكيم، ووصف التعدد بأقبح أسلوب، وقلب حقائق الأمور فقبّح ما يكره وجمّل ما يحب بعباراته الخادعة وأسلوبه الماكر.

أراد قاسم أيضا أن يلغي طلاق الرجل الشفوي كله، مدّعيا أنه يريد بذلك الحفاظ على الأسرة من التفكك بكلمة يقولها الرجل، مُدخلا نفسه في قضية فقهية من صميم الدين، بل تجرأ ليفتي فيها ليصدر قوانين يلغي بها هذا الطلاق!!!

هذا ما يظهر لكل قارئ عادي الذي ينخدع في عبارات نهضة الأمة والحاجة إلى التغيير، وعبارات الحرص على المرأة والانتصار لها ورفع الظلم عنها أو الحفاظ على الأسرة.

وقد اتخذ قاسم من هذه الإدعاءات حصنا ودرعا يختبئ وراءه، ليخفي حقيقة ما يريده من وراء كل هذه العبارات والصفحات والفصول التي سطرها في كتابه، وتحاشى أن يُفصح عن حقيقة ما يريد لعلمه أنه إن أفصح عنه بوضوح وجلاء فلن يستطع الوصول إلى ما يريد. هذا الأمر الذي خفِيَ تماما على كل من عارضه ونقده، وإن كان مدسوسا في كل صفحات الكتاب وبين كل أسطره.

ولكن عندما تعيد قراءة الكتاب مرة أخرى لتحليله سيتبدى لك أن قاسم أمين لم يكن رجلاً تائها بين الحق والباطل، بل كان واعيا تماما لما يريد، وأنه كان يسعى إلى بناء فكرة محددة وأساسية في المجتمع يريد أن يسحبك إليها سحبا، ويزرعها في نفسك دون أن تشعر بأسلوبه الماكر وتحليله المخادع.

وإلى جانب تلك الفكرة الأساسية التي بنا عليها الكتاب دون أن يفصح أبدا أنها هدفه كانت هناك أفكار أخرى خفية يلقيها في دهاء بين الكلمات والسطور، أراد لها أيضا أن تتسلل إلى العقول والأنفس، لتعمل عملها بعد ذلك في المجتمع لتغييره، مثل كرة ثلجية تنحدر من علٍ وتزداد قوة وضخامة في كل دورة ولا تتوقف حتى تصل إلى حضيض الوادي فتدمر كل ما تلقاه.

أما تلك الفكرة الأساسية فهي المساواة التامة بين الرجل والمرأة بمعناها المطلق والحرفي وبمعناها المتجرد من أي أحكام وأخلاق واعتبارات وضعها الإسلام لحدود الاختلاط بين الرجل والمرأة، وخالية من أي فروقات حقيقية قائمة على الفطرة التي فطر الله كليهما عليها كما قال سبحانه وتعالى(وليس الذكر كالأنثى) وضاربا في فكرته بعرض الحائط كلَ ما سنه الله تعالى من تقسيم لأدوار الحياة وفقا لفطرة المرأة وفطرة الرجل مع مساواة كل منهما للآخر في كل شيء إلا ما جعله الله للرجل في إطار البيت من اضطلاعه بقيادة البيت فجعل له درجة واحدة يتحمل بها المسؤولية عن المرأة وليست درجة يستبد بها على المرأة.

فكرة المساواة بمعناها الذي يوجب أن يكون للمرأة الحق في كل شيء مثلها مثل الرجل من الخروج والعمل والاختلاط واتخاذ الأصدقاء والسفر والسياسة والحكم، ومثلها مثل الرجل في أحقية الطلاق!! وفي أمور أخرى استحالت أن تتساوى فيها المرأة بالرجل فإن شأن قاسم فيها حين ذاك أن يساوي فيها الرجل بالمرأة مثل منع التعدد للرجل، وإذا لم يستطع بتركيب الأدلة أن يمنعه تماما فإنه يدعو إلى فرض القيود عليه، مما يجعله أقرب إلى المستحيل.

وباختصار ووصف دقيق لِما كان يريد: **كان يريد مساواة عمياء**. وفي سبيل ذلك استعان بتركيب الأدلة من كل حدب وصوب وفهمها كما يريد، وتفسيرها تبعا لهواه، ثم وضع كل ذلك في مزيج من عبارات بيانية تملأها الثقة والقوة وفي نفس الوقت بسيطة ومنسابة يصعب فهم مراميها ويسهل فهم معانيها.

وفي كل ذلك كان يستغل في كل تلك القضايا أنها تتقابل مع هوى كثيرٍ من النساء وعاطفتهم اتجاهها وهوى كثير من المتغربين حينها، وزاد على ذلك بتصويراته التي صورها وأطنب فيها أن المرأة عندنا تعيش في سجن وظلم وأنها في الغرب تعيش في حرية ورقي، ولا أحد يعلم أنها تلك المرأة الغربية أصبحت تقاسي الويلات مثلها مثل الرجل لتوفر لقمة العيش لها ولأولادها، وفي بعض الأحيان تتحمل ذلك وحدها، وتحولت إلى سلعة جنسية وخليلة مؤقتة أو خائنة مع متزوج خائن لجنسها.

تلك هي الفكرة –أيها الشاب وأيتها الفتاة– التي حين تضعها في ذهنك ستعرف بها هذا الترتيب المقصود والتوصيفات الغريبة والتحليلات المزاجية التي أتقنها قاسم أمين في كتابه، وستعرف بالضبط ما كان يهدف إليه قاسم أمين من وراء كل تلك المغالطات المتقنة والأدلة المنتقاة والتحليل المقلوب لكل الشواهد من حوله، وما كان يهدف من وراء الإفراط في إدعاء رفع الجهل ونهضة المجتمع وتغييره ليواكب العصر.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وعلى نفس النهج يسير تلامذتُه من الليبراليين، فإن أفكارهم وكلامهم ومقالاتهم وحواراتهم تدور حول تلك الفكرة دون أن يصدعوا بها أبدا بجلاء ويبوحوا بأنهم يريدون مساواة عمياء، ويريدون مجتمعا لا فرق فيه بين الرجل والمرأة في أي شيء، ودون أي اعتبار لأي شيء من أحكام دين وأعراف وأخلاق لأن كل ذلك عندهم لا يناسب العصر الحديث. وأن ما ورد في الدين من أحكام الحجاب والاختلاط والطلاق والتعدد وكل أحكام الدين إنما كان لغير هذا الزمان ولا يلزمهم في هذا الزمان، وأنهم باستطاعتهم الخروج عنها وتغييرها وفقا لما تراه عقولهم في العصر الحديث.

هذا بالضبط ما يعتقدونه في قرارة أنفسهم ولا يستطيعون البوح به لعلمهم أنهم إن أخرجوا صراحةً خبيئة نفوسهم وحقيقتها وقالوها صراحة قرفهم المجتمع وازدراهم. ولذلك فإنهم يدورون حول تلك الفكرة ليخلقوا حولها دوامات ومجادلات كلامية أقرب إلى علم الكلام منها إلى البرهان والحجة، ويلقون الشبهات على الناس حتى يقع فيها بعضهم كل حين، وبمرور الزمن يكثر المخدوعون بهم، وهم يسحبونهم شيئا فشيئا بشبهاتهم ومغالطتهم في دين الله وفي القرآن والسنة إلى هذه الفكرة الخارجة تماما عن دين الله وعن الصورة التي رسمها الإسلام للرجل والمرأة، مع ادعائهم وهم أكذب الناس بأنهم يوافقون ما جاء في الإسلام وهم أصلا يرون أن كل ما جاء في الإسلام لم يعد ينفع لهم في زمانهم.

ولكن هل كان هذا فقط ما كان يريد أن يبثه قاسم أمين؟ أم أن هناك من الأفكار ما كان يبثها في النفوس متخفية في ثنايا العبارات وبين الأحرف والسطور؟

كما قلت لقد كانت هناك أفكار أخرى كثيرة بين ثنايا العبارات لا تقل أهمية عن تلك الفكرة الأساسية التي بنا عليها الكتاب، وسيتبين لك عزيزي القارئ كم أصبحت تلك الأفكار ينطق بها الناس وهم لا يدركون، واحتوتها نفوسهم وهم لا يشعرون.

هذه الأفكار التي أريد منك أيها الشاب وأيتها الفتاة تحسسها في كتابه لتعرف كيف يلقيها ويبثها في النفوس بحذر شديد يتخفى فيه وراء عبارات الحرص على المرأة والأسرة ونهضة المجتمع ووجوب تغييره ومحاربة الجهل. **أما تلك الأفكار التي تتخفى بين كلماته فملخصها كما يلي:**

* أن أحكام الدين يسعنا الخروج عنها وتغييرها تبعا للعصر وتبعا للأحداث، وليس هناك ثابت في الدين إلا المبادئ الأساسية والأخلاقية.
* التقليل من شأن علماء الدين والانتقاص من قدرهم في أنفس الناس.
* أن علماء الدين هم السبب في الجمود العلمي والثقافي في المجتمع وتأخر الأمة.
* انتهاز أخطاء العلماء والإسلاميين وتتبع عثراتهم وتشويههم.
* أن من حق أي أحد التكلم في الدين بعقله واستحسانه.
* أن علماء الدين ليسو مختصين وحدهم بالفتوى في الدين بل أي إنسان متعلم له أن يتفكر ويستنبط الفتاوى.
* أن المرأة لا تختلف عن الرجل إلا في الناحية الجسدية والفسيولوجية فقط في تجاهل تام للفطرة التي فطرها الله عليها، لأن تلك الفطرة ستكون دليلا ضد كل أهدافه المخبوءة في صدره وستكون حجة ضد أهوائه.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وبنفس الأساليب بالضبط التي يدعي فيها الليبراليون الحرص على المجتمع وتقدمه والدفاع عن المرأة وحقوقها وكرامتها يقومون ببث تلك الأفكار والقناعات في المجتمع المسلم، لأنهم يعلمون أن كل قناعة من تلك القناعات السابقة إن نجحوا في بثها في أنفس الناس سيكون لها من الأثر الأكيد في الابتعاد عن أحكام الدين وإتباع آرائهم المنحرفة.

أوَ ليست كل هذه الأفكار هي ما يحاول الليبراليون بثها في المجتمع؟ أوَ ليست هذه هي الأفكار التي يدورون حولها ليلا ونهارا ولا يفتؤون في كل كلامهم يضربون عليها؟

أليس لا هَمّ لهم إلا تشويه رجال الدين وعلمائه وانتهاز أخطائهم؟ أليس لا هم لهم إلا إقناع الناس أن مبادئ الدين العامة هي المُلزمة وما عدا ذلك يصح تغييره؟

لم يكن كتاب قاسم أمين هذا إلا بذرة وضعها وهو على علم بذلك ليصنع تحولا في فكر المجتمع وطريقة ونظام حياته، وليس في حياة المرأة فقط، ضاربا بما وضعه الإسلام من نظام حياةٍ وراء ظهره، ولم تكن القصة كشف وجه المرأة أو خروجها للعمل وتعليمها، بل كان المقصود أبعد من ذلك بكثير وقد أشار إليه حين قال في (ص:8):

> وقد يُوضَعُ
> مثل هذا الكتاب بعد سنين متى نبتت هذه البذرة الصغيرة ونمى نباتها في أذهان أولادنا، وظهرت ثمراتها، وعملوا على اقتطافها والانتفاع بها.

ولعلمه ذلك أتقن كتابة كتابِه تحرير المرأة فلم يُفْرط في الإفصاح عن حقيقة أهدافه، ولم يطمع فيما يريده من تغييرٍ في المجتمع المصري آنذاك بل أراد فقط زرع الأفكار، وأراد أن يدفع المجتمع للخطوة الأولى التي لا شك ستشده لأخرى ثم لخطوات وخطوات بعدها إلى مسير لا يتوقف ولا ينقطع في تلقائية متتابعة، وهذا ما لم يفطن إليه كثير ممن قرأ كتابَه، وكان جُل ما انتبهوا إليه هو مغالطاته في الأحكام وابتداعه في الدين، دون الانتباه إلى الأفكار التي طمرها في عباراته وبين كلماته في مكر شديد.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

ولقد سار على نهجه الليبراليون، فأهم ما يفعله الليبراليون في أي مجتمع في بداية ظهورهم فيه هو بالضبط ما فعله قاسم أمين وهو وضع البذرة، حتى إذا ثبتوها في الأرض تكالبوا في الحفاظ عليها بشدة، ثم يتلمسون من حين لآخر ريها بمائهم الخبيث لتنمو أو على الأقل لكي لا تذبل إن لم تكن الرياح مواتية، فإذا حدث تغير أو ضعفت الساحة الإسلامية في وقت ما أو انشغلت عنهم بمواجهة الإرهاب مثلا قاموا بانتهاز الفرصة وريها بمائهم الخبيث ليزداد نموها، فإن انعكست عليهم الريح استكانوا وحافظوا على بذرتهم وشجرتهم وإنكفأوا عليها إلى حين حتى تتغير الأحوال.

ويظلون على ذلك أزمانا حتى تثبت شجرتهم ثم تنمو ثم تتفرع حتى تقتل كل الأشجار والأزهار المثمرة من حولها، وحينئذ يُعلنوا بأمراض قلوبهم على حقيقتها ويتجرؤوا بأن يقولوا أن لا شأن للدين بحياة الناس، وأنّ الحرية للجميع تعني أن يفعلوا ما يشاءون وأن يلبسوا ما يشاءون وإن كان عُريا كاملا، لأن هذا في فكرهم هو حرية شخصية، والله هو الذي يحاسب العباد. وهكذا يبدؤون ببذرة صغيرة ينكرون فيها أن ليس في الشريعة ما يوجب تغطية الوجه ولا ينتهوا حتى يروا النساء على الشواطئ عرايا لا يسترهم شيء.

الفصل الرابع

أساليب الخداع

تمهيـــــد:

كان الناس قديما ينقسمون إلى قسمين رئيسيين، الأول هم علماء الدين والفقه، والثاني هم عوام الناس، وهذا القسم الأخير كان لا يزيد علم أحدهم على القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ولكن كان أهم ما يميزهم هو رسوخ العقيدة فيهم، لأنه أول شيء يتلقونه بالتعليم من العلماء الذين يأخذون دينهم عنهم ويتبعونهم، وكانت هناك طائفة أقل عددا تهتم بالعلوم الدنيوية مثل الفلك والكيمياء والجبر وما شابه، وقد خرج منها علماء الإسلام في تلك العلوم مثل الرازي والبيروني والجبرتي ولم يكن لهم مدارس أو جامعات مخصوصة بها كما هو الحال الآن، بل كان لها ما يمكن تسميته بمراكز بحثية تحت رعاية الأمراء والحكام والخلفاء، وكانت تعتمد أساسا على المجهود الذاتي للباحث فيها وعناية الحكام. ولكن العصر الحديث الذي نشأ بعد الثورة الصناعية نشر تلك العلوم الحديثة وأقام لها مدارس وجامعات وزاد عليها دراسة علوم أخرى مثل الفلسفة والمنطق، وبدأ التوسع في نشر مدارسها وإنشاء الجامعات لها في شتى البلاد وفتحها لعوام الناس، وانتقلت إقامة تلك المدارس والجامعات إلى البلاد الإسلامية ونشأت رغبة شديدة في اللحاق بما فاتهم منها بعد أن شعر الكثير منهم بتأخرهم في تلك العلوم. ولما كانت تلك المدارس والجامعات بحكم نشأتها الحديثة لا تهتم بتدريس الدين فيها فقد نشأت طائفة كبيرة جديدة من عوام الناس، وهي ما سميت اصطلاحا "بالفئة المتعلمة أو المثقفة" حازت كثيرا من العلوم الحديثة ومعها معرفة عالية عن الفلسفة والمنطق وقشورا من الدين، وفوق ذلك كانت مفتونة جدا بالتقدم الأوروبي الناشئ.

وصارت هذه الفئة في ذلك الوقت هي الطبقة العليا في المجتمع حتى من الناحية الاقتصادية، فيكفي أحدهم أن يكون موظفا في الحكومة ليحصل على ما يجعله في عيشةٍ رغدة فضلا عن هؤلاء الأكثر غنى من طبقة البهوات والبشوات.

وقد وجد قاسم أمين ضالته في هذه الفئة الجديدة من المجتمع حيث كانت أخلاقياتها هي سلوكيات إسلامية لكنها مورثة فيهم غير متأصلة بالعلم الشرعي إلى جانب ضعف في ناحية العقيدة، وقد فُتنت هذه الفئة بالغرب، وحازت من العلوم ما جعلها تشعر بقدرتها على البحث والتحليل بنفسها في أي شيء حتى علوم الدين، ومن هؤلاء أيضا قاسم أمين نفسه، ولكنه كان واحدا من أحدّهم ذكاءً، فكتب هذا الكتاب قاصدا هذه الفئة خاصة، والتي وضعها نصب عينيه بالتغيير، لأنها هي من كانت تحافظ على وضع المرأة فيها بدون

اختلاط بينها وبين الرجال تماما، وذلك لسبب واضح جدا وهو عدم وجود ما يدعو لهذا الاختلاط من حاجةٍ للعمل أو قضاء الحوائج من الأسواق وما شابه.

وعلى هذه الفئة مارس كل أساليبه الخادعة التي سأذكرها للقارئ، لأنها كانت هي المعنية عنده بالتغيير برغم صغر حجمها بالنسبة إلى المجتمع المصري آنذاك الذي يشكل الريف معظمه. وهذا المعظم اعترف قاسم أكثر من مرة في كتابه أنه لا يمنع خروج النساء، بل وأثنى على نسائها أحيانا تعريضا بغيرهن من تلك الفئة التي كان يقصدها بالتغيير والتي كان يضايقه عدم اختلاط نسائها بالرجال.

ولكن لماذا تلك الطبقة خاصة؟

لأن هذه الطبقة كانت هي المثقفة آنذاك، وهي التي تقرأ وتُكثر من الإطلاع، وهي قاطرة المجتمع الأمامية التي يطمح إلى مكانها باقي المجتمع ويتبعها ولو بالتقليد.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وإلى الآن ومع اختلاف صفات تلك الطبقة الآن بالنسبة للمجتمع فإنه يتم التركيز عليها لأنها تشكل قاطرة المجتمع، فيتم التركيز عليها بالتواصل الإعلامي والثقافي من قبل منظمات الغزو الأجنبي لتثبيت ثم زيادة انحرافها الفكري والأخلاقي عن الإسلام، وهذه الطبقة هي التي يتم فيها تدعيم الليبراليين وإبرازهم ثقافيا، وفتح الساحات الإعلامية لهم وأعمدة الصحف والمجلات وتلميعهم، ثم ضم إليها من يظهر منه تبنياً قويا لأفكارها.

وتحت تأثير هذا اللمعان وما يتم إحاطة صاحبه به من شهرة وبزوغ نجم فإنه يتمادى في بعده عن الإسلام وضيقه من أحكامه. وهذه هي الطبقة التي أشار إليها القرآن بالمترفين، وهي من أسباب فساد المجتمعات بسبب ما تنشره من فساد بسبب تأثيرها في عوام الناس الذين ينظرون إليها وهم طامحين إلى نيل مثل مكانتها الاجتماعية.

وملاحظة أن هذه الفئة هي هدف قاسم أمين بالتغيير من النقاط التي من الصعب جدا أن ينتبه إليها من يقرأ كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة".

وهذه الفئة كان قاسم يتعامى عن كل ما يميزها مثل وجود تعليم البنات فيها، هذه الميزة التي لم يشر إليها إلا إشارة عابرة لم تسلم من الذم، ومع ذلك فقد شمل نساءها بالجهل مثلها مثل باقي المجتمع كله بل وفضّل عليها نساء الأرياف!!! وكل ذلك لأن ما كان يريده منها ليس مجرد التعليم ولكن كما قلنا كان يريد مُرَكّبا واحدا من التعليم والخروج والاختلاط والتحلل من أصول المجتمع الذي نشأوا عليه.

هذا ما يجب الانتباه إليه في كتابه إلى جانب ما ينسجه من مكر وأساليب خداع مارسها من أجل تحقيق أهدافه في تلك الفئة خاصة والتي سأقوم باقتباس فقرات من كتابه لأبين أساليب مكره وخداعه فيها وأكشفها للقارئ.

لكني أود أن ألفت نظر القارئ أني لا أستطيع أن أنقل كل ما جاء في الكتاب من عبارات الخداع البياني التي أتقنها قاسم في كتابه، فرغما عني تركت فقرات كثيرة جدا كنت أود التعليق عليها وبيان ما فيها من مكر وخبث، لأني حينئذ سأنقل الكتاب كله مقطعا، فالكتاب كما قلت من قبل كتلة من الخداع والمكر البياني لم يسبق له مثيل، ولذلك فإني سأكتفي بنقل بعضها وأكثرها وضوحا للقارئ، ولعل ما تركته يكون فرصة للقارئ لكي يستكشف بنفسه مزيدا من مكره وخبثه الذي بثه في الكتاب إن أحب القارئ أن يطلع عليه.

لقد اتبع قاسم أمين أساليب كثيرة لتغيير القناعات وإعادة ترتيب الأفكار في عقل القارئ كان أولها وأهمها هو:

وصف القضية برمتها بصورة مغايرة لحقيقتها ثم الطرق على ذلك بشدة، وفعل ذلك بصورة متكررة ومتواصلة حتى آخر الكتاب بشكل لا يدع لعقل القارئ مجالا لإعادة التفكير والتحليل لما كان يكتبه، وكان ذلك بوصفه لكافة القضايا التي خالف فيها المجتمع على أنها عادات، وكان هذا أسلوبا متواصلا يجهّز وفي نفس الوقت يحاصر به القارئ نفسيا وعقليا لكي يقبل آراءه بأدلتها التي نسجها دون مراجعة أو تحليل أو شك، لأنه بالتكرار لن يترك عقله يبتعد أبدا عن كون تلك القضايا المجتمعية إنما هي عادات اجتماعية لا أكثر، ولأن تغيير تلك النظرة إلى تلك القضايا من أنها أحكام دينية إلى أنها عادات وغرزها في نفسية القارئ ثم وصمها بالتخلف سيجعل القارئ يطلب التخلي عنها إلى أي رأي آخر معاكس لها بغض النظر عن موضوعيته وأدلته ودرجة الفائدة منه .

ومن **التجهيز النفسي** الذي اتبعه وطَرَق عليه بقوة هو الربط بين تغيير تلك الأحكام والأصول وبين التقدم والنهضة، واستخدم ذكاءه لتصوير هذا الارتباط الغير موجود أصلا ببراعة عالية، واستخدم كلمات مستفزة في هذا الشأن منها أن علينا التغيير أو الموت والفناء!!

لقد صور بمكر شديد أنه لا سبيل لنا للنهضة والتقدم إلا بالتغيير الذي يجب اقتحامه مهما كانت المعارضات والانتقادات، وبالطبع يقصد بالتغيير تلك الأحكام التي سيطرحها في كتابه ووصفها بالعوائد. وزاد على ذلك بأنه صور أننا إن لم نحمل أنفسنا على هذا التغيير ونَركَبه مهما كانت العقبات سيكون حالنا التخلف والتأخر بل الفناء، وكان يستخدم في ذلك أسلوبا قويا للتأثير على نفسية القارئ لكي يندفع بلا تمهل أو عقلانية لركوب التغيير خوفا من أن يكون هو من ظواهر التخلف والتأخر في المجتمع.

ومن أساليبه:

تصويره لقضية المرأة على أنها قضية رجل يمنع المرأة من الخروج والعمل بسبب موروثاته، وليست قضية دين وشرع نظّم علاقة الرجل بالمرأة ونظّم الاختلاط بينهما، وهو يتكلم وكأنه لم يرد في شرع الله ما يشير إلى ذلك من قريب أو بعيد، ثم نسج كل خيوطه على هذا الأساس ومنها تصوير قضايا المرأة على أنها قهر واستبداد من الرجل، وحبس وظلم للمرأة، أو تصويرها على أنها عدم ثقة بعفة النساء وأخلاقهن.

اتبع قاسم أيضا أسلوبا ذكيا بالخلط العمد بين أهمية التربية والحق في التعليم –وهو شيء لا خلاف عليه– وبين خروج المرأة للعمل وفتح باب الاختلاط بالرجال على مصراعيه بلا ضوابط، فهو لا يفصلهما عن بعض قصدا، وهو يُفرِط في الحديث فيما لا خلاف عليه ليحقق احتواءً لعقل القارئ، وليكون ذلك قاعدة ارتكاز له في تثبيت القضيتين الأخريتين اللتين خلطهما بهما من خروج المرأة للعمل واختلاطها بكل حرية بالرجال بلا أي التفات لضوابط وضعها الإسلام للخروج أو الاختلاط.

لم يكن هدف قاسم أمين أبدا هو تعليم المرأة وحُسْن تربيتها كما أسرف في الكلام عن ذلك، بل تعليمها وتربيتها وخروجها واختلاطها في مركّب واحد لا يقتنع ولا يرضيه غيره. مثل من يريد الحصول على حمض الهيدروكلوريك المركب من اتحاد الكلور مع الهيدروجين فلن يرضى بأن تعطيه الكلور فقط أو الهيدروجين فقط. هذا هو ما تكتشفه من كتابه كله عندما تبحث عن الرابط بين أفكاره وأسلوب تركيبه للأدلة والبراهين لتعرف في النهاية أنه لم يكن يريد من كتابه إلا صورة مركبة يزرعها في عقل القارئ من أن للمرأة "أن تفعل" "وأن تكون" "وأن يكون لها" ما للرجل تماما بلا أي التفات لأحكام الدين في الخروج والحجاب والاختلاط وحتى الزواج والطلاق، برغم محاولاته الدائمة الظهور بعكس ذلك وإدعاء إلتزامه بالشرع

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وهذا الأسلوب الأخير من أكثر الأساليب التي يستخدمها الليبراليون وألصقها بهم في نشر أباطيلهم وإنحرافاتهم عن طريق استخدام ما هو حق وضروري للمرأة ليتخذوه مركبا وحذاء يمتطيه أحدهم للوصول به إلى الباطل الذي يضعه نصب عينيه للوصول إليه، كما يتخذه درعا للدفاع عن نفسه بأنه يريد إصلاحا في المجتمع، ويتخذ من ذلك دثارا يُخفي به وسخ شعاره. إنهم جميعا كما قال الله تعالى:(**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**) (سورة البقرة)

وهم لايشعرون لأنهم يظنون أن تلك الأفكار التي لم يراعوا فيها أحكام الإسلام وقيمَه هي أفكار حسنه وذلك بعد أن زين لهم الشيطان أن العصر الحديث يقتضي ذلك، وأنه يسعهم من الدين أن يخرجوا عنها، ولكن حقيقة أنفسهم التي استغلها الشيطان أنه في صدورهم حرج من الالتزام بأحكام الإسلام وخاصة هذا الحاجز الذي يضبط ويحدد العلاقة بين المرأة والرجل.

استخدم قاسم أمين أيضا بذكاء كبير: **أسلوب الإيحاء** في الربط بين علماء الدين والتخلف والتأخر الذي نحن فيه، بل وحمّلهم مسؤولية التأخر العلمي، وكأنه يجب على علماء الدين أن يشتغلوا بالكيمياء والأحياء والفيزياء حتى ينفوا عن أنفسهم هذه التهمة، وإلى جانب ذلك كان يستغل أخطاء المجتمع والعلماء والدعاة وطلاب العلم، وكان ذلك من أهم أدواته في تشويه العلماء والشيوخ حتى يحقق أهم هدف من أهدافه وهو صرف الآذان عن الاستماع لكلام العلماء والالتفات عنهم، فلا يبقى إلا رأي قاسم أمين الذي يُرعِي القارئ له سمعه وقلبه.

أما عن **أسلوب المغالطات**: فإن كتابه كله عبارة عن مغالطة مطمورة في عبارات رقيقة مغمورة بثقة كاذبة ومحاطة بأدلة منتقاة ومشاهدات ووقائع يفسرها حسب هواه، وكلمات يتلاعب بتنميقها ليزين ما يريد أن يزينه ويقبح ما يريد أن يقبحه. وهو في كل الأبواب يغالط في الأدلة والآيات والأحاديث بدهاء كبير فيصعب على الإنسان العادي ولو كان متعلما كشفه.

ومن أساليبه الثناء بصورة مباشرة وغير مباشرة على نساء الغرب وحالهن وعفتهن!! ونفي الرذائل عنهن بشكل لو كان ذهنك حرا وقارنت بعقلك ومعارفك بين ما هو معروف من حالهن فعلا في بلادهم وبين ما كتبه عنهن لعلمت كم كان يخادع ويمكر بل ويسخر بعقل القارئ ويكذب فيما يقول ويدعي.

وسأورد هنا فقرة في غاية العجب وسأطلب منكما أيتها الفتاة وأيها الشاب وأنتما تقرآها أن تستحضرا ما عليه الغربيون فعلا مما هو معروف عنهم ومعلن من كل أنواع الفواحش وامتهانٍ للمرأة هناك واستخدامها في الدعارة بلا أي إنكار، وتحول معظم النساء هناك إلى مجرد خليلات يُستبدلن بعد حين، وتَأمَلا ما يقوله عن رجال الغرب ليُجمِّلَهم ويمجّد منهم ويثني على عقولهم التي يقول عنها أنه ما كان لها أن يغيب عنها أن تعرف الوسائل اللازمة لصيانة المرأة وحفظ عفتها!!!

يقول في (ص: 58):

> هل يظنُّ المصريون أن رجال أوروبا مع أنهم بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغًا مكَّنهم من اكتشاف قوَّة البخار والكهرباء واستخدامها على ما نشاهده بأعيننا، وأن تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والمعالي وتفضِّل الشرف على لذَّة الحياة، هل يظنون أن تلك العقول وتلك النفوس التي نعجب بآثارها يمكن أن يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفَّتها؟ هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكُّنه عندهم لو رأوا خيرًا فيه؟ — كلا.

أعيدا قراءة الفقرة الآن و تَأمَلا الاستدلال المنطقي المخادع الذي استخدمه في أن تلك العقول التي اكتشفت البخار بالتأكيد لن تفرط في وسائل لصيانة المرأة وعفتها!! والآن فإن واقعهم لا يجعلني أحتاج إلى التعليق بل إلى الضحك والسخرية من هذا الكلام وممن كتبه، فإذا كنتما تريان ذلك فأعيدا قراءة تلك الفقرة لمرة ثالثة لتتأملا كيفية سبكه للعبارات ونسجه للكلمات في أسلوب أدبي راقي ولكنه يمتلأ غشا ومخادعة وتضليلا.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

إن الليبراليين والليبراليات يستخدمون كثيرا أسلوب المنطق الزائف في إثبات أفكارهم وآرائهم، وهو ما يَخفى على الكثير زيفه وخطأه، ويحتاج إلى عقل ذكي فطن يعيد تحليل ما يطرحون من إثباتات لآرائهم لكي ينكشف له أنهم يصطنعون ربطا بين وقائع ونتائج يوهمون بها القارئ، وفي الحقيقة أنها لا يُشترط أن ترتبط ببعضها مثل المثال السابق والتي نتيجته على العكس تماما.

فالعقول التي اكتشفت البخار، وطارت بعد ذلك في السماء، ووصلت إلى القمر إرتأت أن ترخص للمرأة للعمل كمومس، وأن تسمح لها أن تُستغل في أقبح الأفلام الجنسية، وأن تقبل من الأعداد في مجتمعاتها من الأولاد الغير شرعيين ما لا يمكن تصديقها.

والسبب في ذلك أن الليبراليين والليبراليات يكتبون بعقولهم الغبية القاصرة الجاهلة عن إدراك حقيقة الإنسان وتركيبة نفسه وشهوته وهواه، والتي قد تزين له فعل القبيح كما زينت لهم أيضا ولعقولهم الجاهلة تلك الأفكار المنحرفة والتي يعيشون حياتهم كلها يدعون المسلمين إليها. وبدلا من أن يلتزموا بأحكام من فَطَرَ الإنسان وصوّره ويعلم كل ما يكتنفه من أحوال وصفات وهو العليم الحكيم، ذهبوا يغيرون ويبدلون ما أنزل الله من أحكام ليتوافق ذلك مع أهوائهم وعقولهم الرافضة للخضوع تمام الخضوع لله رب العالمين. وهم لكي لا يشعرون بتأنيب الضمير ولا يشعرون بكفر أفكارهم يبحثون عن منطق لأفكارهم ثم دليل يستلونه من الدين يفهمونه على هواهم.

والآن وقبل أن أبدأ في تقصي أساليبه الخادعة بشيء من التفصيل اسمحي لي أيتها الفتاة واسمح لي أيها الشاب أن أبدأ بما تأخر قليلا من كلام قاسم في كتابه بعرض فقرتين متباعدتين قليلا عن بعضهما ستظهران لكما مدى تلاعبه بالعبارات والكلمات وثني الأدلة حسب هواه.

يقول في الأولى في (ص:50):

على أن القول بأن الحجاب موجب العفَّة وعدمه مجلبة الفساد قول لا يمكن الاستدلال عليه؛ لأنه لم يقم أحد إلى الآن بإحصاءٍ عام يمكن أن نعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقَّة في البلاد التي تعيش فيها النساء تحت الحجاب، وفي البلاد الأخرى التي تتمتَّع فيها بحريتهنَّ، ولو فُرِضَ وقوع مثل ذلك الإحصاء لما قام دليلاً على الإثبات أو النفي في المسألة؛ لأن ازدياد الفساد في البلاد ونقصه مما يرتبط بأمور كثيرة ليس الحجاب أهمها.

ويقول في الثانية في (ص:51):

ومع هذا يقول المطَّلعون على أحوال أمريكا إن نساءها أحفظ للأعراض، وأقوم أخلاقًا من غيرهنَّ، وينسبون صلاحهنَّ إلى شدَّة الاختلاط بين الصنفين من الرجال والنساء في جميع أدوار الحياة،

في الفقرة الأولى القول بأن الحجاب موجب للعفة هو " قول " لا يمكن الاستدلال عليه.

في الفقرة الثانية يستدل بعفة نساء أمريكا وقوام أخلاقهن وصلاحهن بما يقوله "المطلعون" الذين نسبوا ذلك إلى شدة اختلاطهن بالرجال!!!

في الأولى يستنكر ما يعلمه هو بنفسه ولا يستطيع أن يثبت عكسه فأراد أن ينفي صحة الربط بين الحجاب والعفاف بأنه لا يوجد إحصاء على ذلك، وفي الثانية لم يستشهد بإحصاء ولم يلتفت إليه وإنما اكتفى بقول القائلين الذي انتقى لهم لفظة "المطلعون"

إن كان هناك من نساء أوروبا وأمريكا من تحفظ عرضها، فهل تتصور المقارنة بين عفة المرأة المسلمة وعفة نساء أوروبا وأمريكا؟! ومنذ متى كانت نساء أمريكا أحفظ لعرضهن وأبعد عن الخنا والفواحش من غيرهن، والعكس هو الصحيح إن قارناهم حتى بنساء أوروبا، فما الحال إن استعرض قاسم هذا في باب المقارنة بين الحجاب والاختلاط وعلاقتهما بالعفة والفساد؟ ألا يثير ذلك الضحك من هذا الاستخفاف بعقل القارئ، ولكنه استخفاف تحت ظل كلمات منتقاة بذكاء وعبارات مرتبة بإحكام.

وبمناسبة ما يثير الضحكات أتذكر طرفة أضربها مثلا لكي تعرفي أيتها الفتاة وتعرف أيها الشاب كم يُحدث انتقاء الكلمات وحسن ترتيبها من فارق عظيم:

يُقال أن رجلا سأل آخر ماذا تعمل؟

فقال: أعمل على معالجات مائية حرارية للألومنيوم والحديد تحت بيئة مقيدة.

وبعد سؤاله عن التفاصيل تبين أنه يقوم بـ "غسيل الصحون بالماء الساخن تحت إشراف زوجته"!!

هذا ما فعله بالضبط قاسم أمين في كتابه في كل شيء أراد تزيينه وكل شيء أراد تقبيحه بانتقاء الكلمات لكل شيء حسب هواه، وعلى منواله يقتفي أثره الليبراليون والليبراليات فيزينون فسادهم وقذارة أفكارهم وقيئ آرائهم بتنميق الكلمات، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا سيكتشفها بسهولة كل من يتتبع كلامهم ومقالهم وكتاباتهم، وأنا لم أكتب هذا الكتاب إلا لأفتح ذهن القارئ وأحفز فطنته وذكاءه لاكتشاف مكرهم وخبثهم فيما يقولون ويكتبون، لأن قاسم أمين هو أستاذهم العبقري الذي على آثار مكره يهتدون وبأساليبه يقتدون.

وأنا حين أكتب عن قاسم وأساليبه وما مكر فيه في كتابه، فإني أقصد بالأساس أساليب الليبراليين والليبراليات ومكرهم في تغريب المجتمع وتحريفه عن منهج الله، وهذا ما لا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارئ أبداً فيضع الليبراليين مكان كل كلمة أكتبها عن قاسم، فهم المقصودون والمعنيون بعد أن مات أستاذهم العبقري.

الأسلوب الأول

التجهيز النفسي والحصار العقلي

استخدم قاسم أمين أسلوب التجهيز النفسي لأفكاره ببراعة في هذا الكتاب. فقبل أن يبدأ بطرح أفكاره الرئيسية بدأ يمهد للقارئ بعدة أساليب مختلفة يضرب فيها من اتجاهات شتى لتتجمع كلها في اتجاه هدف واحد وهو تجهيز القارئ ليشرب عقله ما يلقيه فيه. لقد استخدم أسلوب الحصار العقلي إلا من إتجاه وحيد لينجرف إليه القارئ دون أن يشعر.

وأول أسلوب قام به في هذا المقام هو: **تصوير أفكاره على أنه يحارب عادات وتقاليد لا علاقة لها بالدين**، وقد أسرف في هذا الأمر إسرافا، وبدأه من أول صفحات الكتاب واستمر فيه حتى نهايته، حتى لا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتابه من ذكر ألفاظ العادة أو العوائد أو العادات، وكل ذلك الإسراف حتى يزرع ويثبّت في نفس القارئ وعقله أن ما تربى عليه هي مجرد عادات وليست أحكام دين وأخلاق إسلام!!! كما أن وصفه الدائم بأنها عادات سيكون درعا أمام اتهامه بأنه يريد تغيير الأحكام والشريعة، ومن وراء هذا الدرع يستطيع أن يطرح أفكاره والهجوم على القارئ لتغيير تلك الأحكام في عقله وقلبه ونفسيته. وإنك لتتعجب حين تجمع كل الفقرات من ذلك الإسراف الذي أورده في ذكر العادات، وفي تكرار هذا الأسلوب حتى آخر صفحة من صفحات كتابه، ليبدو لك جليا من هذا الإسراف أنه كان مقصودا لذاته حتى يؤثر بنفسه في نفس القارئ، لأنه إذا استقر معناه في نفس القارئ وعقله سهل عليه أن يقنعه بعد ذلك بما يريده إن ساق إليه بعضا من أدلة وآيات وأحاديث يغالط في تأويلها ومشاهدات يفسرها كيفما يهوى، ويمنطقها حسب مراده منها.

سأقطّع لك الفقرات التي وصف فيها الأحكام التي قرر تغييرها على أنها عادات، وقد أعلق على بعض ما جاء فيها لأهميته، مع ملاحظة أنه برغم أني أكثرت من ذِكر تلك الفقرات إلا أنني لم أوردها كلها، بل قليلا منها، فقد كان لا يدع موضعا في كتابه يستطيع أن يضرب به على ذلك الوتر إلا طرق عليه بشدة وقوة، وقد اضطررت لحذف الكثير منها لكثرتها.

يبدأ كلامه بافتعال ثقة زائفة خادعة فيما يريد تغييره مما يدعيه أنه من العادات وهو لا يقصد سوى أحكام الدين التي سيعمل على نقضها فيما بعد!! فيقول في (ص:10) :

> سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة؛ فأقول نعم أتيت ببدعة ولكنها ليست في الإسلام، بل في العوائد وطرق المعاملة التي يُحمَدُ طلب الكمال فيها.

وفي نفس الصفحة يقول أيضا جملة يريد بها نزع وجوب الالتزام بتلك الأخلاقيات والأحكام من نفس القارئ :

لِمَ يعتقد المسلم أن عوائده لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، وأنه يلزمه أن يحافظ عليها إلى الأبد؟ ولِمَ يجري على هذا الاعتقاد في عمله مع أنه هو وعوائده جزء من الكون

وفي (ص:11) يربط قاسم بين العادة وبين الزمان والمكان ليصل بعقل القارئ أنه ينبغي أن نغير تلك العادات (الحجاب) لأن زماننا قد تغير:

أليست العادة عبارة عن
اصطلاح أمَّــة على سلوك طريق خاصة في معيشتهم ومعاملاتهم حسبما يناسب الزمان والمكان؟ مَنْ ذا الذي يمكنه أن يتصوَّر أن العوائد لا تتغيَّر بعد أن يعلم أنها ثمرة من ثمرات عقل الإنسان، وأن عقل الإنسان يختلف باختلاف الأماكن والأزمان؟

وفي نفس الصفحة السابقة يقول قاسم جملة ماكرة جدا يلعب بها في عقلية القارئ ونفسيته بإيهامه بأن ما سيدعوه إليه سيبدو غريبا له ومنكرا عنده، بسبب أن تلك الأحكام التي صورها غشا بأنها عادات قد تغلبت عليه فظنها من الدين:

فقد تتغلَّب
العادات على الدين نفسه فتفسده وتمسخه بحيث ينكره كلَّ مَنْ عرفه.

وفي (ص:12) يقول:

ولو كان لدين ما سلطة وتأثير على العوائد لكانت المرأة المسلمة اليوم في مقدِّمة نساء الأرض.

والفقرة الأخيرة شديدة الخبث والدهاء، فهو يقول بطريقة غير مباشرة أن ما كانوا عليه هو عادات وأن الدين لا يستطيع التغلب على هذه العادات، وهذه من افتراءاته التي ملأ بها كتابه؛ لأن الدين هو أكبر وأشد مؤثر في الشعوب، وهو الذي يقضي على العقائد الباطلة فما بالك بالعادات؟! ألم يصل الى علمه ما أحدثه الإسلام في العرب من تحولات جذرية جعلهم سادة الدنيا حين أخذوا به وما وصل إليه حالُهم حين ابتعدوا عنه؟! إنه هنا يريد أن يفصل في عقل القارئ بين الدين وبين ما يزيفه غشا أنه عادات، فيقول:

إن الدين لا يستطيع تغيير العادات ولو أنه كان يستطيع لكانت المرأة المسلمة في مقدمة نساء الأرض!!! وبالتالي فلو كانت تريد التقدم فعليها أن تترك تلك العادات. وبالفعل تركت نساء مصر وكثير من بلاد الوطن العربي ما أراد قاسم أمين لهن أن تتركه ولكنهم لم يتركن العادات، بل تركن أحكاما من دينهن بعد أن خدعهم "قاسم" وغشهن واستغل جهلهن بدينهن، وصور لهن أن الحجاب ليس من الدين.

يقول قاسم في (ص:14) في عبارة تَظَاهر فيها بالتأسف على الدين وما دخل عليه من أخلاق سيئة والتي قصد بها تلك الأحكام التي لا تعجبه فيه مثل أحكام الحجاب:

> لكن واأسفاه قد تغلبت على هذا الدين الجميل أخلاق سيئة ورثناها عن الأمم التي انتشر فيها الإسلام، ودخلت فيه حاملة لما كانت عليه من عوائد وأوهام،

وهذه عبارة شديدة المكر والخبث جمع فيها بين التمثيل على القارئ بالشفقة على ما آل إليه الدين، وبين الإيهام بأن هناك أخلاقا سيئة تغلبت على الدين، وكان يقصد أساسا بتلك الأخلاق السيئة الحجاب بنوعيه الذين طرحهما في كتابه وهما: تغطية الوجه، وعدم اختلاط النساء بالرجال وتحجبهن عنهم. ثم إمعانا في الخداع وقبل أن يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال عن منشأ تلك العادات يقول إن تلك الأخلاق قد توارثناها من الأمم السابقة.

والسؤال هنا –إن كان كلامه يحمل شيئا من الصحة–هل للقارئ أن يتفكر أي من الدول الإسلامية قبل الإسلام كان فيها أي شكل من أشكال الحجاب على الصفة الإسلامية ؟ أكان في مصر قبل الإسلام، أو في الجزيرة العربية قبل الإسلام، أم كان في العراق، أم كان في سوريا، أم في باكستان أم إندونسيا؟ إنني أتحدى القارئ أن يثبت أن الحجاب كما هو في الإسلام على أي شكل كرهه قاسم أمين كان موجودا في أي من تلك الدول قبل الإسلام.

إن الحجة الغريبة التي ذكرها قاسم بعد ذلك في (ص:38) بلا أي دليل على صحتها هو قول استقاه من أحدهم (لاروس) عن أن الخمار كان موجودا في اليونان قبل المسيحية، وكان موجودا في القرون الوسطى في أوروبا، واليونان حتى الآن لم تدخل الإسلام فلو افترضنا أنّ في كلامه شيئا من الصحة، وليس مغشوشا فما علاقة اليونان التي لم تدخل الإسلام بالحجاب الذي افترضه الله على النساء؟ أليس من المنطقي أن يستشهد بوجود الحجاب على الصفة الإسلامية في بلاد المسلمين قبل الإسلام ليكون ذلك دليلا أكثر منطقية، كما أن الخمار بمعنى القطعة من القماش التي تغطي به المرأة رأسها كان موجودا أساسا بهذا المعنى في الجاهلية وقت ظهور الإسلام ولكن النساء كن يلقينه وراء ظهورهن فيبدو منهن وجوههن وأعناقهن وصدورهن، فأنزل الله آياته في القرآن الكريم يأمرهن بضرب الخمر على الجيوب ليغطين ذلك، فقال تعالى

في سورة النور﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ (النور:31) فأطاعت كل مؤمنة أمر ربها، وانتشر بهذه الصفة في سائر بلاد المسلمين على مدى القرون، منذ عهد النبوة حتى أتى قاسم وأشباهه في فترة ضعف فيها الإيمان وقلّت معرفة الناس بدين ربهم فانتزعوه ورموا به، ولم يكن أبدا معروفا بهذه الصفة قبل ذلك في أي من تلك البلاد. بل لا يوجد أثر واحد لذلك الحجاب بهذه الصفة في التاريخ قبل الإسلام حتى في اليونان والمعروفة أصلا بعري تماثيلها، ولا يوجد أثر للحجاب بهذه الصفة في أي من آثار الأمم الإسلامية قبل الإسلام، إلا ما هو معروف عن مريم البتول والراهبات في الكنائس مما يؤكد ارتباطه بالدين، ولكنه الخلط السمج لخداع عقل القارئ الجاهل بتعاليم دينه أن الحجاب ليس من الدين بل هو مجرد عادة في الناس في تلك البلاد من قبل الإسلام، ومن الاستخفاف بعقل أناس كان يعلم أنهم سيصدقون أي شيء يقوله بأي دليل يسوقه إليهم.

تخيل أيها القارئ أن أحدهم يريد أن يقنعك أن الحجاب الإسلامي مجرد عادة ودليله على ذلك أن أغلب نساء الهند يضعون خمارا على رؤوسهن!! ذلك الخمار الذي لا يستر عنقا ولا صدرا ولا كامل الشعر إلى جانب ما يبدو من بطونهن، فهل هذا دليل على أن الحجاب على الصفة التي ذكرت في القرآن العظيم مجرد عادة من عادات الأمم؟ قد يكون دليلا عند من في قلوبهم مرض.

ولعل من غرائب هذا المخادع أنه بكل بساطة بعد ذكره هذه الحجة الفاسدة والوحيدة التي استقاها عن "لاروس" يقول بكل ثقة في عبارة تقريرية ماكرة مخادعة مضللة:(ومن هذا يرى القارئ أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصا بنا)، ثم يخادع ويمكر في الفقرة نفسها أيضا عندما يربط بين تلاشي الحجاب في الأمم وبين التقدم والترقي، وذلك الربط هو بالضبط ما كان يهدف للوصول إلى زرعه في عقل القارئ وبثه في نفسه يقول:

> ومن هذا يرى القارئ أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصًا بنا، ولا أن المسلمين هم الذين استحدثوه، ولكنه كان عادة معروفة عند كل الأمم تقريبًا ثمَّ تلاشت طوعًا لمقتضيات الاجتماع، وجريًا على سُنَّة التقدُّم والترقِّي،

وفي شأن الحجاب (وكان يقصد بالحجاب هنا عدم اختلاط المرأة بالرجال) يقول في (ص:15):

> وأهمها رسوخ عادة الحجاب في أنفس الجمهور الأعظم، ونقص تربية النساء،

ويقول في (ص:31):

عُرِفَ المصريون بعوائد وأخلاق استفادوها من حوادث تاريخية ليس هذا محلُّ ذكرها، تلك العوائد والأخلاق ليست معروفة في الدين، ولا هي موافقة لما يستحسنه العقلاء حتى من المصريين أنفسهم، وقلَّ ما يُشاهَدُ مثلها عند غيرهم.

ومن هم العقلاء؟ قد لا يعلم القارئ أن ممن عارضوه رجالٌ مثل **طلعت حرب و مصطفى كامل!!!** بل اتهمه مصطفى كامل بأنه يتكلم بلسان الاستعمار، بل إن طلعت حرب أصدر عليه كتاب (فصل الكتاب في المرأة والحجاب)، فأي عقلاء كان يعني قاسم أمين سوى من هم على شاكلته؟

وفي (ص:39) يبدأ في جهالاته الفقهية مستعملا أسلوب الإنكار بطريقة الواثق من كلامه وفيما يكتبه:

لكننا لا نجد نصًا في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة. وإنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم؛ فاستحسنوها، وأخذوا بها، وبالغوا فيها،

وفي (ص:44) يقول أيضا:

والحق أن الانتقاب والتبرقُّع ليسا من المشروعات الإسلاميَّـة لا للتعبُّد ولا للأدب بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده،

وهذه الفقرة غش في كذب وجهل مع اعتداء، وسنبرهن أن الانتقاب أو التبرقع ولبس المرأة للقفازين من الأحكام الإسلامية التي تعبدت بها النساء منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يدع مجالا لإنكاره إلا من مستكبر.

تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كنا إذا مر بنا الركبان – في الحج- سدلت إحدانا الجلباب على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه). ومن المعلوم أن كشف الوجه في الإحرام واجب على النساء عند الأكثر من أهل العلم لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن أن تلبس المحرمة النقاب والقفازين، **أخرج البخاري عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (... ولا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين)**، والواجب لايعارضه إلا ما هو واجب فلولا وجوب الاحتجاب وتغطية الوجه عند الأجانب ما ساغ ترك الواجب من كشفه حال الإحرام.

كما أن نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس النقاب والقفازين حال الإحرام يؤكد بما لا يدع مجالا لإنكاره على أن النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يُعقل وليس منطقيا أن ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ارتداء النقاب والقفازين حال

الإحرام وهما لا وجود لهما بين النساء، فإذا أضفنا إلى ذلك أن حال النساء جميعا قبل الإسلام هو التبرج وكشف الوجه والعنق والصدر وإلقاء الخمار على ظهورهن، ومن أجل ذلك نزلت آيات الحجاب، فهذا دليل لا يدع مجالا لمتشكك أن لبس النقاب والقفازين خارج حال الإحرام كان وجوده قرينا وخصيصا بدين الإسلام.

وقد قال بوجوبه الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم ومن أظهر أدلتهم قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ (الأحزاب:59).

وقد قرر كثير من المفسرين أن معنى الآية: الأمر بتغطية الوجه، فإن الجلباب هو ما يوضع على الرأس، فإذا أُدنِي ستر الوجه. وخالفهما مالك وأبو حنفية وغيرهما، واشترط الأحناف أمن الفتنة ومن أدلتهم حديث الخثعمية، وحديث المرأة السفعاء الخدين. أخرج أحمد في مسنده عن ابن عباس أن امرأة من خثعم أتت رسول الله تستفتيه يوم النحر، وكانت امرأة حسناء، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه وكان رجلا وضيئا فخشي رسول الله عليهما الفتنة فأخذ رسول الله بذقن الفضل فحول وجهه إلى الشق الآخر، ولم يأمر المرأة بتغطية وجهها، ولو باسدال جلبابها على وجهها. مستدلين بذلك على أن الوجه ليس بعورة، وليس لأنها محرمة، كما أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه العباس حين سأله لم لويت عنق ابن عمك فقال صلى الله عليه وسلم: رأيت شابا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما. فقالوا لو كان الوجه عورة لعلل صلى الله عليه وسلم في رده على العباس بأن يقول رأيته ينظر لعورتها فصرفت وجهه عن النظر إليها. وقد ردوا عليهم بأنه لا دليل على أن الخثعمية كانت كاشفة للوجه فقد توصف المرأة بأنها حسناء لقامتها. فذكر المخالفون دليلا آخر. أخرج مسلم عن جابر بن عبدالله أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطب خطبة العيد فوعظ الرجال وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، فقال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم، فقالت امرأة من سطة النساء سفعاء الخدين لم يارسول الله؟ قال لأنكن تكفرن العشير وتكثرن الشكاة. وقد قالوا أن هذه المرأة هي أسماء بنت يزيد من بني الأشهل ابنة عم معاذ بن جبل، وهي امرأة حرة وكانت شابة في عصر النبوة وماتت في خلافة يزيد بن معاوية، وقيل في خلافة عبدالملك بن مروان.

ومهما وقع فيه من اختلاف على وجوبه بين الفقهاء فلا يمكن لأحد -إلا جاهل أو صاحب هوى- أن ينكر أن لبس النقاب والقفازين يدخل في دين المرأة، سواء كان واجبا أو فضلا. فإن تغطية وجه المرأة أمر قد ثبت أنه داخل فيما تعبدت به النساء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أحكام

الإسلام سواء كان واجبا أو سنة، وهذا ما لا ينكره إلا جاهل أو منافق، وأما من ينكر الاختلاف على وجوبه من لدن صحابة رسول الله إلى السلف والتابعين ويدعي قطعيته، فهذا لا يقول به إلا متعصب.
وقد سمعت قولة عجيبة من امرأة في هذه القضية وهي امرأة منتقبة لا تنزعه عن وجهها حتى وهي في السيارة آمنة ألا يراها أحد فلم أستطع أن أرد عليها فقالت: إن الله ما كان ليترك أمرا تأثم النساء بتركه للتأويل والاختلاف بهذا الشكل.

وفصل القول في هذه القضية أن النقاب من دين الإسلام، والمرأة هي هدف الشيطان، وهدف أعداء الله، وهدف المنافقين وأصحاب الهوى وأصحاب الشهوات، وكل هؤلاء لا يريدون كشف وجه المرأة فقط بل يريدون ما هو أكثر وأبعد من ذلك بكثير، فلا عجب أن ينكر كل هؤلاء أن النقاب من الدين، وأنه من دين المرأة، لأنه ستر المرأة الأول الذي لن تكشف ما بعده حتى تكشفه، ولا عجب بعد كل ذلك من كل مؤمنة حيية أن تصون وجهها عن غير محارمها. وأحرى بكل مؤمنة ترجو الله والدار الآخرة أن تتعبد بما تعبدت به خير النساء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
يكتب قاسم في الحجاب في (ص:46) فقرة ماكرة ليشكك بها القارئ في نفسه وفي قناعاته:

> ها هي مسألة الحجاب مسألة من أهم المسائل، ولها مكان عظيم في شئون الأمَّـة.
> إذا ترك القارئ نفسه لعواطفه واستسلم إلى عوائده ظهر له الحجاب في مظهر حسن؛

(ظهر له الحجاب في مظهر حسن) وكأن الحجاب مظهر سيئ ومخبر أسوأ!!!
ويربط في (ص: 48) بين الحجاب وبين عدم ترقي المرأة بعد أن سب الحجاب ووصفه بأنه عادة سخيفة.

> آمالها وآمال الناس فيها: ولا ذنب عليها في ذلك؛ فهي عاجزة مسكينة قضت عليها عادة سخيفة بالحرمان المؤبَّـد من الترقِّي والكمال.

وأنا أترك للقارئ البحث عن حكم الاستخفاف بشعائر الدين فضلا عن سببها.

أما الفقرة التالية التي سطرها في (ص: 63 و 64) فهي فقرة عجيبة تطاول فيها بنفسه إلى درجة غريبة، وكأنه نبي أرسل بوحي من السماء إلى الناس بعد أن بدل الناس والعلماء دين الله، ولكن مِنْ أين وبأي آية وبأي دليل جاء به إلى الناس؟ وبأي علم حصل عليه لكي يتطاول بهذه الطريقة؟ أمن مدرسة الحقوق أم من جامعة مونبلييه التي أنهى فيها دراسته القانونية؟!

يقول:

ولكنهم يرون أن ما يزعمه المسلمون اليوم دينًا، وتسميه عاماتهم بل وأغلب علمائهم بدين الإسلام، قد اشتمل على أمور كثيرة من عقائد، وعوائد، وآداب موهومة لا علاقة لها

٦٣

تحرير المرأة

بالدين الحقيقي الطاهر وإنما هي بدع ومُحدَثات ألصقت به؛ فهذا الخليط الذي سمَّاه الناس دينًا واعتبروه إسلامًا هو المانع من الترقِّي.

إذاً دين الإسلام في نظر قاسم دين محرف وعلماء المسلمين قد أدخلوا عليه "عقائد" و "عوائد" و " آداب موهومة" لا علاقة لها بالدين!!! هل يتخيل أحد أن العلماء أدخلوا في العقيدة والأحكام ما ليس من الدين فجاء هو لينقيها من دين الإسلام؟!

ألا تستلفت العبارة هذا الكم من التمرد والرفض الذي يحمله قاسم أمين في نفسه اتجاه كل ما هو موجود في الدين من " عقائد" و "أحكام" و " آداب"؟ هذا ما يظهر لي جليا ولكن قاسم يخفي الكثير من ذلك الرفض بل يدعي كذبا التزامه بالشرع، وقد بدأ فقط ببعض القضايا التي رأها أساسا لتغيير المجتمع وما عليه من دين وأصول وأخلاق وقيم، مع أنه زعم مرارا في كتابه حرصه ودعوته على ما جاء في الشريعة الإسلامية، وكل هذه إدعاءات كاذبة غش بها المسلمين.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

كذلك هم الليبراليون والليبراليات لا يعتدّون بكل ما جاء في كتب الفقه وبما يقول علماء الدين من المسلمين. وإن كم الرفض الذي في قلوبهم تجاه العقيدة نفسها أكبر مما يظنه أحد من العامة، ولكنهم لا يبوحون به إلا أن تسقط به زلة من ألسنتهم. يقول أحدُهم ممن ينتمي الى الإسلام متسائلا ومستنكرا: **(مَنْ هؤلاء الذين يظنون أن الله لن يُدخل من البشر الجنةَ سواهم)**. يقصد بسواهم كل البشر الموجودين الآن من نصارى ويهود وبوذيين وملحدين، وأن الله لن يدخلهم النار كما يقول المسلمون لمجرد أنهم لا يؤمنون بالإسلام وبالرسول محمد!! بل كل هؤلاء سيدخلون الجنة أو النار حسب أعمالهم!!!

هذا شيء مما تحتويه صدورهم نحو العقيدة نفسها فضلا عن أحكامها، وإن كانوا في هذه الأفكار على درجات متباينة من الانحراف العقدي.

ومن نفس المستنقع العفن تخرج علينا إحداهن بقولها **(يوجد بالكون 6 مليار من البشر كل منهم يعبد الله حسب منظوره)!!!** إنها تعتبر أن كل البشر يعبدون الله ولا يختلفون إلا في تعبيرهم ونظرتهم إلى الله!!! هكذا بكل بساطة لا فرق بيننا وبين النصارى الذين يؤمنون بألوهية المسيح،

ولا فرق بيننا وبين البوذيين الذين يعبدون سدهارتا جوتاما الملقب ببوذا، وهو أمير تزهد وتقشف وكتب لهم التعاليم التي أصبحت فيما بعد ديانتهم، كلنا نعبد الله!!! حسب فكر هذه المنحرفة الفكر والعقيدة!!

وبرغم ذلك الانحراف الفكري عندهم الذي يشمل الدين بعقيدته وقيمه وأحكامه، إلا أنهم يتشدقون باحترام الشريعة الإسلامية وهم أكذب الناس، وأول كذبهم هو على أنفسهم التي يخادعونها لتظن أنها على شيء من الحق حتى ترتاح ضمائرهم، ثم يَغشُّون الناس بتلك المقولة، وهم لا يحملون في صدورهم تجاه الدين كله شيئا ملزما، ولا شريعة تحكمهم، كما سنبين فيما بعد مما كتبه أستاذهم.

يقول قاسم في (ص: 73) عبارة يقول فيها صراحة أن النظام العائلي للأسرة المسلمة يجب أن يتغير كي ترتقي المرأة، وكان يقصد بذلك ذلك النظام القائم على عدم الاختلاط، وعلى سبيل المثال عدم الاختلاط بين الرجال والنساء في الزيارات والاجتماعات.

> أن ارتقاء مدارك المرأة مما يساعد على كمال نظام العائلة ولكن هذا النظام نفسه — على ما به من الارتباط بالعوائد والأحكام الشرعية — له هو الآخر دخل كبير في ارتقاء المرأة وانحطاطها؛

وهنا في (ص:78) يصف التعدد بأنه عادة قديمة ترتبط بإنحطاط المرأة ونظرة المجتمع لها:

> تعدُّد الزوجات هو من العوائد القديمة التي كانت مألوفة عند ظهور الإسلام ومنتشرة في جميع الأنحاء يوم كانت المرأة نوعًا خاصًا مُعتبرَة في مرتبة بين الإنسان والحيوان، وهو من ضمن العوائد التي دلَّ الاختبار التاريخي على أنها تتبع حال المرأة في الهيئة الاجتماعيَّـة؛

وفي (ص:79) يكرر كعادته أن التعدد عادة متوارثة، ثم يزيد فيقول عن التعدد أنه مرتبط بارتقاء الإنسان من درجة الحيوانية إلى الإنسانية!!!

> ، فأقل ما فيه أنه ميل مكتسب بلغ من النفس الإنسانيِّـة بالعادة والتوارث مبلغ جميع الكمالات التي تولَّدت في نفوس أفراد هذا النوع عند ارتقائه من أدنى درجاته من الحيوانية إلى ما أُعِدَّ له من الكمال الإنساني؛

سؤال بسيط هنا: أليس من الممكن أيضا أن يقول قائل إن الزواج نفسه هو عادة توارثتها الأجيال في الأجناس والأديان والملل من لدن آدم عليه السلام؟ أليست هذه حقيقة؟ هل ينفي هذا أن الزواج هو شأن ديني ومن صميم الدين؟

رسالتي الى الشباب والفتيات:

إن استعمال كلمات " العوائد أو العادة أو العادات " وما شابهها مثل التوارث عن الآباء أو التقاليد من أخبث الأساليب التي يستعملها الليبراليون بشراهة في كلامهم ومقالهم، وهم خبثاء يريدون فقط أن يُخرجوا ما شرعه الله عن كونه أحكاما يجب الإلتزام بها إلى أنها أمور تخضع لآراء الناس ووجهة نظرهم، أو ما يتعارفون عليه من سلوكياتهم. فالتخابث هنا -أيتها الفتاة وأيها الشاب - الذي يعتمدون على ألا تلاحظاه هو أن أعظم ما تعارف عليه الناس وتوارثوه هو من صميم الدين مثل الزواج وما حرمه الله من التزاوج بين الأرحام، ومثل التوارث بين الآباء والأبناء.

وعن تعدد الزوجات يقول أيضا في (ص: 81):

> وإنه ليجمل برجال هذا العصر أن يقلعوا عن هذه العادة من أنفسهم، ولا أظن أن أحدًا من أهل المستقبل يأسف على تركها؛

وفي الفقرة التالية في (ص:97) يقول بكل بساطة أن عوائدنا لا نفهم أسبابها مستغلا جهل أكثر الناس بالأحكام الشرعية لتلك الأخلاقيات التي تربوا عليها. فالحجاب والتعدد الذين وصفهما بأنهما عادات وتنزلت بهما الآيات في القرآن الكريم يقول عنهما أننا لا نفهم أسبابها. إنه يستخدم أسلوب الإنكار وهو أسلوب فعال لخداع الجاهل بدينه إذا ضمنت أنه لن يبحث وراءك.

> إن من الغفلة بل من أسباب الشقاء أن تكون شئوننا في حياتنا قائمة بعوائد لا نفهم أسبابها، ولا ندرك آثارها في أحوالنا بل إنما نتمسَّك بها؛ لأنها جاءت إلينا ممَنْ سلفنا،

وفي (ص:98) يقول أنه يجب أن نربط كل شيء من أخلاقنا وعاداتنا فنأخذ منها وندع حسب مصلحتنا، وهذا هو ما يطلبه منا العقل والشرع، دون أن يبين من هو الذي سيحدد المصلحة، ودون أن يبين أيضا "إن كان يدري"، إن أعظم مصلحة للعباد هي إتباع شرع الله وطاعة أوامره والانتهاء عن نواهيه، وإن لم تستطع العقول إدراك كافة الحِكَم من وراء ما شرعه الله.

> فعلينا أن نأخذ من العوائد، وأن نكسب من الأخلاق ما يلتئم مع مصالحنا؛ فنكون مالكين لمصادر أعمالنا كما يطلب منا العقل والشرع،

وهو في الفقرة السابقة يقدم العقل على الشرع حتى يكون الشرع تابعا للعقل، فأي شرع هذا الذي جعله قاسم تابعا للعقل وهو يلغي ويبدل أحكام الشرع بعقله؟! وهذا هو دين الليبراليين جميعا مهما إدعوا من إدعاءات عن احترامهم للشريعة الإسلامية وأحكامها وقيمها ومبادئها، كل ذلك يخضع عندهم للعقل وللمصلحة التي يرتؤنها وليس لهم إلا قول الله تعالى ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة:140) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (سورة النساء:122)

وفي (ص:98) أيضا يصور للقارئ أن الحاجز بينه وبين السعادة هي تلك العادات، وتخيل معي أيها القارئ أي إنسان عندما يصل إلى مشاعره هذا الإحساس تجاه أحكام الله بعد أن خدعه فيها قاسم أمين فصورها له أنها عادات تحول بينه وبين السعادة وكيف ستكون رغبته في الانقلاب والتخلص من تلك الأحكام.

> إنا لا نجد عقبة في طريقنا إلى السعادة أصعب اجتيازًا من شدَّة تمسُّكنا بعادات مَنْ سلفنا من غير أن نميِّز بين تلك العادات صالحها وطالحها،

وفي (ص:99) يقول مخوفا بأننا إن بقينا على تلك العادات قضينا على الأمة الإسلامية!!

فماذا جنينا الآن بعد أن اتبعته واتبعت آراءه وآراء أشباهه من بعده أكثر بلاد الإسلام؟ فتحقق فيهم كل ما خوّفنا منه بفضل عقولهم التي لم يعجبها ما شرعه الله.

يقول أيضا في معترك الضرب على هذا الوتر:

> أمَّا التزامنا بما وجدنا عليه آباءنا، وعدم الخروج عن الدائرة التي رسموها لأنفسهم فهو القضاء على الأمَّــة الإسلاميَّــة

كل ما سبق من فقرات هي قليل مما سطره قاسم أمين عن الابتداع الذي أتى به في كتابه عن أحكام يريد تغييرها بسبب أنها عادات توارثناها عن الآباء ليست من الدين، وبكل تظاهر بالثقة ظل يضرب على هذا الوتر من أول كتابه إلى آخره البالغ مائة صفحة تقريبا، وهذا يؤكد أن ذلك كان مقصودا له في نفسه. فلو كان يملك علما كافيا يحاج به العلماء –وهو ليس كذلك– لاكتفى بمحاجتهم بالأدلة والبراهين كما يفعل العلماء مع بعضهم، ولكنها تزينت له في عقله بداية أنها أشياء غابرة لم تعد صالحة لزماننا ويجب تغييرها، فوصمها بأنها عادات توارثناها، واتخذ من ذلك إستراتيجية في زرع أفكاره وبث إبتداعاته في الأحكام والدين.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وهذه هي استراتجية الليبراليين في خلع الأحكام وتغيير أخلاق المجتمع، بتصوير كل ما يهدفون إلى تغييره على أنه ليس من الدين أو لا يجب الالتزام به في الدين، وإنما وجوبه من اختراع العلماء، أو هو تراث قديم لا يناسب عصورنا الحديثة. ودائما وأبدا يستخدمون ألفاظ العادات والتقاليد والتوارث ومسايرة العصر والحداثة، ويحاولون جعل كل ذلك فكرة في حد نفسها كتمهيد عقلي ونفسي للقارئ والمستمع لكي يسحبه دون أن يشعر لاعتناق أفكارهم المنحرفة التي ظاهرها الحرية وباطنها الكفر ونبذ أحكام الدين.

ولا يخلو كلام الليبراليين أبدا من هذا الأسلوب، ولا تجد لهم مقالة أو كتابا إلا ويعتمد أحدهم - قبل أن يبوح بهدفه الأساسي- على التمهيد بطرح أفكار أخرى الغرض منها خلخلة أفكار القارئ ومعتقداته وأخلاقياته التي تربى عليها.

وجميع هذه الأطروحات تدور حول إخراج هذه المعتقدات من كونها دينا، وتغيير صورة هذه الأخلاقيات في عقل الناس عن كونها أخلاقا، وأنه ليس هناك ما يدعو للتشبث بها، أو لا يلزمنا التمسك بها، وكل هذا الغش يصب في هذا الاتجاه الذي يريدون به كما قلنا خلخلة معتقدات القارئ وأخلاقياته. وكل هذه الأفكار هي ما سطرها لهم قاسم أمين، وهم يستخدمونها حتى الآن ويستخدمون أسلوب التمهيد الطويل قبل أن يُفصح أحدُهم عن فكرته الأساسية التي يلقيها بين آخر السطور إن كان المجتمع بعيدا عن تقبلها أو يستطرد فيها بالشرح إن كان المجتمع جاهزا لقبولها.

أما الصورة الثانية التي اتبعها قاسم أمين في إحكام الحصار حول عقل القارئ فهي: **ضرورة التغيير الذي يجب علينا اقتحامه وإلا كان مصيرنا الفناء والتخلف!!**

ولقد بدأ في كتابهِ بزرع فكرة ضرورة التغيير بصورة عامة وتحفيز نفس القارئ ضد واقع المجتمع بلا استثناء قبل أن يطرح أفكاره الأخرى ليتسنى للقارئ الحكم عليها من ناحية صحتها وخطأها. لقد كان من الطبيعي والمنهجي أن يَعرض أفكاره ثم يعقب عليها بضرورة التغيير فيها، ولكن لأن التغيير هو هدف أساسي في حد ذاته يتعدى هذه القضايا التي سيطرحها بدأ بالحديث عن التغيير وأن علينا اقتحامه من أجل التقدم ونهضة الأمة.

ولم يكتفِ بذلك للتأثير على نفسية القارئ بل صور له أنه إن لم يفعل أصابه وأصابنا الفناء والتخلف والانحطاط، وزاد على ذلك كله أن صور له أن الفرصة مواتية، فإما أن نستدركها أو لن نستطيع اللحاق بالعالم المتقدم وسنبقى في ذيل الأمم. وهكذا من ثلاث اتجاهات يسيطر على عقل القارئ ليدفعه في اقتحام

التغيير والاندفاع نحوه قبل أن يعرف ما المفروض تغييره، ليكون أكثر جاهزية في قبول أي فكرة ورأي يقلب واقع المجتمع، كما تنمو في القارئ نفسه رغبة الانقلاب على ما تعارف عليه المجتمع.

يبدأ فيقول في (ص:7):

وكل تغيير يحدث في أمَّــة من الأمم
وتبدو ثمرته في أحوالها، فهو ليس بالأمر البسيط وإنما هو مركَّب من ضروب من التغيير

وفي نفس الصفحة يقول أيضا:

وما نحن فيه اليوم ليس في الطاقة البشرية تغييره في الحال، وليس من العار علينا أننا وُجدنا في مثل هذه الحالة؛ لأن كل عصر لا يُسأَل إلاَّ عن عمله،

وفي (ص :10) يقول:

أيقدر المسلم على مخالفة سنَّــة الله في خلقه إذ جعل التغيير
شرط الحياة والتقدُّم والوقفة والجمود مقترنين بالموت والتأخُّر؟

وفي (ص:46):

كلاَمُنا الآن في هل يلزمنا أن نعيش ونحيى أو نقضي على أنفسنا بأن نموت ونفني؟

هل علينا أن نهتزَّ مكاننا ونرضى بما وجدنا عليه آباءنا والناس من حولنا يتسابقون إلى منابع السعادة وموارد الرفاهية ومعاهد القوَّة ويمرُّون علينا سراعًا ونحن شاخصون

وفي (ص:62):

فلا سبيل للنجاة من الاضمحلال والفناء إلاَّ طريق واحدة لا مندوحة عنها؛ وهي أن تستعدَّ الأمَّــة لهذا القتال، وتأخذ له أُهبَتَها، وتستجمع من القوَّة ما يساوي القوَّة التي تهاجمها من أي نوع كانت، خصوصًا تلك القوَّة المعنويَّــة؛ وهي قوَّة العقل والعلم التي هي أساس كل قوَّة سواها.

فإذا تعلَّمت الأمَّــة كما يتعلَّم مزاحموها، وسلكت في التربيِّــة مسالكهم، وأخذت في الأعمال مآخذهم، وتدرَّعت للكفاح بمثل ما تدرَّعوا به؛ أمكنها أن تعيش بجانبهم بل تيسَّر لها أن تسابقهم فتسبقهم؛ فتستأثر بالخير دونهم؛ لأن البلاد بلادها وأرضها أبر بها منها بالغريب عنها، وأبناءها أقدر على المعيشة فيها، وهم السواد الأعظم فكيف إذا ظفروا من أنفسهم بتلك الحال الشريفة لا يفلحون.

وهذه الطريق — طريق النجاة — كما قدَّمت مفتوحة أمامنا، ولا يوجد عائق يعوقنا عن السير فيها إلاَّ ما يكون من أنفسنا.

إن كل الليبراليين والمتغربين يرون أنه لا بد لنا أن نسلك طريق الغرب، أو كما يقول:"**ونسلك في التربية مسالكهم، ونأخذ في الأعمال مآخذهم**" لكي نرتقي ونتقدم، ولكني لم أجد أبدا من يسوق العبارات بهذه الشكل العبقري الجميل الخادع؛ لأن معنى كلامه الحقيقي أن نتخذ نفس الأسلوب في التعليم والعمل بكل ما فيه من اختلاط وعدم تفرقة بين الرجل والمرأة، طارحين وراءنا هذه القناعات التي تمنعنا من ذلك. وفي دهاء يضع هذا العبارة وسط عبارات التخويف من الاضمحلال والفناء ودعوة الأمة إلى القتال والسباق لحفظ نفسها من الفناء، ثم يختم بقوله أن هذه هي "**طريق النجاة**" بل يقول أيضا في (ص:72):

فإن كان للمصريين همٌّ وصدق عزيمة في طلب سعادتهم، والمحافظة على بقائهم، والسعي إلى خلاصهم ونجاتهم من التهلكة؛ فعليهم أن يسلكوا تلك الطريق، ويخلعوا عنهم كل عادة سيئة، وينزعوا من أنفسهم كل خليقة ممقوتة تعطِّل مسيرهم،

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وتحت ستار التصنع بالحرص على تقدم الأمة وازدهارها والتبشير بالنهضة والتخويف من التخلف والتأخر ينسج الليبراليون أفكارهم، وهم يريدون بذلك سحب العقول وراءهم وتثبيت عقول المنتقدين لهم عن الهجوم عليهم.

إن ما يفعله الليبراليون والليبراليات باستمرار هو الدعوة إلى التغيير والحداثة وتأجيج رغبة الانقلاب في شعور المجتمع على ما تعارفت عليه الأجيال من أصول وقيم. فهم يعلمون تماما أنهم إن اكتفوا بعرض أفكارهم والتدليل عليها بالحجج والبراهين فإن أدلتهم ضعيفة لا تقوى على الوقوف أمام العلماء، فما الحال لو أنهم يغالطون فيها ويسيئون عمدا تفسيرها.

لذلك فإن أساليب التأثير النفسي وتحريك المشاعر وحصار العقل في اتجاه معين هو أهم طريقة يستخدمونها لدفع الناس نحو أفكارهم.

إنهم يعلمون جيدا أنه لا بد لهم من خداع الناس فيما يعتقدون من أصول وأخلاق وأحكام، وخداعهم أيضا في حقيقة ما يدعون إليه حتى يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم.

والصورة الثالثة التي اتّبعها في تجهيز نفسية القارئ هي: **إظهار الغرب في أبهى صورة وأحسن حال تنتفي معها كل الانتقادات لتكون بغية للوصول إلى حالها وأسوة يقتدى بها**، يقول مثلا:

أمَّا في البلاد التي ارتقت إلى درجة عظيمة من التمدُّن فإنا نرى النساء أخذن يرتفعن شيئًا فشيئًا من الانحطاط السابق، وصرن يقطعن المسافات التي كانت تبعدهن عن الرجال:

هذه تحبو، وتلك تخطو، وهذه تمشي، وتلك تعدو كل ذلك بحسب حال الجمعية التي تنتسب إليها، ودرجة المدنيَّـة فيها؛ فالمرأة الأمريكيَّة في أوَّل صف،

فليأت قاسم أمين الآن لينظر إلى تلك المرأة التي وضعها في الصف الأول وهي تبيع نفسها إذا رأت شابا يركب سيارة فارهة فتلهث وراءه إذا أشار إليها، ولينظر إليها حين يستبدلها خليلُها بأخرى كل حين، حتى إذا وجدت يومًا رجلاً يعرض عليها الزواج بعدما يعاشرها معاشرة الأزواج حينا من الدهر تزوجته وهي لا تأمن من خيانته لها أو أن يتركها لتشقى بأولادها وحدها، وهي في كل ما سبق يجب ويلزم عليها أن تشارك في النفقة بالتساوي مع الرجل، بالرغم من أن على كاهلها من تربية الأولاد ما هو أكثر. لقد أصبحت بالفعل في الصف الأول من الانحطاط الذي لم تصل إليه أجهل الأمم المتخلفة فعلاً.

الأسلوب الثاني

التأثير العاطفي على المرأة

بما أن قضية التغيير في فكر قاسم أمين محورها المرأة فقد كان لها نصيب مخصوص مما هو أكثر من التجهيز النفسي إلى الاستفزاز العاطفي لديها بملئها بكل مشاعر الكراهية لوضعها العائلي وبالتمرد على واقعها المجتمعي، وقد أجاد قاسم بشدة فيما أراده من اللعب على عاطفة المرأة اتجاه الرجل واتجاه المجتمع وأحكام الإسلام.

لقد كان قاسم بارعًا في إشعار المرأة بأنها تعيش في حالة احتقار وفي ظلمات بيتٍ صوّره لها بالسجن. وفي إلحاح متواصل صوّر لها العلاقة القائمة بينها وبين الرجل في المجتمع المسلم آنذاك على أنها تقع تحت قهره واستبداده، وأنّ القضية برمتها هي قضية سجن من الرجل للمرأة وقهر منه لها، وعدم ثقة منه فيها واحتقار منه لها.

لقد كان قاسم مصراً ألا يفهم أبدا أن كل ما في المجتمع من سلبيات تجاه المرأة كان بسبب البعد عن قيم الإسلام وتعاليمه، وبالطبع ما كان له أن يُصوّر الأمر كذلك، لأن هدفه هو تغيير تلك القيم والأحكام التي شرعها الله لتتوافق مع ما رآه في الغرب، ومع ما وضعه في ذهنه من فكرة المساواة التامة بين الرجل والمرأة، بلا أي اعتبار لدين وأحكام شرعٍ نزل من عند رب العالمين.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

كذلك هم الليبراليون، إحدى أهم نقاط خطتهم الخبيثة لتغيير المجتمع وتغيير واقع المرأة هو شحنها بأحاسيس القهر والاحتقار وكل المشاعر المضللة في واقعها، بتصوير وضعها في هذا الواقع أنه سجن أو قهر تعيش فيه ليستفزونها للانقلاب عليه، والسعي للتخلص منه. وهم لا يتوقفون ليلا ونهارا في مقالهم وكلماتهم وعباراتهم عن بث كل أنواع التمرد والنفور في نفسية المرأة من واقعها الاجتماعي، بما فيه واقعا أرسته الشريعة مثل ولاية الأب على ابنته والزوج على زوجته.

هذه الولاية التي ما شرعها الله إلا من أجل صيانة المرأة وخدمتها ووقايتها، ولكنهم يتعامون عن ذلك ولا يبحثون فيها أصلا لأنها لا تعنيهم بداية، بل إن ما يعنيهم هو التخلص من أحكام الإسلام التي ينظرون إليها على أنها أمرٌ قد مضى زمانه.

وبأي حجة من الحجج الواهية المضللة وبأي انتهاز لخطأ من زوج أو أب يحاولون إلغاء هذه الولاية التي شرعها الدين، وهم بالطبع لن يُعدموا إيجاد قصةٍ لزوج أو أب أساء استعمال هذه الولاية التي شرعها الله رب العالمين فيتخذونها حجة في الدعوة إلى إلغاء هذا الحكم، وكل ذلك

ليس له إلا هدف واحد وهو أن تخرج المرأة بعيدا وحدها، وتسافر وتهاجر وحدها، بل وتعيش وحدها إن أحبت، بلا أي موافقة أو مرافقة أو دنو من قريب، وبغيتهم النهائية هو إطلاق المرأة بعيدا عن الرجل القريب لتكون حرة قريبة من الرجل البعيد، وحرة طليقة في المجتمع بين الرجال، فهم يريدونها بينهم أصلا وحدها بعيدا عن رجل يخافون وجوده وقربه.

ولو بحثوا في الولاية -وهم أعمى بصيرة من ذلك- لعلموا أن الولاية شرعها الله ربّ العالمين ليكون الرجل قريبا من المرأة ليقوم على حاجتها إن احتاجت، وليدفع عنها الأذى إن شعرت بدنو الأذى منها، وهذا هو حال وواقع الولاية فعلا في المجتمع المسلم إلا الشاذ من المسلمين الذي يسئ استخدامها، وعندئذ ستجد الليبراليين يقعون على ذلك الشاذ كما يقع الذباب على الجروح والدمامل. وشتان بين الذباب الذي يقع على الجروح والدمامل فلا ينال الإنسان منه إلا المرض والأذى -وهم كذلك- وبين النحل الذي لا يقع إلا على كل زهر وطيب فلا ينال المرء منه إلا كل عسل وتلقيح للأزهار. ولكن هؤلاء الغششة يبحثون عن نحل لسع صاحبته ليتخذوا من ذلك ذريعة لقتل النحل والتخلص منه كله، ثم يأتون المرأة وهم يمثلون دور المشفق الخائف عليها فيزينون لها الباطل ويقبحون في عينها ما جعله الله من أجلها صيانة وخدمة وتشريفا.

ومن ذلك التقبيح هو تشبيههم للولاية بأنها وصاية للرجل عليها، والوصاية لا تكون إلا على من هو فاقد للثقة والأهلية لتشعر الفتاة بأن المجتمع المسلم والشريعة تضعها هذا الموضع، وكذب هؤلاء الشياطين فيما يصورونه. ومن ذلك التزيين الذي يخدعون به الفتاة هو أن من حقها المساواة في عصر قد ترقت المرأة فيه وتعلمت وتثقفت ولم تعد تحتاج فيه إلى وصاية من الرجل مثل العصور الغابرة، وهذا بالطبع من غبائهم في فهمهم لما شرعه الإسلام الذي لا يعنيهم فهمه أصلا، ولا يعنيهم إلا الوصول إلى تلك المساواة التي لا تراعي شيئا مما شرعه الله رب العالمين.

والجدير بالذكر أننا عندما نرفض تلك المساواة التي لا تراعي ما شرعه الله عز وجل والتي هي دين الليبراليين والليبراليات، فإن ذلك لا يعني أن المرأة لا تساوي الرجل، بل هما متساويان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن النساء شقائق الرجال " (أخرجه الترمذي). ولكنّ هذه المساواة التي شرعها الله راعت ما فطرهما الله عليهما، وأوجب على كل منهما ما يناسب التركيب الجسدي والنفسي لكليهما. ولا يمكن لأحد أبدا أن يقول إن المرأة في تركيبها الجسماني والنفسي والعاطفي والهورموني مثل الرجل، ولا أفضّل هنا الرجل على المرأة بعضلاته أو بحزمه، فالمرأة على ضعفها أطول صبرا وأشد تحملا من الرجل، وأحنى عاطفة من الرجل، وأكثر قدرة على امتصاص ألم الغير من الرجل.

لقد استخدم قاسم أمين أسلوبا كان شديد الأثر في زرع هذه المشاعر المضللة داخل نفسية المرأة جعَلَتها تنظر إلى بيتها كأنه سجن، وتشعر أن في منع الاختلاط بينها وبين الرجل عدم ثقة فيها وفي عفتها، وجعلها تشعر أن في النقاب احتقارا لشخصيتها، وجعلها تشعر أن في عدم خروجها للعمل احتقارا

لشأنها. وهذه كلها كانت مشاعر مضللة خدع بها المرأة في حالها ليخرجها من بيتها وسَكَنِها إلى تعبها وشقائها كما سنبين فيما بعد.

يقول في إحدى عباراته الخادعة الكاذبة في (ص:14) التي سبكها من أجل بث الإحساس بالقهر والظلم في نفس المرأة والتي هي مثال مما يحتذيه الليبراليون عند سبك عباراتهم الخبيثة ليخدعوا بها المرأة:

> وأُختُصَّت بالجهل والتحجُّب بأستار الظلمات، واستعملها الرجل متاعًا للذة، يلهو بها متى أراد، ويقذف بها في الطرق متى شاء، له الحرية ولها الرق، له العلم ولها الجهل، له العقل ولها البله، له الضياء والقضاء ولها الظلمة والسجن، له الأمر والنهي ولها الطاعة والصبر، له كلُّ شيء في الوجود وهي بعض ذلك الكلِّ الذي استولى عليه.

من يقرأ تلك الكلمات يظن أن المجتمع آنذاك كان كل الذكور فيه متعلمين وكل الإناث فيه جاهلات، والواقع ساعتها والإحصائيات تبين أن أكثر من تسعين بالمائة من الذكور كانوا غير متعلمين وأكثر من ذلك في الإناث، ومع ذلك كان تعليم الإناث ومدارسُهم موجودا آنذاك، وليس أدل على ذلك وأوضح مما زل به قلمه في نفس الكتاب فقال إن هناك تعليما للمرأة باللغة العربية وباللغة الأجنبية ولكنه غير كاف!!

فإذا كان هذا هو حال المجتمع على العموم آنذاك، فلم اختياره لكلمة (اختصت)؟! أليس من أجل تضليل مشاعرها اتجاه واقعها؟

وظل بعد ذلك بنفس الأسلوب يطرق على مشاعر المرأة بعبارات متتالية عن وقوعها تحت الرق والجهل والظلمة والسجن، إمعانا في تثبيت وتضخيم تلك المشاعر عندها، كل ذلك حتى يملأها بالرغبة بالانقلاب على واقعها، والاندفاع نحو الخروج بغض النظر عن سبب خروجها وحاجتها إليه، وضاربة بحجابها الأرض.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

وهذا ما يفعله الليبراليون دائما من تضليل لمشاعر المرأة تجاه واقعها إن كانت تعاني فيه من مشكلة، فبدلا من تفسير هذا الواقع تفسيرا صحيحا متناسقا مع أسبابه يعملون على إسقاط الواقع كله على أنه موجه بصورة مخصوصة ضد المرأة.

فالهمّ الأكبر لليبرالي ليس هو حل مشكلات المجتمع كما يدعون ويتشدقون -لأنهم كذابون مخادعون- بل همّهم الأكبر هو أن يدفعوا في اتجاه وحيد تتحلل فيه المرأة من بيتها وحجابها وعائلتها وزوجها وأحكام دينها، وهم في سبيل ذلك يخدعونها بتضليلها في واقعها وحياتها وإسلامها، ويخدعونها بمعسول الكلام عن حريتها وكرامتها وتحقيق ذاتها.

يقول قاسم في (ص:14) في معرض التمهيد لتقبيح تعدد الزوجات الذي أفرد له فصلاً في نهاية الكتاب:

> من احتقار الرجل المرأة أن يملأ بيته بجوارٍ بيض أوسود أو بزوجات متعدِّدات يهوي إلى أيهن شاء منقادًا إلى الشهوة، مسوقًا بباعث الترف وحب استيفاء اللذة،

ويقول في (ص:15):

> من احتقار المرأة أن يحال بينها وبين الحياة العامَّـة والعمل في أي شيء يتعلّق بها؛ فليس لها رأي في الأعمال، ولا فكر في المشارب، ولا ذوق في الفنون، ولا قدم في المنافع

من الذي حال بين المرأة وبين أن تمارس دورا في الحياة العامة يناسبها، وهل منع الإسلام امرأة مثلا من أن تؤدي دورا في الأعمال الخيرية؟!، ولكن الأعمال العامة التي كانت في ذهن قاسم أمين هي تلك الصالونات الأدبية والفنية التي يجتمع فيها الرجال والنساء مختلطين وكان المجتمع في جُلّه يعيب عليها ولا يقبلها آنذاك، وكان يقصد أيضا اقتحامها ميدان السياسة بالمخالطة وليس بإبداء الرأي، ومن أجل ذلك اتهم المجتمع أنه يحتقر المرأة بعدم السماح بذلك، وكان يريد أن يشعر المرأة باحتقار المجتمع لها إن لم تشارك في كل شيء مثلها مثل الرجل بلا تحفظ، ويكفي أن أول من نزع الحجاب وألقاه هنّ المتظاهرات اللاتى خرجن في ثورة 1919م ضد الاحتلال في ربط غريب لم يعرف أحد سببه في هذه اللحظة، وحتى قال الكثيرون إنها كانت مؤامرة لنزع الحجاب، ولكن الحقيقة أن قاسم أمين كان قد بث في أنفس النساء بكتبه سمومَ أفكاره، رابطا بين الحجاب وبين احتقارهن من المجتمع وبين حقهن في المشاركة في الحياة العامة وعلى رأسها السياسة، وزرع في أنفسهنّ أن تخلصهنّ من الحجاب ومواجهتهن للمجتمع ومشاركتهن في الحياة العامة بما فيها السياسة هو سبيل رقيهن ورفعة شأنهن، وهو سبيل التغيير اللازم اقتحامه، فكان هذا التعبير الأحمق عن هذا الرقي يوم خرجن ضد الاحتلال هو إلقاء هذا الحجاب على الأرض، وكأنهنّ كان يقلن للاحتلال لقد تغيرنا وتخلصنا من التخلف وسنتخلص منكم، ولا يعلمون أنهم بذلك قد ملئوا قلوب المحتلين سعادة بوضعهنّ أحكام الدين وراء ظهورهنّ.

تأمل في الفقرة التالية في (ص:20) كيف حول البيت في المشاعر إلى سجن دون أن ينطق بها صراحة، مستخدمًا في ذلك كلمات أدبية وعبارات فنية يخدع بها المرأة ويزّين لها الباطل الذي يدعوها إليه، كأنه تزيين وتسويل كفعل الشياطين.

أي نفس حسَّاسة ترضى بالمعيشة في قفص مقصوصة الجناح مطأطئة الرأس، مغمضة العينين، وهذا الفضاء الواسع الذي لا نهاية له أمامها، والسماء فوقها، والنجوم تلعب ببصرها، وأرواح الكون تناجيها وتوحي إليها الآمال والرغائب في فتح كنوز أسرارها؟

ويقول في (ص :48) في معرض تقبيحه للحجاب وهو يعني به عدم اختلاطها بالرجال مدعيا أنه سبب لتخلف المرأة:

ولا ذنب عليها في ذلك؛ فهي عاجزة مسكينة قضت عليها عادة سخيفة بالحرمان المؤبَّـد من الترقِّي والكمال.

فعدم الاختلاط بالرجال هو الذي قضى عليها بالحرمان من الترقي والكمال!! فأي ترقي هذا الذي وصلت به المرأة إلى أن أصبحت في البلاد الغربية صورة لسلعة، أومومسا برخصة، أو خليلة تستبدل كل حين؟!! وإذا كان المقصود هو العلم والعمل، فما علاقتهما إلا أن يكونا في اختلاط بالرجال؟ إنه لا علاقة لهما إلا في عقل الذي في قلبه مرض.

ويقول في معرض أهمية التربية في (ص:85) لاعبا بمشاعر المرأة موحيا إليها بمعاني كثيرة في جملة واحدة ماكرة فيقول: إن زوجك لن تملأي قلبه ما دمت جاهلة، ثم يربط في مكر بين جهلها واحتجابها من الرجال الذي ذكره صراحة في تلك العبارة:

متى تهذَّب العقل ورقَّ الشعور في الزوج؛ وجد من نفسه أن لا سبيل إلى اطمئنان قلبه في عشرة امرأة جاهلة مهما كان الحائل بينها وبين الرجال.

فما العلاقة بين الجهل والاحتجاب من الرجال وبين العلم والثقافة ومخالطة المرأة بالرجال؟! ولماذا لم يتوقف جهل الرجال وتعلمهم وثقافتهم على مخالطة النساء؟!!!

إنه الربط العجيب المزيف واللعب بعقول ومشاعر المرأة لتندفع خارجة من بيتها بلا تعقل أو تريث، نازعة حياءها لتجالس الرجال وتخالطهم وتعمل معهم كتفا لكتف، بلا حاجة سوى أن تشعر بأنها حصلت على حريتها المزيفة ورقيها الواهم الذي خدعها به قاسم أمين.

يقول قاسم في (ص:52):

> والحقيقة أننا نعمل عمل مَنْ يعتقد أن النساء عندنا لسن أهلاً للعفَّة، أليس من الغريب أن لا يوجد رجل فينا يثق بامرأة أبدًا مهما اختبرها ومهما عاشت معه؟ أليس من العار أن نتصوَّر أن أمهاتنا وبناتنا وزوجاتنا لا يعرفن صيانة أنفسهن؟ أيليق أن لا تثق بهؤلاء العزيزات المحبوبات الطاهرات وأن نسيء الظنَّ بهنَّ إلى هذا الحدِّ؟

هل يتخيل أحد أن رجلا منا لا يدع أمه تخرج من البيت وحدها لعدم ثقته فيها، لقد أمعن قاسم في محاولة الضغط بكل قوة على مشاعر الناس لكي يتخلوا عن فكرة قرار النساء ببيوتهن، وأن تخرج النساء لتذهب حيث تشاء مهما كان السبب ولو كان السبب من أجل الخروج في حد ذاته. لقد كان يمعن في تصوير القضية برمتها أنها قضية رجل يحبس أو يمنع أمه أو زوجته أو أخته من الخروج لعدم ضمان عفتهن أو قدرتهن على صيانة أنفسهن، وليست القضية قضية إسلام وقرآن أوصى نساء المسلمين أن يقرن في بيوتهنّ.

وليس أدل على كذب ما سطّره من أنه لا أحد أبدا يتصور أن قرار أمه ببيتها إنما هو من الشك في عفتها، أو أنه إذا رافقها في سفر فإنما من أجل الشك في قدرتها على صيانة نفسها من المغريات وليس من أجل حمايتها وخدمتها.

لقد كان قاسم يمكر بعقل ونفسية الرجل بأسلوب غير مباشر، ويطرق بمكر وأسلوب رخيص ذاكرا أمه ليقول له ما يمنعك من رفض خروجها لولا أنك تشك في عفتها، وبالطبع ما ينطبق على الأم ينطبق على البنت والزوجة، وأيضا فهو يعلّم النساء ما يقلنه للرجال إذا رفضوا أن يتحللن من بيوتهن فتقول الزوجة ألا تثق بي، وتقول الابنة ألا تثق بابنتك التي ربيتها.

يقول في (ص:67):

> المرأة ميزان العائلة؛ فإن كانت منحطَّة احتقرها زوجها وأهلها وأولادها وعاشوا جميعًا منحلِّين لا يرتبط بعضهم ببعض، ولا يعرفون نظامًا ولا ترتيبًا في معيشتهم؛ فتفسد آدابهم وعوائدهم، أمَّا إن كانت المرأة على جانب من العقل والأدب هذَّبت جميع العائلة، واحترمها أفرادها.

قال ذلك في معرض كلامه عن أهمية تعليم المرأة متخذا من ذلك الحق ستارا لما يريده من تزيين الخروج للمرأة والاختلاط ورفع الحجاب عنها، ومن أجل ذلك كان يستدل بأي منطق يعضد به ما في رأسه ويغمره بمشاعر مضللة في نفس المرأة، ومن ذلك هذه الفقرة السابقة التي تحمل كلاما ظاهره جميل ورائع،

ولكن يكذبها واقع الأجيال السابقة التي كانت أشد احتراما وبرا بأمهاتهم "الجاهلات" أكثر مما نراه اليوم من شباب وفتيات متعلمات لأمهات متعلمات أعلى التعليم، فإن قيل إن ذلك من سوء التربية، فلم هذا الربط الشنيع الذي لم يُعرف أبدا عن احتقار ولد لأمه لأنها جاهلة والذي استخدم لوصفها لفظة "منحطة". نعم قد تكون المرأة أمية ولكنها قد تكون على دين وأخلاق ستعلمها على ماذا تربي أبناءها، وقد تكون متعلمة ولكنها رقيقة الدين منزوعة الحياء، فتلك التي تُخرج أجيالا لا يحترمونها ولا يوقرونها وتكون رائدة أسرة مفككة. وأي شيء أشد رقة في دين المرأة من خروجها من بيتها نازعة حياء وجهها واللباس عن جسدها مخالطة للرجال في كل الميادين بحاجة وبغير حاجة وقد نسيت قول الله تعالى ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: 33) مثل ما نراه اليوم من اختلاط وسفور.

إن الانحطاط الحقيقي هو فقدان المرأة لدينها، وليس مع انحطاطها في دينها رفعة أو رقي ولو حازت كل الشهادات العلمية. إن الانحطاط الحقيقي هو عصيانها أمر ربها ووصايا رسولِها، ولرُب امرأة أمية لكنها بدينها وحيائها وعفتها خير من تلك بشهاداتها العلمية، وكم رأينا من أمهات أميات ربين أعظم الرجال الذين يذكرون فضلهن وقد كن يلزمن بيوتهن ويحفظن حياءهن، وما انتقص ذلك من قدرهن وما كن يرين أنفسهن محبوسات أو مسجونات كما دأب قاسم في كتابه يصورهن، بل إني رأيت إحداهن امرأة كبيرة في السن في أيامنا هذه ترخي غطاء رأسها على وجهها عندما مرت على جمع من الرجال وما كان عليها مستعتب لو لم تفعل، ولكنه الحياء الذي تربت عليه وأبى قاسم أمين إلا أن يمزقه ويصوره على أنه غطاء العقل وحجاب التخلف وأنها لبسته قهرا !!!

وهذا الذي أقوله لا يقلل من ضرورة التعليم للنساء، ولكنني أبين هنا كم كان قاسم يتلاعب بالكلمات ويتخيل وقائع وصورا لم تكن موجودة أصلا فأوجدها هو بما زرعه في أنفس الناس من عدم احترام لأحكام الدين وشريعة الإسلام.

يقول أيضا في (ص-:76) في معرض كلامه عن الزواج قديما الذي كان يتم دون أن يرى كلا الزوجين بعضهما قبل العقد خلافا للسنة:

> ولكن ما دامت المرأة على ما هي عليه اليوم من الجهل فالزواج لا يكون — كما هو الآن — إلاَّ شكلاً من الأشكال العديدة التي يستبدُّ بها الرجل على المرأة.

إذا كان ما يوصف بأنه استبداد من الرجل للمرأة أن تتزوج دون أن تعرف مَن خطبها ولم تعرف عنه إلا ما سمعته، فما هو الوصف الذي يوصف به الرجل الذي تزوجها دون أن يراها ولم يعرف عنها إلا ما

سمعه؟، أليس من العدل أن يوصف أيضا أنه أُستبد به أيضا. لقد كان حال المرأة آنذاك في المجتمع مثل حال الرجل، وحال الرجل مثل حال المرأة، كلاهما واقعان تحت جهل المجتمع وتركه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قاسم أمين يعلم ذلك تماما وأشار إليه، ولكنه كان يستخدم في جانب المرأة تصويرا يثير مشاعرها ويؤصل فيها الإحساس بالقهر، خاصة من قبل الرجل ليستفز فيها مشاعر التمرد والانقلاب على وضعها الإجتماعي برمته، وتلك كانت نقطة أساسية عنده في تغيير القناعات والأفكار والسيطرة عليها لقبول أفكاره دون كثير مراجعة أو تحليل، بشحن عواطفها في تجاه ما يريد ليكوّن منها موجة عارمة تزيح أمامها كل القناعات ولو كانت أصلها ومنبعها من الدين، ولا يثبت أمامها إلا من هو على قدر متين من علم وإيمان ودين، فإذا أضفنا إلى ذلك قدرته على سبك أدلة منتقاة من الشرع وحسن بيان في عباراته ومهاراته في تأليف أسباب ظاهرها منطقي فإن كتابه قد صنع هزة ثقافية شديدة للمجتمع المصري آنذاك وبدأت روح التغريب فيه تتحدى المجتمع، بعد أن قدم لهم قاسم أمين ما يستطيعون به إقناع أنفسهم بما تريده أهواؤهم وما يستطيعون به المجادلة بالباطل عن أنفسهم أمام المجتمع، وما كانوا يستطيعون قبل ذلك نطقا إلا عيا من كلام لا يؤثر عظيم تأثير.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

إذا قارنت بين ما جاء في كتاب "تحرير المرأة" وبين ما يلوكه ويعيده الليبراليون والليبراليات ليلا ونهارا من أسباب وتحليلات واستشهادات، وما يستخدمونه من أساليب لوجدتها جميعا لا تخرج عما أتى به قاسم أمين وما نسجه لهم.

فأسلوب الطرق على مشاعر المرأة لتشعر في نفسها بقهر المجتمع لها هو الأسلوب الثابت لهم، ولا يفتأون يتحدثون عن المجتمع الذكوري أو تهميش الرجل للمرأة واضطهاده لها، والغريب أنهم لا يتوقفون عن ذلك حتى في البلاد التي وصلت أن أصبحت بعض النساء فيها إن شئن يمشون بحريتهن شبه عاريات في الشارع أو عاريات فعلا على الشواطئ، لأنهم لم يروا بعدُ كل نسائها وفتياتها عراة.

فهم لا يرتاحون ولا يرتاح لهم فكر وهم يرون أي ظاهرة للتمسك بالحجاب أو الالتزام بشرع الإسلام في أي مجتمع، وإنه لأحمق من يظن أنهم يريدون أن تحصل المرأة على حريتها في التصرف واللبس والخروج وفقط، لأنهم لا يقبلون بوجود الحجاب أصلا ولو تحت مبدأ الحرية التي ينادون به إلا في بداية أمرهم. فإذا تمكنوا من البلاد وعلا عليها وتحكم فيها من هو على شاكلتهم لم يعدموا حججا وأسبابا ينسجونها لكي ينزعوا من على وجه المرأة ورأسها حجابها بل ويطالبون بقانون يمنعه.

إن الليبراليين والليبراليات حين يتحدثون عن الحرية فهم أكذب الخلق لأنهم يريدون حرية التحلل من الدين ولا يريدون حرية التمسك به، لأنهم يرون في عميق أنفسهم أن التمسك به جهلا وتخلفا وتمسكا بالعادات، ورجعية يجب أن يتخلص المجتمع منها من أجل التقدم

المزعوم، ولذلك لو سيطروا وتمكنوا من الأمر لم يتركوا رجلا متدينا أو امرأة متدينة ليُظهرا شعائرهما ويدعوا إليه إلا ما كان أمرا يسيرا تافها لا يشعرون معه بالخطر.

الدليل على ذلك أوروبا نفسها رائدة الفكر الليبرالي والعلماني التي اتخذت من ذلك الفكر سلاحا ثقافيا لغزو الشعوب لتغييرها، فلم تكن تبالي بالحجاب وغيره من المظاهر الإسلامية في المسلمين الذين يعيشون بينهم بل تتفاخر باعطائهم تلك الحرية، فلما أحسوا بزيادة أعدادهم خافوا وبدأت الأصوات تتعالى شيئا فشيئا بأن ذلك يعد انتهاكا للنظام العلماني للبلاد وخطرا على الفكر الليبرالي للمجتمع، وبدأت الأيادي الخبيثة والإعلام القذر يؤدي دوره في تغيير نظرة مجتمعهم الذي يقدس حرية الفرد إلى الحجاب والمسلمين، وقد بدأ التضييق على المسلمين وتشويههم رويدا رويدا بخطوات محسوبة ومتضاربة مقصودة لكي لا يبدو انقلابا على نظامهم الليبرالي، لأنه كما قلت إن حقيقة الليبراليين أنهم لا يقبلون بأي مظهر من مظاهر الدين إلا شيئا تافها لا يشكل خطرا عليهم يستخدمونها للإدعاء برقي مبادئهم ليسهل عليهم خداع الشعوب فيها لتغريبها.

يقول قاسم في (ص:78):

تعدُّد الزوجات هو من العوائد القديمة التي كانت مألوفة عند ظهور الإسلام ومنتشرة في جميع الأنحاء يوم كانت المرأة نوعًا خاصًا مُعتبرَة في مرتبة بين الإنسان والحيوان،

وأنا لا أدري كيف أعلق على هذه العبارة وكيف أصف هذا الرجل بعد ما قاله فيها، ولا أدري أكان واعيا تمام الوعي لما كان يكتب وأن ذلك اجتراء منه على الله عز وجل. فبعد أن صرف تعدد الزوجات من أنه حكم في كتاب الله إلى أنه لا يتعدى كونه من العوائد القديمة إذا به يربط بينه وبين أن تكون المرأة في مرتبة بين الإنسان والحيوان، وكأن الله الذي قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الاسراء:70) شرع في كتابه ما يهين المرأة إلى هذا الحد ويضعها في مرتبة بين الإنسان والحيوان.

أيتها الفتاة: إن الله ما شرع أمراً في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا وفيه الخير للمجتمع، وإنّ الحُكمَ الفصل في حكم تعدد الزوجات الذي شرعه الله هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة:140). والسؤال للكِ أيتها الفتاة: أقاسم أمين وأشباهه من الليبراليين أعلم أم الله؟!

نعم إن التعدد مما تكرهه المرأة لنفسها كما يكره الرجال الحرب لما فيها من إتلاف الأنفس والأبدان وضياع الأموال وقد أنزل الله في ذلك قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ

﴿خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:216) فتأملي أيتها الفتاة قوله تعالى في نهاية الآية "وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"

لقد سرد قاسم فقرات عديدة في تشويه حكم التعدد وجعل فِعْله تصرف شهواني من الرجل وظلم ومهانة للمرأة، فهل شرع الله التعدد من أجل إشباع شهوة الرجل مع إهانة المرأة؟!

إذا كان ما شرعه الله من التعدد لإشباع شهوة الرجل كما زيف قاسم، أفلم تكن الجواري كافيات لسد هذه الحاجة عند الرجل، وله أن يستبدل واحدة بعد أخرى كل حين بلا عدد محدد وهن أقل مؤنة ومسؤولية. أليس هذا المثال مدعاة لك لكي تتفكري في حكمة الله مما شرعه من التعدد؟

وإن افترضنا أن في التعدد ظلم للزوجة الأولى فما الرأي في الزوجة الثانية؟ أظلمت هي الأخرى بالتعدد؟! وما الذي دفعها لتقبل بأن تكون زوجة ثانية وغالب هذا الأمر مكروه لكل أنثى؟

والسؤال هنا: ماذا لو كانت الزوجة الثانية هي الأولى وأن الزوجة الأولى هي التي لم تتزوج وأحاطت بها الظروف والأحوال لكي تقبل بأن تكون زوجة ثانية؟ أفيكون الظلم مرتبا عندئذ على الأولى منهما؟!!

أيتها الفتاة المؤمنة: اعلمي أنه ما كان الله ليشرع شيئا فيه مهانة وظلم واحتقار لكِ كما يصف لكِ الليبراليون في مغشوش كلامهم، ومن ذلك ما يقولون إن المرأة لا ينبغي أن تبني سعادتها حسابا على سعادة امرأة أخرى، متعامين عن هذه المرأة الأخرى التي قبلت بأن تكون زوجة ثانية وعن شقائها في بقائها بدون زوج، وأن الأولى إن شقيت بتعدد زوجها إنما هو نابع من أنانيتها الفطرية للاستئثار بزوجها وليس لوقوع الظلم فعلا عليها. أما الأخرى فما كانت لتقبل في غالب الأمر إلا لظروف وأحوال دفعتها لذلك إلى جانب حقها في ألا تحرم فرصة الزواج.

إن فيما شرع الله من تعدد الزوجات حكمة من الله تعالى، وإن الله حين يضع تشريعا فإنه يضعه لكافة الناس وللمجتمع، وهو عز وجل أعلم بما هو خير لهم جميعا، وهو لا يضع تشريعا ليكون لكِ وحدك حتى ترفضين منه ما هو مكروه لكِ، بل إن دليل الإيمان بالله تعالى هو قبول ما شرعه الله سواء كان مكروها أو محببا إلى النفس، ولقد حفت الجنة بالمكاره.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

لا تتركوا هؤلاء المخادعين يلعبون بمشاعركم ويمكرون بأحاسيسكم ويسخرون من عقولكم بتلك العبارات التي يمكرون فيها من أجل تغيير أفكاركم وما تربيتم عليه من قيم دينكم وأخلاق إسلامكم. كونوا بعقولكم وذكائكم أكثر فطنة من ذلك وانتبهوا إلى لب فكر الليبرالية والليبراليين

والليبراليات، فهم يعتبرون كل ما شرع الله وكل ما جاء في الدين من قيم وأخلاقيات وأصول أمورا قد مضى زمانها ولا تصلح لهذا الزمان.

تلك عقيدتهم الثابتة التي يخبئونها داخل صدورهم ومن أجلها يفسرون القرآن والسنة ويبحثون في اختلاف الفقهاء بما يبيح لهم مراد أهوائهم لا من أجل الحق واتباعه. وأما دينهم فهو ما تستحسنه عقولهم، فما يرونه حسنا صالحا نافعا فهو الشرع الذي يجب أن يُتبع وما عداه تخلف ورجعية، فلا تنخدعا بهم فهم سيستدرجونكم بعيدا عن دينكم وعن ربكم رب العالمين بعد أن يغوونكم بآمال زائفة ويزينون لكم باطلهم كما يزين الشيطان باطله كما جاء عنه في الكتاب الكريم:

﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الحجر:39)

الأسلوب الثالث

خدعة التربية

لقد سطر قاسم أمين كماً كبيرا من صفحات كتابه في أهمية تربية المرأة لها ولأسرتها ومجتمعها. ولا خلاف في أن تربية المرأة والرجل أيضا هي الأساس في نهضة ورقي أي مجتمع وسعادة أي أسرة وتحضر أي إنسان. ولكنّ قاسم كان يتكلم عن تربية المرأة فقط دون أي التفات إلى أن المجتمع حينها وما زال يحتاج إلى تربية الرجل كما يحتاج إلى تربية المرأة، ويحتاج إلى تربية المرأة كما يحتاج إلى تربية الرجل، ولو كان قاسم يريد فعلا نهضة المجتمع لتحدث حين تحدث في التربية على أهمية تربية كل منهما سواء بسواء. لكنه لم يفعل، وما كان يبالي أن يفعل فقد كان همُّه فقط أن يكتب ويُكثر في الكتابة عن تربية المرأة لأن له هما وغرضا آخر من وراء ما سطره في شأن تلك التربية للمرأة خاصة.

لقد كان يريد بكل ما سطرّه عن التربية أن يصل إلى أن يبث في نفسية المرأة أساسا والرجال أيضا أن الحافظ الوحيد للمرأة هو التربية. والتربية التي يعنيها لا علاقة لها بتربيتها على إسلامها وأحكام دينها بل يعني بها قوة أخلاقها في المحافظة على نفسها فقط. وبتوضيح أكثر: كان يريد أن يقول أن أحكام الحجاب والاختلاط لن تمنع المرأة من الرذيلة وأن المرأة تستطيع أن تحافظ على نفسها مهما خالطت الرجال فالأمر يرجع إلى التربية التي لا تشتمل عنده على الالتزام بأحكام الإسلام.

لقد كان يريد أن يزرع في النفوس أن لا أهمية ولا تأثير لأحكام الله التي فرضها في الإسلام لصيانة المرأة والمجتمع مثل الحجاب وعدم الاختلاط!!، وقد سطّر وأطال وضرب أمثلة كثيرة في ذلك حتى يحتوي عقل القارئ ويملأ نفسه بصحة ما يدعيه مما يبدو لقصير النظر منطقيا.

إن مثله كمثل رجل أرغى وأزبد وأطال وأطنب في إقناعك بأن الحفاظ على صحتك بحسن التغذية والوقاية هما الأصل للحفاظ على الصحة، وصدق، ولكن لك أن تتخيل أنه يريد بذلك أن يقنعك أنه حينئذ لا ضرورة للاحتياط بالثياب في الشتاء، ويزيد على ذلك بأن عليك في الصيف أن تتحرر من أكثر الثياب ليتعرض أكثر جلدك للشمس لما في مخالطة الشمس من فائدة!!!

هذا بالضبط ما نسجه قاسم أمين من أوهام ركّبها في عبارات مرتبة خادعة للعقول التي رق فيها التمسك بأحكام الله.

يقول في (ص:53، 54):

فسوء التربيِّــة هو علَّة الخفَّة والطيش، وهو الذي يسهِّل على امرأة ذات مكانة في بيتها وقومها أن تطيل نظرها إلى شاب يمرُّ في طريقها، وسوء التربيِّــة هو الذي يخفف

٥٣

تحرير المرأة

عندها تبعة تحريك يدها لإجابة ذلك الشاب فيما يشير به إليها، وسوء التربيِّــة هو الذي يدفع بها إلى الاتفاق معه على التلاقي بل والتواصل قبل أن يدور كلام بينه وبينها،

ويقول في (ص:54):

سوء التربيِّــة هو الذي يخرق كل حجاب ويفتح على المرأة من الفساد كلَّ باب،

هذا ما يأتي من سوء التربيِّــة وهو من أشدِّ العوامل في تمزيق ستار الأدب وليست رقَّة الحجاب بشيء في جانب هذا كله.

فليست التربية عنده إلا أخلاق لا علاقة لها باتباع أحكام الله وأوامره، فالتربية عنده مفصولة عن اتباع أحكام الشرع وأخلاقيات دين الإسلام، ولكن ما هي حقيقة الأخلاق عنده؟ هي الأخلاق الإنسانية العامة مثل العفة والصدق والأمانة.. إلخ، ولكن هل يتفق جميع الناس في تصوّر معنى العفة والطهارة ؟، ها نحن الآن قد حيينا حتى رأينا من تتحرر من أكثر ثيابها وهي ترى أن لا علاقة لذلك بالأخلاق، ورأينا من تخالل شابا وتعاشره معاشرة الأزواج وهي ترى أن ذلك لا علاقة له بالأخلاق ما دام برضاها!! أما الغرب الذي افتتن قاسم بنسائه وبحياته فقد أصبح الزواج عندهم استثناء، والأصل عندهم أن تعيش المرأة مع رجل بغير زواج إلى أن يستبدلها بعد حين، حتى أمسى أمرا عاديا بينهم ولا منكر منه ولا نكير.

يقول في (ص:55):

سيقول معترض إن التربيِّــة والتعليم يصلحان أخلاق المرأة، وأمَّا الإطلاق فربما زاد في فساد، فنجيب أن الإطلاق الذي نطالب به هو محدود بحظر الخلوة مع أجنبي، وفي هذا الحظر ما يكفي لاتقاء المفاسد التي لا تتولَّد إلاَّ من الخلوة. أمَّا الإطلاق في نفسه فلا يمكن أن يكون ضارًا أبدًا متى كان مصحوبًا بتربية صحيحة؛

أما أن الإسلام لم يمنع الاختلاط إلا في الخلوة فذلك من تزييفه وخداعه أو جهله وافترائه، لأن الإسلام منع كل اختلاط بين الرجل والمرأة إلا بقدر ما تدعو الحاجة إليه، ويشترط في ذلك حينئذ عدم الخلوة فلا

تحلها الحاجة حينئذ ولو كانت ضرورة. وقد أبان الله ذلك في القرآن خير بيان عندما قال موسى عليه السلام لابنتي شعيب **(ما خطبكما؟ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)**(القصص:23)، فهما قد بينتا أنه ما كانا لهما أن يخالطا الرجال بل ينتظران حتى ينتهوا ثم يذهبوا ليقضوا سُقياهم دون أن يخالطوهم، ثم بينتا سبب خروجهما بأن ما دفعهما للخروج أن لهما أبا شيخا كبيرا، ولو لم يكن كذلك لكفاهما الخروج، فهذه هي فلسفة الإسلام وحكمته في خروج المرأة، فلا تخرج المرأة لشقاء العمل والتكسب ما دام هناك من يكفيها هذا الشقاء، فإذا خرجت تجنبت مخالطة الرجال صيانة لها وحياء، ثم هي لا تكلمهم إلا بقدر الحاجة إلى ذلك كما حدث بين موسى عليه السلام وابنتي شعيب.

ففرق واسع بين أن نقول إن باب الاختلاط مفتوح على مصراعيه في الإسلام كما افترى قاسم أمين وصوّر زيفا وغشا، وبين حقيقة الإسلام الذي يرفض أن تجتمع المرأة والرجل بلا حاجة مثل التعارف مثلا أو الصداقة وتبادل الثقافات، وإن كان بلا خلوة كما يزين الليبراليون للناس، فهؤلاء الشياطين يعلمون علم اليقين أن بالاختلاط بين الشباب والفتيات سيقع بينهم من الوداد والمشاعر ما يدفعهم إلى ما تغلبهم عليه فطرة الانجذاب والشهوة إلى ما هو أكثر من ذلك، ثم يزين لهم الشيطان أنه لا يحدث بينهم ما يغضب الله بل هي مشاعر وأحاسيس طاهرة، وهذا ما نسمعه في الجيل الأول منهم، ثم يتبعهم جيل يستحل أكثر مما استحلّه الذي قبله، وهكذا حتى يستحلون الزنا، وقد تصرح فاجرة من إحداهنّ بذلك فتقول: وما تزيد علي ورقة الزواج أو تنقص ما دام الأمر برضاي وليس اغتصابا.

أقول ذلك ونحن نعلم يقينا أن الله لم يُحرّم على المرأة الخروج إذا دعتها الحاجة إلى ذلك وفي ذلك نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:**(إنه قد أُذِنَ لكن أن تخرجن لحاجَتكُن)** (صحيح البخاري)، وأمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يمنعن من الخروج إلى المساجد خمس مرات باليوم، ولم يمنع الإسلام أن تكلم المرأة الرجل أو الرجال في غير خلوة ووفق ضوابط شرعية إذا اقتضى الحال إلى ذلك أو دعت إليه الضرورة، كما قامت إحداهنّ إلى عمر رضي الله عنه تراجعه في مسألة رأت أنه أخطأ فيها، فلا ينبغي أن نتشدد في ذلك فوق ما جاء الشرع مهما كانت الدواعي والغيرة فذلك من الإبتداع في الدين.

أختي العزيزة:

تلك هي حدود الإسلام وأخلاقه وليست تلك التي يزينها لكِ الليبراليون والليبراليات لكي يخرجوكِ من أخلاق الإسلام إلى أخلاقهم الفاسدة التي تشتهي فيها إحداهن الخروج على هواها أو كما يقال بالعامية "على حل شعرها"، والتي يشتهي فيها أحدهم أن تخرجي وحدك لكي يجد الفرصة للاجتماع بكِ، ويأنس بالحديث إليكِ بعيدا عن محارمك، وليس كما يسوّلون لكِ من أجل النهضة والتقدم.

أخلاق الإسلام التي هي قيد على الرجل وليست قيد عليكِ، فهو الذي يريد أن يستمتع بكِ، وليس أدل على ذلك من حالةِ بني جنسك في الغرب وما وصلت إليه إحداهن. انظري إليها بتمعن بعيدا عن تبرجها وحريتها المزيفة، أصبحت إحداهن خليلة لشاب يستبدلها بعد حين، أو خليلة لخائن متزوج، أو مخونة من زوجها مع أحدى بني جنسها، وأصبحت إحداهن مومسا في مجتمع يرخص لهن في مؤسسات تجلب الفتاة بشتى الأساليب القذرة لكي تعمل في تلك المهنة القذرة المرخصة عندهم، بل وصل الأمر إلى عرضهن في الفاترينات لمن يريد الزنا بهن، في وضع رخيص قذر مهين وحالٍ أسوأ من بيع العبيد والإماء والجواري، وأرقى شأن المرأة هناك أن تكون سلعة تُعرض في المجلات والإعلانات، فهل هذا ما جعله الله لكِ من كرامة وخلقك من أجله؟

وغير ذلك فإن المرأة العاملة هناك تشقى مثلها مثل الرجل من أجل لقمة العيش لتنفقها على نفسها وعلى أولادها، وهو واجب مفروض عليها مثلها مثل الرجل وليس تطوعا، ويا ليت الأمر يستمر كذلك، ففي بعض الأحيان يتركها الرجل لكي تتحمل وحدها عبء نفسها وأولادها، فقارني بين كل ذلك وبين ما جعله الله من تحمل الرجل لكل هذا وللنفقة على أولاده حتى ولو طلقت منه، انظري إلى حالك في الإسلام وحالك ذاك لو أنك فعلا قاسيتيه، وستقاسيه يوما إن أغواك كلامهم الخادع حول الحرية المزيفة وواجب خروجك للعمل لتحقيق شخصيتك كم يزعمون.

اعلمي أيتها الفتاة أن الليبراليين والليبراليات كذبة غشّاشون، سيزينون لكِ أننا لا شأن لنا بكل هذا العهر التي وصلت إليه المرأة هناك وأن ديننا وأخلاقنا يحفظوننا من ذلك، وهذا من غشهم لأن شأنهم مع الدين والأخلاق هو عدم الالتزام بأحكام الدين وأخلاق الإسلام، فأي دين يزعمون وأي أخلاق يدّعون؟!! إن شأن الدين والأخلاق عندهم هو ما تستحسنه عقولهم وأهوائهم، وأما أحكام الإسلام وضوابطه فلا تلزمهم لتغير العصر، وهذا العهر الذي في الغرب هو نهاية الرحلة التي ارتضيتِ فيها أيتها الفتاة أن تخرجي فيها من أحكام الدين والإسلام وتسمعي لهؤلاء الشياطين، فإن لم تقعي فيها أنت وقعتْ فيها ابنتك والإثم عليك، ولكِ في بعض بلاد الإسلام التي اتبعتهم فوصلوا إلى ذلك العهر عبرة.

يقول في (ص:56):

> والذي يجب علينا هو معالجة المضار التي يُظَنُّ أنها تنشأ عن تخفيف الحجاب، ولا توجد طريقة أنجع في ذلك العلاج إلاَّ التربيِّـة التي تكون هي الحجاب المنيع والحصن الحصين بين المرأة وبين كل فساد يُتوهَّم في أية درجة وصلت إليها من الحرية والإطلاق.

(**الإطلاق**) كان هذا بالفعل هو غرضه ومبتغاه من وراء كل ما كتبه في تربية المرأة ليضلل عقل القارئ عن هدفه الذي يريد أن يوصله إليه دون أن يشعر!!!

لقد كان هذا الماكر يريد للمرأة ما وصفه بـ "**الإطلاق**" بحجة أن التربية هي الحاجب المنيع لها وبغير التربية فإنها تستطيع أن تفعل ما تريد من وراء الجدران، يقول ذلك مع أنه في موطن آخر من كتابه صرّح أنّه في مكثهنّ في البيوت لا دلالة له على عفتهنّ لأن المحبوسة لا تستطيع الوصول إلى فعل شيء!! وبعيدا عن الأدلة التي يستقيها ولو كانت أدلة تناقض بعضها فليست القضية في الإسلام هي حبس من الرجل للمرأة، بل هو نظام وضعه الله عز وجل وجاء به الإسلام للرجل والمرأة على السواء.

ويجب أولا أن تعلمي أيتها الفتاة وأن تعلم أيها الشاب أن حجر البناء في المجتمع الإسلامي ليس الرجل حتى نزيد عليه حجرا آخر يساعده، ولكن وحدة البناء في المجتمع الإسلامي هي الأسرة، ولذلك رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم التبتل وقال (**من رغب عن سنتي فليس مني**) (رواه البخاري ومسلم)، وقد اعتنى القرآن واعتنت السنة بالأسرة واعتنت بالحفاظ على كيانها بشكل كبير جدا بل وتيسرت في أحكام شرعية بدرجة غريبة حفاظا على تلك الأسرة، ومثالٌ على ذلك الحادثة المشهورة للصحابية الجلية خولة بنت ثعلبة التي جاءت تجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في زوجها بعد أن ظاهر منها، وكانت تريد الحفاظ على أسرتها، فنزل الوحي عليه قرآنا صلوات الله وسلامه عليه وهي عنده بتحريم الظهار وإبطاله، ويجعل له كفارة عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا، فلما أتاه زوجها (أوس بن الصامت) أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم الله والكفارة، فاعتذر أوس بأنه لا يملك رقبة ولا يستطيع الصيام وليس عنده من مال يُطِعم به ستين مسكينا، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرق من تمر وقال تصدق به فقال الصحابي: على أفقر مني، والله ما بين لابتيها أهل بيت أفقر منا ؟!! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال فأنتم إذا.

فتأملي أيتها الفتاة هذه القصة واقرأي تفاصيلها في كتب السيرة والتفسير لتعرفي مدى عناية الإسلام بالأسرة والحفاظ عليها، ومن ذلك ما سيأتي الكلام عنه بعد ذلك مما شرعه الله من الرجعة إذا طلق الرجل زوجته حتى يكون للرجل الفرصة بعد الفرصة لحفظ الأسرة، وليكون لكليهما الفرصة بعد الفرصة لمراجعة نفسيهما، حتى تكون المرة الثالثة والأخيرة لا رجعة بعدها بل ببينونة كبرى، حتى لا تكون المرأة لعبة على لسان الرجل إلى ما لا نهاية، أو يستمر اجتماع رجل وامرأة يستحيل اجتماعها فلا يؤدي ذلك إلا إلى أسرة فاشلة أو اجتماع بين متباغضين. والإسلام في هذا الشأن دين يحافظ على الأسرة بأقصى ما يمكن ولكن دون ذلك أن تصبح المرأة مرهونة بالرجل أسيرة عنده أو يستمر بيت يملأه البغض والشحناء، وفوق ذلك أبناء يكبرون في جو من الكره والخصام، فساعتها يكون الطلاق والانفصال أقل ضررا وأرجى نفعا لكليهما وللأبناء.

ولذلك فإنه لما كانت وحدة البناء في المجتمع المسلم هو الأسرة كان لا بد أن يجعل لها نظاما متكاملا متينا يتناسب مع فطرته ومكوناته، فجعل الرجل هو رب البيت وهو المسئول عن توفير النفقة وله القوامة فيه، والقوامة ليست شرفا بل مسؤولية كمسؤولية الربان عن سفينته، وهي ليست سبيلا ملّكه الله للرجل ليستبد به على المرأة بل واجبا يُسأل عنه يوم القيامة كما ورد في الصحيحين (**والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته**) وفي الناحية الأخرى جعل المرأة هي المسئولة عن البيت (**والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها**) ومسئولة عن تربية الأولاد، ومسئولة أيضا عن تهيئة البيت لهذا الزوج الكادح الذي يشقى بالخارج لتوفير النفقة الواجبة عليه لهم، وهما مسئولان عن توفير الحب والمودة في البيت ليحيا فيه الأبناء في سكينة وسلام.

وأما الطاعة التي فرضها الله على المرأة للزوج إنما هي لازمة كلزوم طاعة الماسك بالشراع للقابض على دفة السفينة لا يجب أن يختلفا، فإن اختلفا يجب عليهما أن يتشاورا ثم يطيع أحدهما الآخر إن ظهر الحق أو الصواب معه، فإن أبى كلاهما إلا الاستمساك برأيه فإن الله فرض على المرأة أن تطيع زوجها راضية وتلين له حتى لا تتحطم السفينة أو تتيه في غياهب الحياة، وتطيعه لأن الزوج قد جعله الله هو المسئول الأول عن هذه السفينة وعن النفقة عليها.

والسؤال هنا؛ هل من الطبيعي أن يقوم كل من في السفينة بنفس العمل وأن يكون لهما نفس الدرجة من المسؤولية في الوقت نفسه بحجة المساواة؟

والسؤال الآخر؛ أليس من الأنفع أن يحمل كل منهما ما يناسب فطرة الله فيهما وما ركّبه الله فيهما من استعداد جسدي ونفسي وفطري؟

هذا هو الوضع الطبيعي الفطري الذي نشأت عليه البشرية من لدن آدم عليه السلام، وكذلك يجب أن يكون، إلا إذا دعت الضرورة بالأسرة إلى عمل المرأة وخروجها لمرض الزوج مثلا أو غيابه، وحينئذ تخرج وتعمل ولا حرج عليها وتتجنب من مخالطة الرجال ما لا تدعو حاجتها إليه، وتخرج وهي ملتزمة بحجابها وحيائها.

أيتها الفتاة:

أهم ما يجب أن تعلميه عن الإسلام هو أنه دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهو منهج واقعي وليس منهج يبني الأحكام على نظريات حالمة محلاة بكلمات معسولة كمثل تلك التي يخدعكِ بها الليبراليون والليبراليات. إنهم يغرونكِ بكلام ساحر يؤملوكِ فيه بالحرية والسعادة وتحقيق الذاتية وما إلى ذلك، وهو والله كلام لن يأخذك إلا إلى الشقاء والامتهان والفقر، وانظري إلى تلك البلاد التي استمعت إلى كلامهم من بلاد المسلمين وانظري إلى غالب النساء هناك، ستجدين إحداهن أصبحت تشقى مع الرجل لتؤمّن حياتها وحياة أولادها، وأصبحت

إحداهن لا هي امرأة ولا هي رجل، ولم يعد لديها وقت لتهتم وتحفظ أنوثتها أو تجد وقتا تقضية مع زوجها تجد فيه ارتواء الحب والسعادة التي لا شأن لليبراليين إلا أن يمنوكِ بهما.

أيتها الفتاة: يصور لكي الليبراليون والليبراليات غشا أنك تعيشين في ظل قيود اصطنعها الرجل الشرقي قهرا لكِ وسجنا

فأولاً: ليس في الإسلام لأحد أن يزيد فوق ما شرعه الله ورسوله مهما كان فضله، ولكنهم من غشهم وفسقهم يفهمونك أن الحجاب وغيره من الأحكام عادات قهركِ الرجل عليها برجعيته وهي عادات اخترعها الرجل.

وثانيا: أن تلك القيود إنما هي في الحقيقة قيود للرجل وليست لكِ، فالرجل منا يود لو يستمتع كل يوم أو يجلس إلى امرأة مختلفة، والرجل منا ولو كان مُحبا لزوجته يود لو أن له أخرى يستمتع بها في أوقات مخصوصة، ويجذبه جمال المرأة ويؤثر فيه أشد الأثر أضعاف أضعاف ما يحدث للمرأة وهذا ما يعرفه كل علماء النفس والاجتماع، وذلك كله بسبب ما فُطر عليه الرجل من حب التعدد والتغيير وحب النظر إلى النساء، ولذلك حدّ الله له في الإسلام أربع زوجات مع تحذيره أشد الحذر من عاقبة عدم العدل بينهن.

أما فطرة المرأة التي تجديها حتى في البلاد الغير مسلمة أنها تكتفي برجل واحد إذا إستولى على قلبها وعاملها باحترام وأعطاها قدرها، ولا تلتفت كثيرا إلى شكله وجماله، فلذلك فإن تلك القيود هي أساسا على الرجل صيانة لكِ وحفظا من امتهانه لكِ وتحويلك إلى متعة رخيصة له كما هو الحال في الغرب والشرق الأبعد، فالقيود ليست عليك بالأصل وليس عليك منها إلا شيئا واحدا هو أُذُنك، فالمرأة فطرت على أن أشد حواسها إثارة ونقطة ضعفها هو ما تسمعه من كلام ناعم ومديح لها. وإن ما وضعه الإسلام من أخلاق وحدود للخلوة والاختلاط ليحميك بالأساس من ذلك وصيانة لكِ من كل رجل عابس يريد أن يستهويكِ أو يعبث بإذُنكِ ليضلكِ عن سواء السبيل.

أيتها الفتاة: لو اطلعت على الليبراليات في البلاد التي ما زالت تحتفظ بتدينها لوجدت كلهن أو أكثرهن اللواتي يظهرن فقط ناصية شعرهن في بلادهن يظهرنه كله وتتحلل إحداهن من عباءتها وغطاء رأسها عند خروجها إلى بلاد أوروبا، وأما في البلاد الإسلامية الأخرى التي اتبعتهم من زمن بعيد، فانظري إليهن وقد أصبحن يتعرين من تحت أعناقهن ومن فوق أقدامهن ولم يكن هذا بدايته إلا إظهار ناصية شعرهن وإظهار ساق يغطيها جورب، ثم وصلوا إلى ما وصلوا إليه الآن، ذلك أنهم كالشياطين يستدرجونكِ خطوة خطوة حتى تتعري من دين الله كله، فلا يَغُرّكِ كلامُهم المعسول فهم يسحبونك إلى الشقاء والعري في الدنيا، والعذاب والنار في الآخرة.

الأسلوب الرابع

الإيحاء

إنه أخبث وأخفى أسلوب اتبعه قاسم في خلخلة عقل القارئ وتفريغه من أية ثوابت وأفكار قد تربى عليها وتشكيكه فيها إن كان قد جمع بعض العلم عنها وعلم أن أصلها من الدين.

إن أمكر الأساليب خداعا حين يتمثل الليبرالي الذي يحمل أفكارا خارجة عن الدين ويريد نشرها الحرص على نقاء الدين، فيلبس رداء المشفق عليه وعلى ما أُدخل فيه مما ليس منه. ولكن حقيقة ما يقصده بما أُدخل فيه هي تلك الأحكام التي ضاق صدره منها، ولم يعد يراها مناسبة لعصره. ولكن لعلمه باستحالة تقبل الناس لآرائه إن باح بحقيقة نظرته إليها، فإن أول شيء يدّعيه ليخدع به الناس أن يُوهمهم بأنهم يعتقدون في أشياء ليست دينا، إنما هي مجرد عادات تعودوا عليها، وأخلاقيات توارثوها عن آبائهم، ويدعي أنه يريد تنقية الدين منها، ثم يطرح أفكاره بعد ذلك، ويستل لها سندا مغلوطا من الدين يدافع به عن نفسه، ويزيد به تمويها على عامة الناس ممن ليسوا على علم متين بأحكام دينهم وأصوله.

يقول في (ص:13):

> لكن وأسفاه قد تغلبت على هذا الدين الجميل أخلاق سيئة ورثناها عن الأمم التي انتشر فيها الإسلام، ودخلت فيه حاملة لما كانت عليه من عوائد وأوهام،

تأمل أيها القارئ تلك الفقرة ولاحظ ما توحيه في نفسك وما ينساب إلى عقلك وفكرك منها، ستجد أنه يوحي إليك بأن هناك من الدين مما أنت عليه وتتمسك به وتعلم أنه من الدين بأنه ليس من الدين، بل هي عادات كانت في بعض الأمم قبل الإسلام !!، وبالطبع كل هذا من تدليسه الذي يخفيه في وسط حالة الشفقة التي يتصنعها على الإسلام. وهذه الفقرات كتبها قبل أن يبدأ في تلك الأبواب التي تحدث فيها عن الحجاب والتعدد والطلاق، والهدف من ذلك هو خلخلة كل الثوابت في عقلية القارئ قبل أن يبدأ هو بزرع أفكاره.

يقول أيضا في (ص:15) في فقرة سطّر فيها ما كان حُجّة عليه وعلى تصويراته المزيفة عن السجن والقهر الذين كانت تعانيهما المرأة في المجتمع آنذاك:

ولست مبالغًا إن قلت إن ذلك كان حال المرأة في مصر إلى هذه السنين الأخيرة التي خفَّت فيها نوعًا سلطة الرجل على المرأة تبعًا لتقدُّم الفكر في الرجال، واعتدال السلطة الحاكمة عليهم، ورأينا النساء يخرجن لقضاء حاجاتهن، ويتردَّدن على المنتزهات العمومية لاستنشاق الهواء وترويح النفوس بتسريح النظر في الكائنات التي عرضها الصانع جلَّ شأنه على نظر كل مخلوق رجلاً كان أو امرأة، وكثير منهن يذهبن مع رجالهن إلى السياحة في بعض البلاد الأخرى. وكثير من الرجال قد أعطوا لنسائهن مقامًا في الحياة العائلية.

وهذا إنما طرأ على بعض الرجال من نشأة الثقة في نفوس أولئك الرجال بنسائهم واطمئنانهم إلى أمانتهن؛ وهو احترام جديد للمرأة.

هنا يقول بأن ترك النساء يخرجن إنما هو دلالة على نشأة الثقة في نفس الرجل تجاه زوجته واحترامه لها، وفي هذه العبارة إيحاء واضح بأن من لا يسمح لزوجته بالخروج وحدها إنما هو لعدم ثقته فيها وفي عفتها، أو عدم احترام للمرأة داخل نفسه.

وقال أيضا إن خروج النساء نتيجة أن سلطة الرجل قد خفت "**نوعا ما**" على المرأة، وهي دلالة على تقدم في فكر الرجل، وفي هذا إيحاء بأن الرجل كلما سمح لزوجته أو ابنته بالخروج إنما هو دلالة أكثر على تقدم فكره.

تأمل معي الآن اختياره لهذه العبارة "**نوعا ما**" التي توحي بعدم الكفاية، واقرأ بهدوء الفقرة مرة ثانية (النساء **يخرجن لقضاء حوائجهن – يترددن على المنتزهات العمومية – كثير منهن يذهبن للسياحة مع رجالهن !!– وكثير أصبح لهن مقاما في الحياة الأسرية أو العائلية**) كل هذا "نوعا ما"**!!؟** أتعرف لماذا لم يكفيه كل ذلك؟ لأن المجتمع المصري لم يكن آنذاك يسمح بالاختلاط وهذا الذي كان يقف في حلق قاسم أمين ولا يرى حريةً للمرأة إلا بأن يُسمح لها وللرجل بأن يكون اختلاطهما ببعض أمرا عاديا، وهو ما لم يكن مسموحا به حتى تلك اللحظة ولذلك عد كل ما سبق"**تقدما نوعا ما**"

لنعيد قراءة تلك الفقرة، وتخيل بهدوء أيها القارئ ما كانت عليه المرأة آنذاك بحسب ما كتب هو بنفسه في السنين الأخيرة :(**أصبحت... النساء يخرجن لقضاء حوائجهن – يترددن على المنتزهات العمومية– كثير منهن يذهبن للسياحة مع رجالهن !!– وكثير أصبح لهن مقاما في الحياة الأسرية أو العائلية !!!**) والسؤال البسيط الآن: إذا كان هذا هو حال المرأة في السنين الأخيرة على زمنه، وأيضا كما ذكر في موضع آخر كان نساء الأرياف يخرجن لحوائجهن حتى فضلهم على نساء المدن، فعن أي نساء كان يكتب حين كتب عن القهر والاستبداد والسجن والحبس الذي كانت تعيشه المرأة آنذاك في المجتمع؟!!

أكان يصف سنينا قبل ذلك؟ أم كان يصف قلة شاذة في المجتمع المصري آنذاك؟ أم أنه-كما قلت من قبل- أن كل ذلك كان لا يعنيه شيئا إلا أن تخرج المرأة إلى الحياة العامة وحدها متى شاءت بلا قيد من دين وأصول وأخلاق، والأهم من خروجها أن تخالط الرجال أيضا بلا قيد من دين وأصول وأخلاق، ومن أجل ذلك كله استخدم هذا التهويل في وصف ما تربى عليه المجتمع من نظام ينظّم علاقة الرجل بالمرأة، وكان أساسه مستمدا من أحكام الإسلام وأخلاقه التي لم تعد تروق لقاسم أمين، فأراد تغييرها لتكون المرأة صورة مكررة من تلك المرأة التي رآها في الغرب.

أيتها الفتاة:

انتبهي لهؤلاء الليبراليين وانتبهي لما يريدونه منك بالضبط، فهم لا يريدون خروجك لو خرجت بالحجاب، وهم لا يريدون خروجك للعمل أو للمشاركة في الحياة العامة كما يقولون لو خرجت بالحجاب مع حفظ نفسك بعيدا عن الرجال، إنهم يريدون منك أن تخرجي للعمل وبدون عمل، وتخالطين وحدك الرجال اختلاطا بغير حجاب.

هذا هو بالضبط ما يريدون، وغير ذلك؛ فأنت في سجن واستبداد. وإن كل ما يسوقونه لك من كلام عن المجتمع الذكوري واضطهاد المرأة والظلم الواقع على المرأة ما هي إلا تهويلات مقصودة، وأحيانا كاذبة، غشا منهم وخداعا لأحاسيسك لكي يملؤوكِ بكل مشاعر التمرد والكراهية ضد مجتمعك وأحكام الإسلام، ولكي يملؤوكِ بكل مشاعر الرغبة في الانقلاب على وضعك الاجتماعي الذي أرسته أحكام وأخلاق الإسلام على مر العصور لكي تكسري تلك الأحكام وتتعدي على تلك الأخلاق لتخرجي غير عابئة بها فتحققي مرادهم حين يروكِ بلا حجاب وسط الرجال.

أيتها الفتاة: إن المجتمع المسلم لم ولن يكون مجتمعا ملائكيا، ولا شك سيكون هناك من الآباء من يسئ إلى ابنته كما أن هناك من تعق أباها وأمها، وقد يكون هناك من يسئ إلى زوجته كما أن هناك من تسيء إلى زوجها، ولن يعدم هؤلاء الليبراليون الذين يُخيلون لك أنك تعيشين تحت ظل مجتمع ظالم ومستبد أن يجدوا نماذجَ يهوّلون منها حتى تكرهي ذاك المجتمع وكل موروثاته الأخلاقية التي ورثها عن الإسلام، وهم في الظاهر يتهمون المجتمع، ولكنهم في الحقيقة يوحون إليكِ بأن أحكام الإسلام هي التي تُضيّق عليك، وأن هذه الأحكام ليس من اللازم اتباعها، لأنها غير مناسبة لعصرنا، وأن العلماء قد أدخلوا في الدين ما ليس منه؛ هذا ما يوحي به الليبراليون.

وتخيلي أيتها الفتاة أن هؤلاء الليبراليين الذين لا يحسن أحدهم قراءة القرآن يظنون بأنفسهم أنهم قد فقهوا من الدين وأحكامه ما لم يفقهه علماء المسلمين وعلى رأسهم الأئمة الأربعة، فجاءوا يستدركون عليهم ما قالوا به ثم يفتون هم في الدين كأعظم المجتهدين في الإسلام.

يقول قاسم في (ص:22):

> فقد تساوت النساء عندنا في الجهل مساواة غير محبوبة، ولا يظهر اختلافهن إلاّ في الملبس والحلي. بل يمكن أن يقال إنه كلَّما ارتفعت المرأة مرتبة في اليسر زاد جهلها، وإن آخر طبقة من نساء الأمَّــة وهي التي تسكن الأرياف هي أكملهن عقلاً بنسبة حالها.

لقد كان قاسم يضع نصب عينيه تلك الطبقة الغنية المثقفة التي كانت محافظة اجتماعيا على أحكام الإسلام بعدم الاختلاط بين الرجال والنساء، وإن كانت تلك الطبقة تفعل ذلك نتيجة تربية متوارثة، وليست نتيجة تدين حقيقي وعلم بأحكام الإسلام. وبالرغم من أن تلك الطبقة خاصة كانت تُعلّم بناتهن لقدرتها على ذلك، إلا أنه لم يلتفت إلى ذلك بل شملهم بالجهل أيضا مع غالب النساء، لأن هذه الطبقة خاصة هي التي أراد إخراج نساءها وتركها الحجاب واختلاطها بالرجال، بحجة العمل والنهضة والمشاركة في الحياة العامة، والسبب في عدم خروجهن كما يريد واضح، وهو أنهن لم يكن بحاجة إلى العمل على عكس المرأة الريفية التي تخرج أحيانا إلى حقل زوجها لتساعده وقد تدفعها الحاجة إلى العمل إن فقدت زوجها. وهنا يقول بطريقة غير مباشرة لهذه المرأة: إن المرأة الريفية أكمل منك عقلا، وأنك لا تفضلينها إلا بالثياب!! وهكذا كان يمكر بمشاعر النساء حتى يدفعهن دفعا للخروج من البيت ومخالطة الرجال، وإلا ظلت متخلفة العقل، محتقرة الشخصية كما خَيّل لهن.

يقول في (ص:38):

> ومن هذا يرى القارئ أن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصًا بنا، ولا أن المسلمين هم الذين استحدثوه، ولكنه كان عادة معروفة عند كل الأمم تقريبًا ثمَّ تلاشت طوعًا لمقتضيات الاجتماع، وجريًا على سُنَّة التقدُّم والترقِّي، وهذه المسألة المهمة يلزم البحث فيها من جهتيها الدينية والاجتماعيَّــة.

لاحظوا معي قوله"**ومن هنا يرى القارئ**"، إنه إيحاء بثبوت براهينه إلى درجةٍ لا تحتاج للمناقشة والمراجعة، إنها عبارة توحي بالثقة المزيفة، لكي يخدع عقل القارئ بهذه الثقة، ولا أدري أين هذا الحجاب الذي كان معروفا عند كل الأمم تقريبا، أكان معروفا عند الفراعنة والفرس والرومان؟ أم كان معروفا في الهند والصين من قديم؟ فليراجع أحدُكم كل صور الآثار التي تُركت على مر التاريخ لهذه الأمم ليتذكر صورة واحدة لامرأة محجبة غير مريم البتول والراهبات في الكنائس، وأنا على يقين أن أحدا لن يرى في كل الآثار إلا نساء شبه عاريات.

إن الحجاب الذي تلتزم فيه المرأة بغطاء رأسها وسائر جسمها بالوصف الإسلامي لم يُعرف أبدا إلا في الإسلام، ولم تكن أي امرأة تحرص عليه في سائر الأمم إلا ما كان منها في البلاد القارصة البرودة فتضطر المرأة كما الرجل إلى تغطية جسمها وسائر رأسها. أما بعد الإسلام فقد لبسته المرأة دينا وحياء التزمت به على مدى القرون، وتأثرت به النساء الأخريات من الطوائف الغير الإسلامية في بلاد الإسلام أيضا، وحتى تأثرت به نساء أوروبا أثناء أوج الحضارة الإسلامية، حين كانت هي الحضارة التي تسعى لتقليدها كل الأمم. أما غير ذلك فلم يكن قبل الإسلام معروفا على عكس ما أراد أن يوحي به قاسم أمين ليخدع عقل القارئ في أنها مجرد عادة موروثة تركها الإسلام لأنها كانت تناسب العصر آنذاك.

يقول في (ص:46):

> ها هي مسألة الحجاب مسألة من أهم المسائل، ولها مكان عظيم في شئون الأمَّـة.
> إذا ترك القارئ نفسه لعواطفه واستسلم إلى عوائده ظهر له الحجاب في مظهر حسن؛

وعلى الطريقة المعتادة في اللعب بعقلية القارئ وخداع مشاعره يوحي إليه بأن هذا الحجاب الذي يراه حسنا إنما هو من تأثير العادة عليه والعاطفة المرتبطة به فقط، وأن مشاعره تلك وما يعتقده هي أوهام مصنوعة متوارثة ليست لها أصل، وهذا أسلوب من أساليب المعالجة النفسية الناعمة لقلب المفاهيم في عقل القارئ، بالتشكيك في أصلها في نفسه. لقد كان يتفنن في التأثير على عقل القارئ لكي يُفرغ عقله ومشاعره من كل الثوابت، وبعد ذلك ستكفي بعض أدلة مغلوطة من الدين وأدلة عقلية، وأخرى ظاهرها منطقي، لكي يجعله يقتنع برأيه الذي يريد أن يقنعه به.

يقول قاسم في (ص:66):

> صرَّح في وصف أهل الحق بأنهم ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَـٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ فوصفهم بالتمييز بين ما يقال من غير فرق بين «القائلين»؛ ليأخذوا بما عرفوا حُسْنَه ويطرحوا ما لم يتبيَّنوا صحَّته ونفعه.

وهل اتبع هو أحسن القول؟! أم ذهب يعدل في أحكام الله، بعد أن اعتقد أنه يجب تطويرها (الانسلاخ منها) لتناسب العصر، وأن ذلك لازم لتحضّر المرأة، وزين له الشيطان أن رأيه هذا هو أحسن القول. وما عسى يكون مقصده من دعوة الناس لاتباع أحسن القول إلا أن يتبع الناس قولَه ويتركوا ما وصفه بأنه تقاليد وعوائد هي من صميم الدين.

ويقول أيضا قاسم في (ص:66):

صرف القلوب عن التعلّق بما كان عليه الآباء، وما توارثه عنهم الأبناء، وسجَّل الحمق والسفاهة على الآخذين بأقوال السابقين، ونبَّه على أن «السبق في الزمان ليس آية من آيات العرفان، ولا مسميًا لعقول على عقول ولا لأذهان على أذهان،

ببراعة يلقي في روعك أنك إن اتبعت أقوال السابقين فإنك سفيه أحمق، هكذا بكل تعميم لأقوال السابقين، وبالطبع لو كان حيا فسألته عن موقفه من أحكام الدين وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تركه لنا صحابته الكرام والسلف الصالح لقال إنما أقصد العادات ولا أقصد سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنك إن تركته لم يُشر إشارة واحدة إلى ضرورة الالتزام بالأحكام وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا في عبارات عائمة عامة لا تخصص شيئا منها، لأنه لا يَلزم في فكره أصلا كل مخصص من أحكام الفقه، لأنها جميعا عنده تحت تصرف أحكام العصر.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

هذا هو فكر الليبراليين الحقيقي عن كل أحكام الشرع، كل أحكام الشرع يحكمها عندهم العصر والمصلحة، وأن لنا أن نغير ونبدل فيها حسب ما يناسب زماننا ومصالحنا، وأن التشبث بها هو تخلف ورجعية. وستجد عبارة " ما يناسب العصر أو ما يوافق المصلحة" دائمة على ألسنتهم لأنها دينهم.

والسؤال الأول الآن ماذا سيبقى من الدين إن جعلنا العصر والمصلحة هما أساسا التشريع؟ سيبقى لنا بعض صلوات وصيام وتسبيحات، وهذا ما يريدونه بالضبط، وهو أن يتفلّتوا من كل أحكام الدين التي تضيق بها صدورُهم وباتباعها.

والسؤال الثاني من الذي يحدد ما هو مناسب للعصر؟ بالطبع ليس العلماء، بل عقولهم التي تحكمت فيها أهواؤهم؟

إنهم ببساطة لا يرون أحكام الدين الإسلامي صالحة لكل زمان مكان، وتلك أكبر مصائبهم ولب فسقهم عن دين الله.

أيتها الفتاة انظري إلى حالهم، هل تعرفين عن أي واحد منهم أو واحدة منهن التقوى والورع ولو في ظاهرهم؟ والمقصود بظاهرهم هنا هو ما يظهر منهم ومن أفعالهم وتصرفاتهم للإنسان، فإن كان في ظاهرهم وظاهر أفعالهم ما يدل على رقة مخافة الله في صدورهم وضعف تقواهم لله فكيف تسمعين لهم أيتها الفتاة وتأخذي عنهم الدين؟ والأهم من ذلك هل سيكونون بأقوالهم حجة لكِ يوم القيامة أمام الله سبحانه وتعالى؟

أيها الشاب وأيتها الفتاة: احذرا من هذا الأسلوب الخبيث الذي يتبعه الليبراليون والليبراليات لتغيير فكركم وثوابت دينكم عن طريق الإيحاء والتشكيك في تلك الأفكار وفي أصولها، فالمؤمن يجب أن يكون كيسا فطنا يُعمل عقله في كل أمر من أمور حياته، وعليه التدقيق فيما يسمعه

ويقرأه ويشاهده، وهذا ما عبّر عنه القرآن بقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (سورة الزمر:18) ولم يقل يسمعون لأن الاستماع له دلالة على الإصغاء والتفكر.

فعليكما أن تتفكرا في كل قول وفي كل كلمة يلقيها إليكم هؤلاء الناس الذين لا يحفظون للدين أحكاما ولا يرونه صالحا لزماننا، ولا يعرفون تعظيما لشعائر الله والإسلام إلا بأطراف ألسنتهم فقط، وبكلمات معسولة يخدعون بها الناس ويخدعون بها أنفسهم.

أيها الشاب وأيتها الفتاة لو تأملتما مقام الدين عند هؤلاء حين يتكلمون عن الدين لوجدتموه كله كلاماً أقصاه روحانيات دينية إيمانية، ولكنهم أبدا لن يوجد منهم أحد يدعو إلى تعظيم حكم من أحكام الله المنزلة في كتابه أو الدعوة إلى تعظيم شعيرة من شعائر الله، بأفعال تزيدها تعظيما في قلوب الناس مثل احترام وقت الصلاة، أو إقامة الحدود كما أنزلت في كتاب الله.

ذلك لأن دينهم هو الانفكاك من أحكام الدين المُقيدة لحرياتهم وشهواتهم، وتعظيم تلك الأحكام وتلك الشعائر يزيد من تأثير الدين على الناس والانصياع لأحكامه، وهم يريدون منهم الانفكاك منها، وتلك هي الحرية التي يريدونها للمجتمع، وتلك هي الحرية التي يريدونها للمرأة التي يعملون على تحللها ليلا ونهارا؛ لأنها هي مركز المجتمع وقلبُه الذي إن صلح صلح المجتمع كله وإن فسد فسد المجتمع كله.

الأسلوب الخامس

المغالطات والتلفيق

يقول قاسم في (ص:15):

> من احتقار المرأة أن يُعيَّن لها محافظًا على عرضها مثل أغا أو مقدم أو خادم يراقبها ويصحبها أينما تتوجَّه،

لم يترك هذا الماكر شيئا –ولو حسنًا– إلا وحاول تصويره بالشكل الذي يخدم هدفه وهواه، وكانت قدرته على تقبيح الجميل وتجميل القبيح فائقة. ما من أحد منا إلا وهو يعرف أنه ما من فتاة إلا وهي تحلم أن تعيش كالأميرة، آمرة منعمة بين خدم وحرس، وهذا ما كانت تعيش شبيهه تلك الطبقة الأكثر غنى في المجتمع المصري آنذاك. كانت زوجة الرجل منهم تحت يديها خادمة وسائق على الأقل يصطحبانها حيث تريد بأمرها، ولكن هذا لم يكن يعجب قاسم أمين وأراد إلغاءه، لأنه جعل نصب عينيه أن تخرج المرأة بلا أحد مطلقا، فصوّر خروج المرأة برفقة خادمتها وسائقها وحارسها أقبح تصوير. صوّره بأن ذلك إنما يفعله الرجل لمراقبة زوجته بهؤلاء الخدم والحراس، وهو من أدلة احتقار الرجل لها!!

تخيلي أيتها الفتاة أنه حين يكون زوجك ثريا ليجعل تحت يديك خادما وسائقا فإن ذلك من احتقاره لكي!! إن تلك العبارة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك ما كان يريده قاسم حقيقة من وراء كتابه. فهذه المرأة التي تتأمر على رجال وخدم ويخرجون معها بأمرها حيثما تريد لم يكن يعجبه أن تخرج في رفقة أحد منهم ولو كانت خادمة أو سائقا، إنما كان يريدها أن تخرج وحدها، وهذا هو مبتغاه، وهذا هو طريق النهضة في نظره، وتلك هي الغاية التي أراد أن يصل إليها من كل ما سطره في شتى الأبواب والمواضيع التي يريد أن يخدع بها القارئ بعيدا عما يريد.

هذه هي الغاية التي وضعها في رأسه قبل أن يطّلع على الأدلة والبراهين والقرآن والسنة، وقبل أن يفكر فيما هو صالح أو فاسد في أخلاق وعادات المجتمع، ثم نظر في كل ما سبق ليركب منه أدلة ويمنطقها حسب هواه لتصل بالقارئ إلى الغاية الذي وضعها في رأسه.

ويقول في نفس الصفحة في (ص:15):

ولا يزال الناس عندنا يعتقدون أن تربيَّـة المرأة وتعليمها غير واجبين، بل إنهم يتساءلون هل تعلُّم المرأة والقراءة والكتابة مما يجوز شرعًا أو هو محرم بمقتضى الشريعة؟!

كلنا يعلم أن الناس حينها كانوا تبعا في رأيهم وآرائهم للأزهر، فهل يعلم أحدٌ أن أحدا من رجال الأزهر حرّم أو منع تعليم البنات على مر العصور؟! فمَن أين أتى قاسم بهؤلاء الذين يقولون بأن تعليم المرأة غير واجب أو محرم؟ ومَنْ هؤلاء الذين قالوا بأنه محرم بمقتضى الشريعة؟! والحقيقة التي لم يكن يريد أن يراها قاسم أمين وغالط فيها قصدا أن المانع الأول الذي كان يمنع المجتمع المصري آنذاك من تعليم البنات هو الحالة الاقتصادية لغالب الشعب حينها وعدم انتشار مدارس للبنات في سائر القطر المصري. ويكفي أنه منذ اللحظة التي كانت تنشأ فيها مدرسة ابتدائية في أي قرية مصرية أو حي إلا ويبدأ فيها تعليم البنات، ولكن الكثير منهن لم يكنّ يكملنّ تعليمهنّ بسبب ما يترتب عليه بعد ذلك من بعد المسافة وصعوبة الوصول إلى المدارس العليا، وهذا ما كان لا يقدر عليه إلا العائلات الغنية والتي كانت موجودة بالمدن بالأساس.

هذه هي حقيقة المجتمع المصري آنذاك، وأما تلك الأمثلة التي استقاها قاسم فمن التلفيق الذي لفقه على المجتمع المصري، ليتهمه بكل سوء تجاه المرأة، ولا أنكر أن يكون هناك شواذ من الناس يقولون ما لا يمكن لأحد أن يوافقهم عليه، ولكن لا يلتفت لأقوال الشواذ إلا شاذ في فهمه أو له في قولهم هوى يريد من وراءه أن يَبلُغه.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

تلك هي لعبة الليبراليين والليبراليات الدائمة وهي اقتناص كل فعل وقول شاذ يحدث من المجتمع وإلصاقه بالمجتمع كله. ففي مجتمع تعداده بالملايين لن يُعدموا داعية يقول عبارات وهو غافل عن أن وراءه ذئاب يبتغون الباطل من وراء كلماته فيحملونها على أسوأ ما يكون، ولن يُعدموا رجلا ساء خلقه في التعامل مع زوجته أو ابنته، ولن يُعدموا أبا يستغل امرأته أو ابنته من أجل راتبها ثم يتعسف معها إن رفضت إحداهن أن تعطيه ما يريد، ولن يُعدموا امرأة تشتكي طليقها. وإن كل ذلك سيستغلونه من أجل هدف واحد وغاية واحدة هو الوصول بالمرأة إلى رفض أحكام الإسلام والانقلاب على قيم المجتمع.

وما من حادثة من هذه الحوادث إلا ويسعون إلى تضخيمها في الصحافة والإعلام وتعميمها وإلصاقها بالمجتمع كله، ويطالبون بإستصدار قوانين لدعم حرية المرأة وحمايتها، ومقصدهم من ذلك دعم تحلل المرأة من قيم المجتمع ومن روابطها العائلية ومن أحكام الإسلام.

يقول في (ص:19):

> ويمكن أن يقال إننا لو بحثنا عن السبب الذي قد يحمل تلك المرأة المسكينة التي تبذل نفسها في ظلام الليل لأوَّل طالب — وما أكبر هذه المذلَّـة على المرأة — لوجدناه في الأغلب شدَّة الحاجة إلى زهيد من الذهب والفضة، وقلَّما كان الباعث على ذلك الميل إلى تحصيل اللذة.

يقول في مكر وكذب (والأغلب شدة الحاجة)!! والله لقد رأينا نساءً يبعن الخضروات، ويعشن أفقر العيش وما دفعهنّ الفقر إلى الخنا والفواحش، ولقد رأينا نساءً من أغنى فئات المجتمع تُسلّم أحداهن نفسها لرجل بغير زواج وبلا ثمن، وكل ذلك بسبب ما ضاع فيهنّ من تقوى الله تعالى ومما زُرع فيهنّ من حب الاختلاط.

ولو أننا بحثنا بلا هوى لوجدنا أن أغلب هؤلاء -إن لم يكن كلهنّ— ما دفعهنّ وأوقعهنّ في تلك الرذائل إلا غياب الوازع الديني في البيئة التي نشأت فيها المرأة، أما أن يدعي كذبا أن ما دفعهنّ للخنا والفواحش هو الحاجة والفقر، فلكي يستدل بهذا على ضرورة أن تخرج المرأة للعمل لتصون نفسها.

وها هي المرأة قد خرجت وعملت وتكسبت كما أراد واختلطت بالرجال كما أحب، وتخففت من حجابها كما اشتهى، فكان من جراء ذلك ضياع كثير من التقوى، وضاع مع الاختلاط كثير من الحياء فزادت بين الشباب والشابات وقائع الرذائل، ورأينا نساءً من أغنى النساء يُسلّمن أنفسهن بلا ثمن، ورأينا بنات في الجامعة تعيش في رغد من عيش أبويها تقع في الرذيلة، وأنا أعلم أنه سيُعزي ذلك إلى سوء التربية كما ذكر ذلك في كتابه أيضا، ولكن ذلك أيضا من جهله بما ينبغي أن تتربى عليه المرأة المسلمة أصلا، فمن جهله وجهل الليبراليين أنهم لم يعلموا أن من سوء التربية أن لا تتبع المرأة أحكام دينها، ومن سوء التربية أن لا يمنعها حياؤها من الاختلاط بالرجال بلا حاجة معتَبَرة وبلا ضوابط، ومن سوء التربية أن تُعرّض نفسها لمن في قلبه مرض من الرجال، ولا بد ستلتقى بأحد منهم من كثرة الاختلاط بهم فيخططون للنيل منها بشتى أساليب المكر والخداع.

يقول في (ص:21):

> ولو تبصَّر المسلمون لعلموا أن إعفاء المرأة من أول واجب عليها وهو التأهل لكسب ضروريات هذه الحياة بنفسها هو السبب الذي جرَّ ضياع حقوقها؛

لو تبصر هوَ لعلم أن الذي ضيع حق المرأة هو ضياع تعاليم الإسلام وقيمه في المجتمع الذي تخلى المجتمع الإسلامي عن كثير منها في عصوره المتأخرة، ولو علم وفقه ذلك لسارع إلى البحث عن تعاليم الإسلام وأخلاقه وأحكامه لتطبيقها وليس لنقضها.

لو تبصر هوَ وقرأ عن أم هانئ وهي تجير على المسلمين رجلين من الكفار يوم الفتح، وقد أراد علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه قتلهما: فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:"**قد أجرنا ما أجرت يا أم هانئ**". (رواه البخاري). روى أبو يعلى عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**ذمة المسلمين واحدة، فإن أجارت عليهم امرأة فلا تخفروها، فإن لكل غادر لواء يوم القيامة**". فهذه امرأة أجارت كافرين وقد كانا مستحقَين للقتل وأراد على (كرّم الله وجهه) قتلهما فأجارتهما، فلم يَردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إجارتها. فهل تعلمين أيتها الفتاة متى أسلمت أم هانئ؟ هي لم تسلم إلا يوم الفتح!!!

فانظري أختاه إلى تكريم الإسلام للمرأة وإلى أين وصلت في حقوقها الاجتماعية، وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفر ذمتها غادرًا، ولكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به، فهل ينبغي علينا أن نرجع إلى ديننا لنأخذ منه حقوق المرأة أم ننقضَّ على أحكام الإسلام فننقضها عروة عروة وحكما حكما، أو نأخذ منه ما يعجبنا ويوافق هوانا ونترك أو نغير ما تضيق به صدورنا، بحجة تغير العصر كما يفعل الليبراليون والليبراليات وغيرهم.

ولو تبصر قاسم بحال المرأة في الغرب لعلم مدى الشقاء والتعب النفسي والتوتر الذي تعيشه في إحراز لقمة عيشها إن كانت غير متزوجة أو مع زوجها سواء بسواء، أما في الإسلام فالمرأة فيه مسئولة من أبيها أو أخيها إن لم تكن متزوجة وهي مسئولة من زوجها بعد زواجها، لا يجب عليها تحمل النفقة ولو على نفسها.

أيتها الفتاة إن مصارعة الحياة ومكابدة المشاق من أجل لقمة العيش ليس بالأمر السهل، فمن أجله يتحمل الرجل الكثير من النصب ويتعرض لكثير من المشاكل والمنافسة والتوتر وهذا ما لا يمكن للأنثى أن تتحمله إلا على حساب ما هو أغلى من تلك الأوهام التي نسجها قاسم أمين وينسجها الليبراليون والليبراليات، من تحقيق الذات والاستقلالية والمشاركة في النهضة وما إلى ذلك من كلامهم البراق. أتعرفين ما هو أغلى من ذلك كله؟ إنها أنوثتك.

أيتها الفتاة: انظري عن قرب إلى غالب النساء العاملات بعد تخرجهن في أي دولة إسلامية بعيدا عن صور الفضائيات المزيفة، وبعيدا عن تلك الفتاة الجامعية التي ما زالت تحت نفقة أبيها، انظري إلى أغلبهن، ستجديهن وبرغم المساحيق التي تتزين البعض منهن بها قد فقدت إحداهن كثيرا من أنوثتها، وأصبحت

إحداهن لا هي رجل ولا هي امرأة. وما إن تتعدى إحداهن الخامسة والثلاثين حتى تصبح مشاعرها أقرب إلى الرجل منها إلى المرأة، وذلك بعد أن فركها الشقاء في إحراز لقمة العيش لبيتها ولأولادها. وكيف تحافظ على أنوثتها وهي تخرج من بيتها كالرجل صباحا وتعود لبيتها عصرا لتسرع إلى تحضير الطعام لأولادها ثم المذاكرة لهم، وقد يساعدها الرجل في ذلك وقد لا يساعدها، ثم تنام في نهاية يومها ملقاة متعبة على سريرها حتى الصباح لتبدأ يوما آخر، فلا يبقى وقت بعد ذلك كله لتهتم بنفسها، أو تجد وقتا تستعد فيه لتقضي وقتا رومانسيا حالما سعيدا مع زوجها الذي من المفترض أن يكون حبيبها الذي اختارته كما أوهمها السفلة في أفلامهم المنحرفة وقد كانت تحلم يوما أن تعيش هذا الوقت وهذا الحلم.

إنني لا أقصد بهذا الكلام أن تُمنع المرأة مطلقا من العمل، فالإسلام لم يفرض هذا، ولا شك هناك أعمال لا بد أن تشتغل بها المرأة، مثل مدرسة للبنات ومربية للأطفال في الحضانات أو طبيبة للنساء....، ولا شك أيضا أن مثل تلك الأعمال لا تحتاج إلى خروج كل النساء للعمل بل بعضهن، ولكن أن تخرج كل النساء لنجدهم في كل مكان ومؤسسة ومصلحة بين الرجال، فهذا ما لم يأت به الإسلام، بل إنه ضد قيم الإسلام وأخلاقياته التي جعل من بيت المرأة جنتها التي لا ينبغي أن تفارقها من أجل أوهام تحقيق الذات ومشاركة الرجل في النهضة، وما إلى ذلك من تلك الأوهام التي ينسجها الليبراليون على مسامعها.

وحتى هؤلاء النساء اللاتي يحتاج المجتمع المسلم لخروجهن للعمل يجب أن يُفرض لهن قوانين تخفف عليهن من تبعة أعمالهن إلى أقصى درجة ممكنة، مثل ألا تزيد ساعات عملهن عن ست ساعات، وأن تعمل بالقرب من بُيوتِهن بقدر ما هو ممكن لهن، لأنه لا يمكن للمرأة تضييع حق بيتها والتفريط في حق زوجها مهما كان الدور التي تؤديه في المجتمع، وتلك هي قيم الإسلام.

أيتها الفتاة لقد سمعتُ امرأة ممن ذاقت مرارة العمل والكد مع زوجها من أجل إحراز لقمة العيش، وهي تتمنى وتدعو لابنتها أن يرزقها زوجا يكفيها الحاجة إلى الخروج للعمل لتَسعَد بالمكث في بيتها. فهذه امرأة عاشت تلك الأوهام التي ألقاها على مسامعها قاسم وأمثاله عن حق المرأة في العمل لتحقيق شخصيتها وقيمتها واستقلاليتها ولتشارك في النهضة وما إلى ذلك من أوهامهم، لماذا لم تتمن كل ذلك لابنتها إن كان في خروجها الخير وتحقيق الذات ونهضة الأمة والحرية؟! لأن كل هذه الأوهام تدعو المرأة إلى ما لا يناسب فطرتها، وقد كفاها الله كل ذلك الشقاء وألقاه على كاهل الرجل ليرجع هو بعد كده بالنهار ليجد زوجته وحبيبته قد هيأت بيتا يجعله ينسى هذا الشقاء، ولتعيش معه لحظات الحب الذي أحله لهما وتحلم به أي فتاة. فاختاري أنتِ أيتها الفتاة بين الشقاء والكد اللذين مهما حاولتِ سيفقدانك جانبا من أنوثتك ويضيعان أوقاتا سعيدة من المفترض أن تقضيها مع زوجك، أو أن تتركي هذا الكد لزوجك وحده، وتقري أنتِ في بيتك لا هم لكِ إلا أولادك ورعايتهم والاهتمام بنفسك وأنوثتك، وعندما تخرجين فمع زوجك من أجل نزهة أو رحلة أو صلة رحم أو زيارة أصدقاء.

أيتها الفتاة الفطنة انظري إلى هؤلاء الليبراليات بنظرة متفحصة ستجدينهنّ من المترفات في معيشتهن، وعملهن هو الكتابة في الصحافة والظهور في الإعلام، قد أحبوا الشهرة وغرهنّ حب الظهور، فهن يتضايقن أصلا من أحكام الإسلام التي تدعو إلى أن تلتزم المرأة بالحجاب والاحتراز من مخالطة الرجال، وهم يدعونك إلى هذا الباطل الذي يعيشونه حتى لا يشعرن بالغربة، وقد زينّ لهنّ الشيطان فوق ذلك أن ما هنّ فيه يُعَدّ فكرًا حرًا وتقدمًا وتنويرًا، وهم يدعونك إليه وما يدعونك إلا إلى شقاء وكد وتعب ومهانة، فلا تغتري بهن أو بغيرهن، ولكِ في تلك البلاد الأخرى التي شقيت بهم العبرة، فلا تنخدعي بكلمات براقة من حمقى يحسنون تلوين الكلام عن واقع صريح فيه العظة والاعتبار.

يقول قاسم أمين في (ص:26):

> نرى نساءنا يمدحن رجالاً لا يقبل رجل شريف أن يمدَّ لهم يده ليصافحهم، ويكرهن آخرين ممَنْ نعتبر وجودهم شرفًا لنا؛ ذلك لأن المرأة الجاهلة تحكم على الرجل بقدر عقلها، فأحسن رجل عندها هو مَنْ يلاعبها طول النهار وطول الليل، ويكون عنده مال لا يفنى لقضاء ما تشتهيه من الملابس والحلي والحلوى، وأبغض الرجال عندها مَنْ يقضي أوقاته في الاشتغال في مكتبه، كلَّما رأته جالسًا منحني الظهر مشغولاً بمطالعة كتاب؛ غضبت منه

أما هذه الفقرة فهي أكبر دليل على أنه يخلط الأمور، بل يخلط الحق بالباطل، وأنه لا يفهم عن المرأة شيئا، ويصف كل شيء بالطريقة التي توصله إلى بُغيته من تضليل عقل القارئ وخاصة المرأة.

أما أنّ المرأة تحب من الرجال من يلاعبها، فهذه حقيقة، ولكن؛ أوَ ليس الرجل يحب من النساء من تهتم به وتتزين له وتشتاق إليه، ويكره من لا تهتم به ولو كانت أديبة شريفة أو عالمة مشهورة ممن نعتبر وجودها شرفا لنا، كما قال أيضا عن رجل يُعتبر وجوده شرف لنا ولكن قد تكرهه النساء زوجا، أفتكون المرأة جاهلة حينئذ حين تحب من الرجال من يهتم بها ويلاعبها؟!! وهل حين تفضل المرأة من الرجال من له مال يغنيها فهي حينئذ جاهلة؟!! أليس هذا حق فطري لها كما هو حق فطري للرجل أن يفضل امرأة جميلة على غيرها، فمن ينكر ذلك عليه أو عليها؟ وإن الإسلام لم يمنع ذلك الحق الفطري عليهما، وإنما شرع الإسلام أن يبتغي كلاهما ذات الدين وذا الدين أولاً قبل أن ينظر إلى تلك الأمور الأخرى من مال أو جمال.

وانظري أيتها الفتاة المؤمنة إلى تلك الحادثة العظيمة في كتب الأثر عن جارية ترفض أمير المؤمنين حين أتاها خاطبا وسبب رفضها، تقول القصة "أن عمر بن الخطاب أراد الزواج من أم كلثوم بنت أبي بكر

وكان حينئذ أمير المؤمنين ...فبعث إلى أختها السيدة عائشة رضي الله عنها ... فرحبت بذلك السيدة عائشة وأسرعت إلى أختها تبشرها.

ففوجئت بأم كلثوم تقول لها: وما أفعل بعمر؟!!! ذلك رجل خشن العيش شديد الغيرة لا يملأ رأسه إلا الرعية، وأنا شابة أريد من يصب عليَّ الحب صباً ويكون عابداً لله". فأوعزت أم المؤمنين إلى عمر بمن يصرفه عن خطبتها فقبل عمر ذلك وخطب غيرها.

فانظروا إلى جُرأة هذه الفتاة الصغيرة وهي ترفض أمير المؤمنين!!

وانظروا إلى هذا المجتمع الرائع الذي تقبّل وجهة نظرها باحترام!!...

وانظروا لأُم كلثوم وهي تعلن دون حرج حاجتها لرجل يصب عليها الحب صبا دون أن يتنافى ذلك مع اشتراطها للدين حين قالت (ويكون عابدا لله)، أليس هذا ما يؤكد على أن الإسلام هو دين يقدّر الفطرة ويبني أحكامه كلها عليها، وأن قاسم وأشباهه من الليبراليين يتخبطون في أقوالهم وأفهماهم وأفكارهم، وهم يظنون أنهم ذوو عقول مستنيره وهم ذوو عقول تائهة ضالة، مفتونين بالغرب وبالمرأة هناك، وقد ضاقت صدورهم بما شرعه الله، فأرادوا أن يغيروا تلك الأحكام لتوافق أهواءهم.

ثم يزيد قاسم فوق ما قال ويكشف سوء فهمه للمرأة حين يقول: إن تلك المرأة تَبغض من يقضي أوقاته جالسا منحنيا مشغولا بمطالعة كتاب. وهذا لا يكون أبدا من امرأة إلا حين ينشغل الرجل بالكتاب أو أي عمل آخر عنها وهذا حقها، ولا يحدث هذا إلا من رجل جاهل بما يجب عليه تجاه زوجته وإن كان أديبا مسجلا في أعظم الكتاب والأدباء. فالمرأة لا تغضب أبدا بأن زوجها مشغول بعمل آخر إلا أن يشغله هذا العمل عنها، بل إن غالب الأزواج كذلك، فتجد الرجل مهتما مثلا بالشعر أو بالرياضة أو بالسياسة وزوجته غير مهتمة بشيء من ذلك، ولا يُغضبها من ذلك شيئا إلا أن ينشغل الرجل عنها ويهملها، وهذا لا يجوز في الإسلام ولو كان بالعبادة وقراءة القرآن، وهذا ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقر سلمان الفارسي على قولته للصحابي الجليل أبو الدرداء (**إن لربك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا، ولأهلك عليك حقّا، فأعطِ كل ذي حق حقّه**). (رواه البخاري).

أما قاسم فقد خلط الحق بالباطل ووصفه أقبح وصف حسب هواه، أنكر على المرأة أن تحب من يهتم بها ويلاعبها، وأنكر عليها أن تغضب ممن انشغل عنها بكتبه وقراءاته التي لو انتفع بها أصلا لأعطى زوجته حقها، وأنكر عليها أن تفضل الرجل الغني الذي تعيش معه في رغد من العيش، وكأنه يجب عليها أن تفضل الفقير المعدم الذي لا يجد قوت يومه لتأكل معه بصلا وعدسا لكي يكون حبها صادقا.

الغريب هنا أنه لا يتكلم هنا عن الحب الذي حرَم الرجل زوجته منه بمطالعته للكتب، بل أنكر على المرأة اشتياقها له وغضبها من زوجها لإهماله لها.

أما الفقرة التالية فهي أعجب فقرة في كتابه وهي دليل على كمية التضليل التي كان يصنعها قاسم بعقل القاري وخداعه عن رؤية الأمور على حقيقتها، وعلى طريقته يقوم الليبراليون بتضليل الناس وخداعهم وقلب الحقائق في أعينهم.

في هذه الفقرة يصف قاسم طريقة وقوع المرأة الجاهلة في الزنا والمتعلمة في الزنا ليبين أهمية التعليم للمرأة !!! يقول في (ص: 36):

> ومن البديهي أن المرأة التي يكون هذا حالها إن كانت فاسدة الأخلاق ووجدت فرصة لا تتأخر عن انتهازها، ولا تكلِّف نفسها عناء البحث عن صفات الرجل الذي تريد أن تقدِّم له أفضل شيء لديها؛ وهو نفسها.
>
> وعلى خلاف ذلك يكون أمر النساء المتعلِّمات، إذا جرى القدر عليهنَّ بأمر مما لا يحلُّ لهنَّ لم يكن ذلك إلاَّ بعد محبة شديدة يسبقها علم تام بأحوال المحبوب وشمائله وصفاته؛ فتختاره من بين مئات وألوف ممَنْ تراهم في كل وقت، وهي تحاذر أن تضع ثقتها في شخص لا يكون أهلاً لها، ولا تسلِّم نفسها إلاَّ بعد مناضلة يختلف زمنها وقوَّة الدفاع فيها على حسب الأمزجة، وهي في كل حال تستتر بظاهر من التعفُّف، وتخفي ما في نفسها عن أخصِّ الناس بها.

فالمرأة الجاهلة إذا كانت فاسدة الأخلاق تسلّم نفسها لأي رجل دون أن تبحث كثيرا في صفاته، أما المرأة المتعلمة فهي تختار وتصطفي من تسلمه نفسَها فيكون وقوعها في الفاحشة بعد زمن من المناضلة، وبعد زمن من الاختيار "**من بين مئات وألوف**" "**تراهم في كل وقت**"!؟، وكأن كل ما يسبق وقوعها في الزنا أمر ليس دالا على فساد أخلاقها، وهذه عبارة في غاية المكر وتظهر خبيئة نفسه في فكرِه عن علاقة الرجل بالمرأة، لأنه يوحي هنا بأن المرأة التي اختارت رجلا من بين ألوف من الرجال (تراهم وتخالطهم في كل وقت) وأحبته وخالطته "حتى عرفت صفاته كلها" ووثقت فيه أمرا ليس دالا على فساد خلق ودين وانعدام حياء فيها، ثم يُشبّه وقوعها بعد ذلك في الزنا –الذي تفادى ذكره صراحة لكي يخفف من عار وقوعها فيه– أنه من جريان القدر عليها!!!.

إن هذه الفقرة تُظهر أنه لا يضع قيم الإسلام وأخلاقه في حسبانه وفي أحكامه، فكلتا المرأتين في الإسلام لا فرق بينهما، بل إن المتعلمة تزيد على الجاهلة خطيئة وذنبا ورذيلة بما أنعم الله عليها بنعمةٍ كان بمقدورها

بها أن تتعلم دينها وتحفظ عفافها. أما قاسم فذهب يميز وقوع المتعلمة في الفاحشة على تلك الجاهلة حتى تكاد تشعر أنه يثني على طريقتها في الوصول إلى الوقوع فيها.

ولا أدري أصلا ما هو الفرق العظيم الذي أراد أن يستدل به هنا على أهمية التعليم للمرأة في وصف طريقة وأسلوب وقوع كل منهما في الزنا أو الفاحشة. وهل اختيار شريك الزنا يميز الزانية المتعلمة على الجاهلة في شيء وكلتهما فاسقةٍ؟!! ما هذا السفه في القول والوصف؟!!!

ولكن الفرق كان عند قاسم في إقناع القارئ بصحة شيء أعوج في نفس قاسم أمين. لقد كان يتلاعب بالمنطق ولو كان معوجا لإقناعك بأن تعليم المرأة وإن كان سيجرها إلى رذيلة نتيجة الاختلاط فإن حالها أفضل من حال الجاهلة حين تقع في الفاحشة!!!

انظر أيها الشاب الذكي وانظري أيتها الفتاة الفطنة كيف يتلاعب بالكلمات والعبارات ليتلاعب بالعقول ليجمّل لها العلاقة التي كان يريد أن يراها بين الرجل والمرأة والشاب والفتاة من الاختلاط الشديد والتعارف التام ولو كانت طريقا موصلة إلى الفاحشة، وهذا نفسه ما يفعله الليبراليون والليبراليات حين يدافعون عما يجنيه الاختلاط من فواحش ورذائل، لكي يهونوا من وقوع تلك الفواحش في قلوب الناس نتيجة الاختلاط.

يقول قاسم في (ص:49) أخبث عبارات سطّرها في كتابه:

> أباحت الشريعة في هذه الآية للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسمها أمام الأجنبي عنها، غير أنها لم تسمِ تلك المواضع، وقد قال العلماء إنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفا في العادة وقت الخطاب، واتفق الأئمة على أن الوجه والكفين مما شمله الاستثناء في الآية، ووقع الخلاف بينهم في أعضاء أُخَر كالذراعين والقدمين.

تلك الفقرة من أهم فقرات كتابه لأنها تكشف حقيقة أفكاره التي كان يخفيها، ولأنها تدحض كل الادعاءات الكاذبة التي ادعى فيها التزامه بالشرع، وتكذب دعواه بأنه لا يريد سوى أن يكون الحجاب منطبقا على ما جاءت به الشريعة.

إن تلك الفقرة تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه لا يحمل لأحكام الحجاب أصلا التي جاءت في الشرع أي وجوب لأنها مبنية أصلا كما قال على: " **ما كان معروفا في العادة وقت الخطاب** " وتأمل الجملة التي قبلها بأن الشريعة أباحت للمرأة أن تظهر بعض أعضاء من جسمها " **غير أنها لم تسم تلك المواضع** " ثم يقول: إن العلماء قالوا كذا وكذا فيما يمكن للمرأة أن تظهره واختلفوا في كذا وكذا. فبماذا توحي عبارته

" **لم تسم تلك المواضع** " سوى أن الأمر فيه متسع ولا شيء محدد فيه، وهذا من كذبه وتلفيقه على الشريعة، لأن الشريعة كانت واضحة في حجاب المرأة بأدلة وآيات وأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تملأ الكتب بأن الحجاب يشمل سائر بدن المرأة، ولم يقع الخلاف إلا في الوجه والكفين والقدمين، وما غير ذلك شاذ معلول من الأقوال لا يَلتفت إليه إلا أهل الأهواء.

عليكما الآن أيها الشاب الذكي والفتاة الفطنة بالربط بين الجمل بهدوء لتتعرفا على فكر قاسم أمين الحقيقي الذي هو أصل فكر الليبراليين، ولتتعرفا على حقيقة ما يدعونه أحيانا بالالتزام بالشرع. فعندما تبدآن بالربط بين الجمل فإن هناك جملة تكون دائما هي عقدة الرابط التي يختبئ في ثناياها حقيقة فكر الكاتب منهم، والتي بالوقوف عليها وطرح الأسئلة حولها يتبين لكما حقيقة ما يخفيه أحدهم وراء ما يخدعكما به من تظاهر بالالتزام بما جاء في الإسلام. هذه الجملة هنا: " **قال العلماء أنها وكلت فهمها وتعيينها إلى ما كان معروفا في العادة وقت الخطاب** " وتلك جملة في منتهى الخبث، **فأولا**: من هم هؤلاء العلماء الذين قالوا بذلك وقالوا إن الأعضاء التي تظهرها المرأة يرتبط تعيينها بما هو متعارف عليه عادة بين الناس؟؟ إنني أتحدى أحدا يأتي بقول عالم معتبر من علماء الإسلام قال بذلك. ولكنها من تلفيقاته على الشريعة والإسلام الذي يدعي الالتزام بهما. **وثانيا**: تأمل نهاية الجملة "**وقت الخطاب**" أي أن الأمر كله والقضية كلها والحكم كله مرتبط بالزمن الذي نشأ فيه الخطاب، إذاً فما هي قيمة كل أقوال العلماء التي سطرها في كتابه فيما تظهره المرأة من حجابها؟ لا شيء عنده أكثر من أنها أقوال موكولة بفهمهم حسب زمانهم، لأنه كما قال في جملته الفاصلة الأولى" **تعيينها إلى ما كان معروفا في العادة وقت الخطاب** "

ولكي أبين مغالطات قاسم وتلفيقاته أكثر سأرجع الى الوراء قليلا وأسوق هذا المقطع من كلامه، والذي يوضح قيمة الحجاب عنده ...، يقول في(ص:35):

> ربما يتوهَّم ناظر أنني أرى الآن رفع الحجاب بالمرَّة، لكن الحقيقة غير ذلك، فإنني لا أزال أدافع عن الحجاب، وأعتبره أصلاً من أصول الأدب التي يلزم التمسُّك بها، غير أني أطلب أن يكون منطبقًا على ما جاء في الشريعة الإسلاميَّـة، وهو على ما في تلك الشريعة

فما معنى أنه لا يزال يدافع عن الحجاب!!؟ وأن الحجاب يعتبره أصلا من أصول الأدب؟!!

أهكذا يوصف حكم من أحكام الشريعة إن كان يعتبره حكما مُلزما من أحكامها؟ ثم يدّعي أنه يريد أنه يكون منطبقا على ما جاءت به الشريعة!! فما هو ما جاءت به الشريعة في أمر الحجاب؟؟ والإجابة واضحة في الفقرة السابقة لها، نذكرها بطريقة أخرى تكشف أكثر عن كلماته: " يجوز للمرأة كشف أجزاء

من جسمها وتعيين ذلك مرتبط بما هو متعارف عليه في العادة بين الناس حسب زمانهم ". أليس هذا بالضبط ما أراد قاسم أن يزرعه في عقل القارئ والقارئة بهدوء وخبث شديدين؟

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

تلك هي حقيقة الشريعة التي كانت في رأس قاسم أمين، وحقيقة الشريعة في عقل كل ليبرالي وليبرالية مهما تظاهروا في كلامهم بعدم الخروج عنها. فكلهم لا يرون أي حكم من أحكام الشريعة عندهم لازما محكما لا يمكن الخروج عنها، بل إن أحكام الشريعة كلها عندهم مرتبطة بالزمان والمصلحة والمنفعة طبقا كما يقولون لمبادئ الشريعة التي لا يؤمنون إلا ببعض منها، لأنها تعطيهم المساحة الكافية للخروج على كل أحكام الشريعة الواجبة التي تضيق صدورهم بإتباعها. ولذلك فهم لا يطيقون في الإسلام والشريعة أكثر من تلك المبادئ عند الإشارة إلى معنى الشريعة في أي دستور لبلد مسلم. لأنهم لا يطيقون قانونا أو حكما ملزما أو واجبا في أي شيء.

إنهم يريدون الحرية لأهوائهم، ويريدون الحرية لعقولهم ليحددوا هم ما هي المنفعة وما هي المصلحة.

وكل كلام العلماء حتى التي تقابل بعضٌ منها أهواءَهم لا تتعدى كونها أقوالا وآراء غير ملزمة، لأن كل الشريعة عندهم مرتبطة بالزمان والعصر الذي يحيا فيه الناس. ومهما قال وتظاهر أحدهم بأحسن الكلمات عن احترام الشريعة فهو يتكلم والراسخ في عقله أنه لا يلزمه منها إلا ما يراه فيها موافقا للعصر، وغير ذلك فإن الشريعة نفسها مبنية عنده كما قال قاسم "**على ما تعارف عليه الناس وقت الخطاب**"، ولذلك لا يمكن أن تجد ليبراليا يمدح حكما مخصوصا من أحكام الشريعة بأسلوب يحمل الوجوب والإلزام، بل يمدحه بأسلوب يصرف ذلك عن ذهن القارئ والمستمع، مثل ما قال قاسم عن الحجاب "**أعتبره أصلا من أصول الأدب** "

ويكرر قاسم في الفقرة التالية في (ص:46) نفس الأسلوب في مدح الشريعة ويبين فيها مقدار أهميتها للمجتمع. وتأمل أيها القارئ براعته في اختيار الكلمات التي لا تضفي أي إحساس بالثبوت أو أنها فوق التبديل والتغيير.

> إنا نطلب تخفيف الحجاب، وردَّه إلى أحكام الشريعة الإسلاميَّـة لا لأننا نميل إلى تقليد الأُمم الغربيِّـة في جميع أطوارها وعوائدها لمجرَّد التقليد، أو للتعلُّق بالجديد لأنه جديد؛ فإننا نتمسَّك بعوائدنا الإسلاميَّـة ونحترمها، ونرى أنها مزاج الأمَّـة التي تتماسك به أعضاؤها،

انظر كيف يصف قاسم ما ورد في القرآن والسنة من أحكام صريحة لا تحتمل التأويل فيصفها بأنه "عوائد إسلامية" "يحترمها" وهي مطلوبة لأنها "مزاج الأمة" التي تتماسك به!! هو يقول ذلك بالرغم من أن كتابه يقوم على تغيير هذا المزاج وتبديله بمزاج آخر يماثل ما رآه في الغرب الذي أعجب به وافتتن.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

هذا الذي يعمل عليه الليبراليون ليلا ونهارا، وهو تغيير ثقافة الأمة ومزاجها وفكرها وتبديل نظرتها للدين والشريعة والحياة، وتغيير نظرتها لأحكام الله وحدوده. هم يعملون على أن ينزعوا من صدور الناس تعظيمهم للشريعة وأحكامها، ويعملون على أن ينزعوا من صدور الناس تعظيمهم للعلماء، ويعملون على أن ينزعون من صدورهم انتمائهم للدين، وألا يبقى في صدورهم له أكثر من الاعتزاز به.

ومن ناحية أخرى يعملون على البث في نفوسهم حرية الحكم بالعقل على كل شيء حتى الذي جاء في القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فما تستوعبه عقولهم يأخذون به وما تنكره عقولهم يرفضونه وخاصة في جانب السنة لأنهم يستطيعون تكذيبها وانكارها بأسلوب غير مباشر عن طريق التشكيك فيها وأنها وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول قاسم في (ص49 و50) في معرض تقبيحه للحجاب بمعى عدم الاختلاط:

وإذا أراد القارئ أن يتبيَّن صحَّة ما أسلفته من مضار الحجاب على وجه لا يبقى للريب معه مجال فما عليه إلاَّ أن يقارن بين امرأة من أهله تعلَّمت، وبين أُخرى من أهل القرى أو من المُتجرَات في المدن لم يسبق لها تعليم؛ فإنه يجد الأولى تُحسِنُ القراءة والكتابة، وتتكلَّم بلغة أجنبية، وتلعب البيانو ولكنها جاهلة بأطوار الحياة بحيث لو استقلَّت بنفسها لعجزت عن تدبير أمرها وتقويم حياتها، وأن الثانية مع جهلها قد أحرزت معارف كثيرة اكتسبتها من المعاملات والاختبار وممارسة الأعمال والدعاوى والحوادث التي مرَّت عليها، وأن كلَّ ذلك قد أفادها اختبارًا عظيمًا؛ فإذا تعاملتا غلبت الثانية الأولى.

هنا يسقط قلمه بأن المجتمع المصري لم يكن يمنع خروج النساء بالشكل الذي يوهمك به قاسم أمين طوال كتابه، بل إن هناك منهن من كانت تتجر، ومنهن من كانت تخرج لمساعدة زوجها في الزراعة، ولكن لم يكن ذلك إلا فيمن يحتجن لذلك، وأن ذلك حين كان يحدث يكن وفق أصول وأحكام تربى عليها الناس من الإسلام، ولكنه بالطبع لم يلتفت لذلك لأنه كان يريد أن تخرج المرأة دون التقيد بتلك الأصول، وكان كل ما يهمه أيضا هو إخراج هؤلاء الذين لم يكونوا بحاجة من النساء إلى الخروج لتبحث إحداهن عن عمل، أو الخروج لمجرد الخروج بحجة استطلاع الحياة واكتشافها الذي لن تتم فائدته كما سول له الشيطان إلا بمخالطة الرجال.

عندما تقرأ كتاب قاسم تتخيل أنك أمام مجتمع يضطهد المرأة ويغلق عليها الأبواب ويمسك بالمفاتيح بكلتا يديه، فإذا أراد أن تخرج أقام عليها الحراس والمراقبين، وكل ذلك من المغالطات وتصوير من عنده لاستفزاز عاطفة النساء ضد مكثهن في البيوت ولو كانت إحداهن لا تحتاج للخروج والعمل، والفقرة السابقة تُكذّب كل ما صوره قاسم عن المجتمع، بل إنها تؤكد أن المجتمع لم يكن كما صوّر قاسم يفرض الحجاب بين الرجال والنساء سلوكا بلا عقل، بل على العكس، ولكن باتباعٍ لدين وخلق وحياء.

فلو أن الحاجة ألجأت المرأة للخروج من بيتها ما كان المجتمع ليقف في وجهها بل كان يساعدها ويقدر لها ذلك، وكل ذلك مع التحفظ من الاختلاط إلا ما تدعو إليه الحاجة التي خرجت من أجلها. ولكن كانت هناك طبقة مخصوصة من المجتمع المصري في مستوى من الغنى لم تكن تحتاج النساء فيه إلى العمل، وبالتالي إلى الخروج إلا في الشؤون الخاصة التي تحتفظ فيها المرأة لنفسها بعدم مخالطة الرجال، ولكن قاسم أمين لم يكن يريد من هذه المرأة إلا أن تخرج وتخالط الرجال بلا تحفظ أو تقيد بأي من تلك الأصول التي تربى عليها الناس اتباعا لأمر دينهم.

أيتها الفتاة اقرأي بتمعن الفقرتين التاليتين وتأملي فيهما مدى براعة قاسم في المغالطات واللعب بالكلمات الشاعرية، مع اللعب بالمنطق في كليهما مع تناقض كل منطق عن الآخر لاستدراج العقل في اتجاه واحد محدد.

يقول في (ص :52):

> أيُقبَلُ من مسجون دعواه أنه رجل طاهر لأنه لم يرتكب جريمة وهو في الحبس؟ فإذا كانت نساؤنا محبوسات محجوباتٍ فكيف يمكنهنَّ أن يتمتَّعن بفضيلة العفَّة؟

وفي (ص: 53) يقول أن المرأة تستطيع أن تفعل ما تشاء من وراء الجدران والستور !!:

> ومع ذلك ما الذي فعل الحجاب؟ ألم نسمع بما يجري في داخل البيوت مما ينافي العفَّة ويخلُّ بالشرف؟ هل منع البرقع وقصر النساء وراء الحجاب والأقفال سريان الفساد إلى ما وراء تلك الحجب؟ كلا.

ولا أدري من كلامه هل حبسهن في البيوت (كما يصور لنا) لا يمكنهن من فعل شيئ ولا دلالة فيه على عفتهن، أم أن إحداهن تستطيع أن تفعل أي شيء من وراء الستر والحجب إن أرادت ذلك ؟!

إنه يستخدم كل الأدلة ويمنطقها حسب مزاجه ولو كانت أدلة ضد بعضها، وهي المغالطات التي يستخدمها لتضليل عقل القارئ، فقط ليزرع في عقله بأي طريقة أن تُترك المرأة لنفسها لتكون حرة طليقة مثلها مثل الرجل في الخروج، ويكون البيت بالنسبة لها مثل ما هو بالنسبة للرجل، أليسا شريكين فيه فليحملاه معا كلاهما بنفس الشكل ونفس القسمة؟

هذا هو منطق تفكيره الأعوج في كتابه الذي تعامى فيه عن أن الإسلام فرض على الرجل أن يشقى في عمله خارج البيت من أجل زوجته وأهله، وهو الموافق لفطرته وهو مسئول مسؤولية كاملة وحده عن النفقة، وأن المرأة حين تقوم على رعاية بيتها وأولادها إنما تقوم بما هو أتم وأنسب لفطرتها وعاطفتها، وذلك التقسيم هو سنة الإسلام وفلسفته التي توافق الفطرة التي فطر الله الرجل والمرأة عليها.

هذه الفِطرة التي لم تعجب قاسم أمين فأراد إعادة هذا التقسيم بعد أن أضلته الحضارة الأوروبية والمرأة هناك بوضعها الجديد، فظن أن ما شرعه الإسلام إنما كان لعصر بعيد لا يناسب هذه العصور التي نحياها!!!.

أيتها الفتاة وأيها الشاب اللذان لا يزالان يحتفظان بعفتهما، وأيتها الفتاة وأيها الشاب في البلاد التي ما زالت تحتفظ بتدينها: لا تغرنكم تلك الأوهام والكلام المعسول عن المساواة والحرية التي يغرونكم بها الليبراليون والليبراليات بالليل والنهار، إن المساواة والحرية والتنوير مثل ملاعق ذهبية براقة يمنوكم بها هؤلاء الشياطين بأنكم ستأكلون بها شهدا وماء عذبا ،ولكنها في الحقيقة هي ثلاث ملاعق يتبادلون استخدامها لنبش الأرض من تحت أقدامكم لتقعوا معهم في فسادهم وانحرافهم عن منهج الله الذي لم يعد يعجبهم، ويرونه ثوبا قديما ينبغي أن نغيره، وإن هذا الثوب البراق الذي يمنونكم به وجماله يكمن في خيوطه المرض والشقاء والفقر.

وانظروا إلى تلك البلاد التي تبعت آرائهم، ألم يصبها الفقر والذل؟

ذلك أن الفقر يتبع أقدام الليبراليين ويزداد مع كل خطوة من خطواتهم حتى يعم البلاد كلها، وللأسف فإن بعض البلاد التي ما زالت تحتفظ بتدينها وبدأت تستمع لكلامهم بدأ الفقر يطل من الأفق عليها **ويا ليتهم يستيقظون قبل فوات الأوان.**

الأسلوب السادس

وصم منتقديه ومخالفيه وتسفيههم

لقد كان السبق لتسفيه المنتقدين والرد على ما يتوقعه منهم من انتقادات أسلوبٌ اتبعه قاسم أمين لمحاصرة عقل القارئ وتحصينه مسبقا ضد هذه الانتقادات، وقد ابتدأه مبكرا قبل أي طرح لأفكاره.

يقول قاسم في (ص :10):

> وكثيرًا ما يكتفي الكسول وضعيف القوَّة في الجدل بأن يقذف بكلمة باطلة على حق ظاهر يريد أن يدفعه فيقول:
>
> تلك بدعة في الإسلام، وما يرمي بهذه الكلمة إلاَّ حبُّ التخلُّص من مشقَّة الفهم، أو الخروج من عناء العمل في البحث أو الإجراء،

وهكذا بكل ثقة يقرر في أول صفحات كتابه أن ما سيأتي به حق ظاهر، ويسرع إلى تسفيه من سينتقده بأن هؤلاء الذين سينتقدوه بالابتداع في الدين إنما ينتقدوه بسبب أن أحدهم كسول ويصعب عليه الفهم والبحث. وهو هنا يستخدم أسلوب ما يسمى بالرد الاستباقي، فقد كان يعلم أن ما أتى به هو فعلا بدعا في الدين لم يسبقه إليه أحد، ولقد كان يتوقع هذا الاتهام، لعلمه في قرارة نفسه أنه أتى بما لم يقل به أحد من علماء الإسلام المعتبرين من قبل على مدى قرون الإسلام حتى وقته، فأراد أن يسد آذان القارئ عن الإنصات لهم مسبقا أو تحصين آذانهم ضد الالتفات لما يقولون.

ومن أعجب الفقرات التي تثير الضحك والسخرية، وتبين مدى استخفافه بعقل القارئ ما قاله عن الأوربيين وعقولهم التي إرتأت أن تترك الحجاب، لأنهم لم يروا فيه خيرًا، ولو رأوا فيه خيرًا لحافظوا عليه، بل يقول إن هؤلاء لن يغيب عنهم معرفة الوسائل اللازمة لحفظ صيانة المرأة!!! ثم بعد ذلك يتهم من يتمسك بالحجاب من المسلمين بأنهم سذج، يقول في (ص: 58):

> هل يظنون أن تلك العقول وتلك النفوس التي نعجب بآثارها يمكن أن يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفَّتها؟ هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكُّنه عندهم لو رأوا خيرًا فيه؟ — كلا. وإنما الإفراط في الحجاب من الوسائل التي تبادر عقول السُذَّج وتركن إليها نفوسهم ولكنها يمجُّها كلُّ عقل مهذب وكلُّ شعور رقيق.

واليوم لا تتزوج امرأة في الغرب إلا بعد أن يكون قد جرّبها عدد من الرجال في شبابها، ولا منكر ولا نكير من المجتمع، وهذه هي العقول والنفوس التي أعجب بها قاسم أمين!!

إن هذه الفقرة تعد دليلا كافيا بل أكبر دليل لكل ذي عقل وبصيرة على ضلال فكر قاسم أمين وتلاعبه بعقول الناس، وهي دليل على ضلال فكر كل ليبرالي وليبرالية، لأنهم جميعا يتخذون تقدم الغرب وتفوقه المادي سببا نفسيا لهم في اتباعهم في كل شيء.

ثم، ماذا كان يقصد بـ "**الإفراط في الحجاب**" وهو لا يريد حجابا أصلا بدليل ما قاله في ثنائه على عقول الغرب الذين تركوا الحجاب، والذي من الواضح في كلماته مدى إعجابه بهم، ومن الواضح أكثر من عبارته (**لو رأوا فيه خيرا**) أنه لا يرى أي خير من وراء التمسك بالحجاب، ولا يرى بأسا أو ضررا من تركه. إنّ قاسم لم يكن مقصوده من عبارة " الإفراط في الحجاب" إلا التمسك بالحجاب لأنه لا يحب كلمة التمسك ويضيق بها صدره، ولذلك تحاشى كتابتها صراحة، وهو يريد أن يقول أن من يتمسكون بالحجاب ما هم إلا سذج، ومن يكون ذا عقل مهذب وشعور رقيق من الرجال سيترك هذا الحجاب!!! وهكذا يقرر أن كل من يخالفه الرأي ساذج ومن يوافقه رجل مهذب رقيق الشعور.

إن قاسم قَلَبَ كل شيء، فلم يجعل فقط الحرام حلالا أو الحق باطلا، بل قلب القيم والأخلاق، فجعل الرجل المهذب الغيور الذي يحافظ على أخلاق الإسلام ويحافظ على أهله من الاختلاط بالرجال ساذجا، وجعل من الديوث فاقد الرجولة والمروءة رجلا مهذبا رقيق الشعور، وهذا بالفعل ما وصلت إليه حال كثير من المسلمين في بعض الدول الإسلامية بفضله وفضل أذنابه من الليبراليين والليبراليات.

ثم ما لبث قاسم أن بدأ بتوجيه الانتقاد مباشرة إلى علماء المسلمين وفقهائهم خاصة، وظل على هذا الحال في كافة الأبواب والفصول اللاحقة حين كان يجد أي فرصة لذلك. فقد كان تسفيه علماء الدين والفقهاء ركن جوهري ومن أعمدة كتابه، وذلك لأن هؤلاء العلماء والفقهاء هم الذين يتمسكون بالأحكام الشرعية وتبيانها للناس وتبيان ما هو حلال وحرام من شريعة الله، وكان جل المجتمع يسمع لهم ويثق بهم؛ ولذلك فإن التسفيه من آرائهم والتقليل من قدْرهم كان هدفا قائما لقاسم في صفحات الكتاب، فقد كان يعتبرهم حجر العثرة الأساسي والوحيد أمام أفكاره المنحلة من الدين والخارجة عن شريعة الإسلام.

يقول قاسم في تسفيهه للعلماء والفقهاء في(ص:64):

وليس في إمكان أحد أن ينكر أن الدين الإسلامي قد تحوَّل اليوم عن أصوله الأولى، وأن العلماء والفقهاء – إلاَّ قليلاً ممَنْ أنار الله قلوبهم – قد لعبوا به كما شاءت أهواؤهم حتى صيَّروه سخرية وهزوا، وحقَّت عليهم كلمة الكتاب: ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

هكذا يلقي التهم جزافًا ويتهم جلّ علماء الأمة في زمانه ومن هم قبله بأنهم لعبوا بدين الله، بل ويزيد جرأة في ضلال كلماته بأن يذكر فيهم قول الله (**اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا**). وبعد؛ فمن هم هذه القلة التي استثناها؟ أهم الذين شاركوه رأيه وفتنته بالغرب وأعمتهم حضارته المادية عن تخلفه الأخلاقي فأرادوا لنا اتباعه في كل شيء؟ أم هو زعم يوحي به أن هناك من يشاركه الرأي فيما يقول؟

رسالتي الى الشباب والفتيات:

ما زال الليبراليون والعلمانيون يتعاملون مع علماء الدين على أنهم حجر العثرة الرئيسي لهم. ولا غرابة في ذلك، لأن حدود الدين وشريعة الإسلام هي حاجز الأهواء، والفقهاء والعلماء هم الذين يدافعون عن حدود الإسلام وشريعته ويبينونها للناس، والليبراليون والعلمانيون يَضيقون بشريعة الإسلام وحدوده، لأن لهم أهواءً تقيدها حدودُ الإسلام وشريعته.

والليبراليون خاصة يريدون أن يجعلوا العقل حَكما على الدين فيقبلون ما يرونه صالحا ويُنحّون منه ما يرونه غير مناسب للعصر من وجهة نظرهم، ويُعدّلون ما يرون الحاجة إلى تعديله، ويزيدون أو ينقصون ما يرون الحاجة فيه إلى الزيادة أو النقصان، وكل هذا ضد عقيدة التوحيد وحقيقة الإسلام لرب العالمين وكل هذا يرفضه علماء الدين، ويرفضه كل مسلم متمسك بدينه يعرف معنى الإسلام لرب العالمين.

وعلى هذا المنوال الذي اتبعه قاسم أمين من تسفيه العلماء والفقهاء، والانتقاص من قدرهم في أنفس الناس، والتسفيه لأقوالهم يتكلم ويكتب الليبرالي والعلماني إلى درجة الاستمتاع بذلك، وهو غافل أنه لا يسفه منهم بل يسفه من دين الإسلام وشريعته التي ثقلت عليهم الالتزام بأحكامها كما أنزلت على بلا تعريف أو تبديل.

يقول أيضا في (ص: 65):

ومن ذلك الحين انطفأ مصباح العلم من الشرق بأجمعه، واقتصر علماء الإسلام على النظر في شيء من علوم الكلام، وبعض شيء من قواعد اللغة العربية، وانصرفوا عن كل شيء سواها.

ولَمَّا ساد الجهل على عقولهم، وتراكمت ظلماته في أذهانهم لم يعد في استطاعتهم أن يفهموا حقيقة الدين؛ وشعروا أن ضعفهم لا يسمح لهم بأن يصعدوا إليه بعقولهم فأنزلوه من مكانه الرفيع، ووضعوه مع جهلهم في مستوى واحد، ثمَّ أخذوا يتصرَّفون فيه تصرُّف الغبي الأحمق؛ والجاهل كالطفل يغترُّ بنفسه، ويعجب بمعارفه، ويؤذي نفسه والناس معه.

هكذا في نظر قاسم أمين قد انطفأ العلم في الشرق بسبب علماء الإسلام، وساد الجهل على عقولهم، وأصبحوا لا يفهمون حقيقة الدين!! هكذا جعل علماء الدين هم سبب الجهل والتخلف العلمي الذي تعيشه الأمة!! وتلك هي الفكرة التي امتلأ بها عقله عن علماء الإسلام، فهم عنده سبب التأخر الذي فيه الأمة، وهذا ما لم يقله مسلم على مر التاريخ حتى قالها قاسم أمين، فمن أين استقاها؟؟

لقد قالها اتباعا أعمى للغرب المسيحي الذي حكمته الكنيسة في القرون الوسطى، وكانت الكنيسة حينها تحارب العلم الحديث وتتهم علماءه بالهرطقة، بل وأعدمت بعضَهم عندما اتهمتم بالسحر والشعوذة، وظلت أوروبا في جهلها وتخلفها حتى قامت الثورات ضد حكم الأمراء المستبدين من ناحية، وضد حكم الكنيسة الذي كان يشكل كلاهما حكما ثيوقراطيا كريها، كان السبب في تخلف أوروبا علميا وثقافيا على مدى قرون حتى استطاعت شعوب أوروبا التخلص منهما جميعا، ومع تخلصهم من سلطان الكنيسة وحكم الأمراء انطلق العلم الحديث، وانفجرت الاكتشافات والاختراعات، وانطلقت حرية الفكر، وانتشر التعليم والثقافة، ومعهما تكونت ثقافة علمانية تفصل الدين عن الدولة، وترى أن الدين ورجاله هم سبب تأخر أوروبا طوال تلك القرون.

وجهلا بالإسلام وبتاريخ الإسلام وتقليدا أعمى للغرب شرب قاسم وغيره ممن ابتعث لأوروبا تلك الثقافة التي أصبحت دينا في عقول الناس وأنفسهم هناك، فعادوا إلى بلاد الإسلام وهو يريدون أن نُنحّي شأن الدين جانبا مثل أوروبا، ويرون إخراج الدين من كافة نواحي الحياة لينظموا هم كافة شؤونها. وقد انقسموا إلى علمانيين يدعون إلى فصل الدين عن الدولة صراحة وعدم إدخاله بداية في أي نقاش وفي أي شأن من شئون الحياة، وليبراليين يرون أن حرية الفكر هي أساس النهضة والتقدم، فيجب إطلاق حرية الفكر بلا قيد في كل شيء بما في ذلك الدين، لأن العصر والزمن قد تغير ولا بد أن نواكبه، وإطلاق حرية الفكر تعني حقيقةً إطلاق حرية الفكر في الحكم على كل شيء ليقرر العقل حسب ما يراه مناسبا للعصر.

وإطلاق حرية العقل والفكر على الدين تعني ببساطة أنه لا ثوابت في الدين ولا أحكام ولا حدود إلا ما تقرره العقول والأفكار، وكل ما في الدين قابل للتعديل لمواكبة العصر. وبذلك يصبح الدين متواجدا بلا أي تأثير ولا أي رأي فعال، فالعلمانية تلغي وجود الدين أساسا ولا تجعل له مقعدا أو صوتا في الحياة لتقرر هي ما تشاء، أما الليبرالية فإنها تجعل له مقعدا وتجعل له حرية الكلام على أن تقرر هي رأيَه وصوتَه الأخير. فلذلك فإن العلمانية والليبرالية تفصلان الدين عن الحياة إلا أن الليبرالية أشد خداعا لعوام الناس من العلمانية لأنها **أولا**: تخادع بالدين فيما تدعو إليه **وثانيا**: لأن مسمى الأفكار الأساسية التي تقوم عليها الليبرالية مثل الحرية والمساواة مما يدعو إليه الدين.

ولكن الحرية والمساواة في الإسلام مضبوطتان بحدود الدين وقيمِه وضوابطه، وهم يريدونهما بلا ضوابط ولا حدود ولا قيم، لأن الحدود والقيم ستردهم إلى الدين؛ فالمساواة مثلا بين الرجل والمرأة في الإسلام لها أحكام مبنية على الفطرة التي فطر الله عليها كل منهما، وهم يريدونها مساواة عمياء بلا أي التفات أو اعتبار أو حديث عن تلك الفطرة لأنها ستبطل كل أفكارهم وتدحض كل حججهم.

ولذلك فإن العلمانية لم تنتشر انتشار الليبرالية في العالم الإسلامي "**وإن كان هناك كثير من الليبراليين هو خليط منهما**". وعلى أي حال فإن تلك الأفكار هي التي تشبعت بها عقول المتأثرين بالحضارة الأوروبية الحديثة، فعادوا وهم يرون أن تغيير الدين لازم من لوازم النهضة، وأن رجال الدين هم سبب تأخر الأمة، وكل ذلك كان تبعا للفكر الغربي الذي تكوّن بسبب وقوف الكنيسة في وجه العلوم الحديثة وتحالفها مع الأمراء في استبدادهم على الشعوب.

ولكن أين كل ذلك من الإسلام وعلماء الإسلام؟!! إن تاريخ عزة الإسلام ومجده وعلو مكانته وبزوغ العلم والعلماء في كافة العلوم الدينية والطبيعية هو في الأوقات التي يكون فيه الدين والجهاد حاضرين بقوة في حياة الناس ويلتزم بقيمه وبشريعته الحكام. وتاريخ علماء الإسلام يمتلأ بالتحالف مع الشعوب ضد الحكام المستبدين بداية من الحجاج بن يوسف، ونهاية بالأمراء الظلمة الذين وقف ضدهم علماء الأزهر قبل وبعد الحملة الفرنسية على مصر، وكان علماء الدين على رأس ومقدمة من وقفوا ضد الاحتلال الفرنسي في مصر، ووقفوا ضد كل احتلال في كل مكان من بلاد المسلمين، وكان علماء الأزهر هم أول من انتبهوا إلى التقدم الذي أحرزته أوروبا، فكان همهم هو كيفية إدراك ما فات الأمة منه، ويكفي في ذلك أن رفاعة الطهطاوي وهو أزهري كان مبتعثا بتشجيع من شيخ الأزهر حين ذاك الشيخ حسن العطار، الذي أوصاه بنقل علوم الغرب فأصبح رفاعة الطهطاوي جسرا لنقل العلوم الحديثة وهو كما قلت أزهري بالأصل، وبغض النظر عن الانتقادات التي لاحقت رفاعة الطهطاوي وبعض التغريب الذي وقع في بعض ما كَتبه بسبب تأثير بهرجة الحضارة الأوروبية الحديثة عليه، ولكن شتان بينه وبين الليبراليين

الذين أتوا من بعده، فالرجل لم يكن علمانيا ولا ليبراليا بل ظل متمسكا بأصول مجتمعه المسلم في عمل واختلاط المرأة والعمل بأصول الإسلام.

فالطهطاوي في كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" الذي ألفه في آخر حياته يقول: **"لا يليقُ من النِّسَاءِ إلا كمال الصِّيانة والعفة، وسلوك سبيل الحياء"، "وأما النساء فالواجب عليهن ملازمة البيوت، لحفظ المسكن، والأنس مع الزوج، وتربية الولد، وحفظ العين من المحرمات"،**

وعن موقفه من الحجاب يقول: **"يجب على المرأة الاحتجاب من الأجانب، ويحرم على الرجل النظر إلى شيء من المرأة الأجنبية، ولو زوجة لأخيه، أو أختًا لزوجه، ولو في حالة أمن الفتنة، وكذلك نظر المرأة إلى الأجنبي حرام".** (المرشد الأمين 119- 282)

هذا هو الطهطاوي الأزهري الذي كان جسرا لنقل العلوم من الغرب إلى مصر، وظل حياته كلها يترجم الكتب، وأنشأ المدارس ودعا إلى تعليم وتربية البنات قبل أن يولد قاسم، وقبل أن يظهر هؤلاء الليبراليون الذين اتخذوا تعليم المرأة وسيلة وثوبا يتخفون وراءه للوصول إلى التخلي عن حجابها وتعريتها.

لقد كان الإسلام وعلماؤه سندا لكل علم نافع تعمُر به الأرض ويرتقي به الإنسان ويتقدم به الإسلام، ولكن بضوابط الإسلام وبالثبات على أحكامه، وكان جُل علماء الإسلام سندا للشعوب ضد كل طغيان وظلم من الحكام. فأين هذا مما عرفته أوروبا في القرون الوسطى وطغيان الكنيسة عليها وعلى العلم واستبدادها مع الأمراء على الشعوب، ولكن الليبراليين لم يفهموا ذلك ولا يريدون أن يفهموه، فهم لا يريدون اتباع العلماء في أي شيء، ولا يريدون حدودا تحد من أهوائهم وتضبط عقولهم، ولا يريدون أن يحكم آراءَهم شيئ ولو كانت أحكام الإسلام وأصول الدين وثوابته.

يقول قاسم في الفقرة السابقة عن العلماء:" **لم يستطيعوا أن يفهموا حقيقة الدين** " فما هي حقيقة الدين الذي توصل إليها قاسم أمين؟! هو ما توهمه من أن يكون الدين متماشيا مع العصر، وادعى أن الإسلام يُجيز ذلك خداعا لنفسه وللناس، ثم اتهم علماء الإسلام بأن الظلمات تراكمت في أذهانهم، فلم يدركوا تلك الحقيقة، والحقيقة هي أنه هو الذي لم يكن أصلا على علم بحقيقة الإسلام، بل كان جاهلا بعقيدته، وأنه أفتتن بالغرب وتقدمه المادي، ولم يدرك أصلا أين كان داء الأمة الذي أدى بها إلى هذا التراجع العلمي والثقافي والمعرفي حينها، وما زالت الأمة قابعة فيه، ثم تفاقمت أزماتها عندما تصدى لعلاج هذا الداء من ظنوا أنهم بما حازوه من شهادات علمية حديثة أنهم أعلم بعلاجها من علماء الإسلام، وكانوا هم الداء الذي أرداها وعَضَل من أمراضها .

ولم يتوقف قاسم عند تسفيه العلماء بل تعدى ذلك إلى سبهم ووصمهم، فيقول عنهم في نفس الصفحة في (ص:65):

مع أنك تراهم أشدَّ الناس احتيالاً في طلب الرزق من غير وجهه وأحرصهم على حفظ ما يجمعون من الحطام ونيل ما يتوهَّمونه شرفًا ورفعة؛ ولذلك ضُرِبَ المثلُ بتحاسدهم فيما بينهم؛ فهم في الحقيقة يريدون التخلُّص من مشقة العمل وإنما يحتجُّون بالقدر تضليلاً للعامَّــة وإقناعًا للسُذَّج بأنهم في تقصيرهم في أداء ما فرضته عليهم الشريعة مقهورون بقوَّة القضاء.

ويقول في(ص:66):

ظنَّ هؤلاء المساكين أنهم متى عرفوا كيف تستقيم العبارات، وكيف تُعذَّب الألفاظ بالأعراب والصرف عرفوا ما في الدين والدُّنيا، والبعد بينهم وبين الدين الحقيقي عظيم.

إنه يستخدم أسلوب تعميم الشاذ لتشويه السواد الأعظم، وهذا مما تَشربه العقول المريضة بكل سهولة. فأي منقصة أو زلل أو شبهة يقع فيها أحد من العلماء أو الدعاة فهذا دليل على انحرافهم جميعا، والقلوب المريضة تبحث لنفسها عن سبب لتقنع نفسَها بالإعراض عن العلماء كلهم، وإسكات ضميرها بتلك الشبهات أو تلك الزلات. والقلوب المريضة التي لا تريد اتباع الحق تتلكأ في قبوله إن لم تكن لها حجة تدافع بها عن هواها، وتظل كذلك حتى تقتنص زللا أو خطيئة يقع فيه أحد الداعين إلى الحق فتُقنع نفسَها أن الداعين إلى الحق ليسوا على حق، وأنها خير منهم، وتُقنع نفسها بالإعراض عنهم واتباع هواها.

وهكذا كان قاسم في كتابه مع من توقع منهم مخالفته لآرائه أو معارضته له. لقد ظن أن ما في رأسه من فتنة هو الحق المبين، وأن الناس لم يدركوا هذا الحق بسبب كسلهم ومشقة الفهم عليهم، ثم اتهم كل من لم يقتنع بضرورة الاختلاط ورفع الحجاب بأنهم أناس سذج، ثم بدأ بتوجيه التسفيه ثم السب لعلماء وفقهاء المسلمين. كل ذلك وأصل تفكيره مبني على حرية الرأي والتعبير وحرية الفكر !!!، ولكن لا حرية لمن يخالفه في الرأي، بل هو التحقير والتسفيه منه، وهكذا هم بالضبط الليبراليون الذين يتشدقون وينادون بالحرية، وحرية التعبير ليلا ونهارا.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

أيها الشاب وأيتها الفتاة: اعلما أن هؤلاء الليبراليين والليبراليات حين ينادون بحرية الرأي والتعبير والفكر _وبعيدا عن أنهم يريدون كل ذلك بلا قيود ولا ضوابط_ فإنهم مع كل هذا يحملون احتقارا شديدا في باطنهم لكل من يخالفهم الرأي، ولا يُكنّون لهم أي حق في مخالفتهم، حتى لو كان المخالفون من علماء الدين وفقهاء الإسلام، فهم عندهم جميعا متخلفون لا يجب الاستماع لهم ولا لآرائهم.

وهم يحتقرون كل إنسان من رأيه توقير أحكام الله وثوابت الدين، ويعدونه متشددا أو متخلفا، وفي الناحية الأخرى يُقدسون الحرية لأي إنسان يخرج عن هذا الإطار ولو جاء بأفكار شاذة هم أنفسهم لا يقبلونها، لأن حرية إطلاق الفكر مقدسة عندهم مهما كان شذوذها.

إن الحرية التي ينادون بها هي حرية كل شخص في أن يفكر خارج حدود الدين، وحريته في ألا يتقيد بأحكامه، وتلك هي الحرية التي يريدونها للجميع.

وباختصار فإن مبدأ حريتهم هو حرية الخروج على الثوابت وكل موروث، سواء كان دينيا أم مجتمعيا وهي عندئذ مكفولة للجميع، وكل من لا يؤمن بمبدئهم هذا ويريد ضوابطَ لحريتهم فهو عندهم ساذج متخلف سفيه بليد الفهم لا يستحق الحرية في الدعوة لما هو مقتنع به، بل يجب التضييق عليه ومنعه من الكلام إن كان لكلامه أثر في الناس!!!

وهذا ما يعملون عليه دائما في البلاد التي ما زال أهلها يستمعون للعلماء فيها، أو ما زال للعلماء تأثير على عوام الناس.

أما إن استتب لهم الأمر وتمكنوا من آذان الناس وعقولهم، وتوسّد الحكم لمن يحمل أفكارهم، ولم يعد الناس يستمعون لأي من الإسلاميين والدعاة ولم يعد لهم أثر فيهم، فعندئذ فإن ترك حرية الكلام للإسلاميين وسيلة دعائية لليبراليين عن نزاهة مبدأ الحرية التي يدعون إليه.

أما إذا كان ما يزال للدعاة والعلماء أي تأثير على الناس، كما هو الحال في أكثر البلاد الإسلامية، فإن التسفيه منهم والتضييق عليهم والتحقير من شأنهم ومحاولة منعهم بكل وسيلة من التواصل مع الناس هي أهداف دائمة لهم، لا ولن يستريحوا حتى يحققوها.

الفصل الخامس

الزواج

في كتاب قاسم أمين

مما لاحظته أن قاسم أمين في بداية كل باب أو فصل من الفصول لا يبدأ مباشرة بالكتابة عن فكرته وطرح أدلته حولها، ولكنه يبدأ بتمهيد ماكر حول هدفه من بعيد، ثم ينتقل بهدوء إليه ويسحب القارئ إليه تدريجيا دون أن يشعر القارئ بهذا الانتقال. وهذا ما يجعل النقطة الأساسية في الفصل التي هي هدفه بعيدة عن التحليل والمراجعة العقلية للقارئ.

ففي هذا الفصل يبدأ قاسم بنقد الفقهاء فيما عرّفوا به عقد الزواج، ثم يستفيض في بيان أهمية آصرة المودة بين الزوجين، ثم من طرف تلك المودة التي هي كلمة القرآن ينسج خيوطه الناعمة نحو غرضه الخبيث في إباحة اختلاط المرأة بالرجل قبل عقد الزواج بحجة أن ذلك أدنى أن يتم الزواج على ميل وحب ومعرفة لكل منهما للآخر، وكان هذا تكملة لخيوطه السابقة في الدعوة إلى خروج المرأة واختلاطها الكامل بالرجال.

يقول قاسم في (ص:73):

> رأيت في كتب الفقهاء أنهم يُعرِّفون الزواج بأنه: «عقد يملك به الرجل بضع المرأة»، وما وجدت فيها كلمة واحدة تشير إلى أن بين الزوج والزوجة شيئًا آخر غير التمتُّع بقضاء الشهوة الجسدانية، وكلَّها خالية عن الإشارة إلى الواجبات الأدبيَّـة التي هي أعظم ما يطلبه شخصان مهذَّبان كلٌّ منهما من الآخر.

بدأ قاسم كما قلنا بنقد الفقهاء فيما عرّفوا به عقد الزواج متجاهلا مدلول كلمة (عقد)، ثم استفاض في نقض هذا التعريف، وهو جاهل بمغزى هذا التعريف الذي وصفه بعد ذلك " بالأصل الشنيع" ثم يستدل بهذا التعريف على مدى انحطاط المرأة ووضاعتها عند الفقهاء، وكأن الفقهاء لم يذكروا في الأحكام الشرعية التي تخص المرأة والزواج إلا هذا التعريف فقط.

لقد كتب الفقهاء عن أحكام الزواج وآدابه، وحقوق كل من الزوجين على الآخر، وإن باب النكاح في كتب الفقه من أكبر الأبواب.

إن هذا التعريف الذي ضاق به صدر قاسم لم يقصد به الفقهاء إلا التمييز به بين عقد النكاح وغيره من سائر العقود والمعاملات، ولم يَغب عن علمهم ما يتضمنه عقد الزواج من الرحمة والمودة والسكن، بل ذكروا ذلك وأكثر منه واستدلوا عليه بآيات من القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وقاسم وأتباعه يعرفون ذلك، لكنّه الجحود.

ثم انتقل قاسم إلى تعريف الزواج وفي بيان آصرة الزواج القائمة على المودة والمحبة كما جاء في كتاب الله تعالى﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(سورة الروم:21) دون أن يشير إلى ما قاله العلماء في تلك الآية ليوحي من طرف خفي أن العلماء لم يتكلموا في الزواج إلا فيما يخص الشهوة بين الرجل والمرأة، وأنه هو الذي ذهب بفكره إلى اكتشاف تلك الآصرة التي وردت في كتاب الله، وهي آصرة المودة بين الزوجين، ويقول عنها أنها تصح تعريفا للزواج فيقول في الصفحة نفسها:

> والتعريف الثاني الذي نزل من عند الله يرى بنفسه إلى أي درجة وصل انحطاط المرأة في رأي فقهائنا؛ وسرى منهم إلى عامَّــة المسلمين، ولا يستغرب بعد ذلك أن يرى المنزلة الوضيعة التي سقط إليها الزواج حيث صار عقدًا غايته أن يتمتَّع الرجل بجسم المرأة؛ ليتلذذ به، وتبع ذلك ما تبعه من الأحكام الفرعية التي رتَّبوها على هذا الأصل الشنيع.

إن مشكلة التعليم الحديث أنه أفقد الناسَ كثيرا من التواضع أمام علوم الدين، وظنوا بما حصّلوه من علوم وبما احتوتهم مداركهم من ثقافات أن عقولهم تستطيع بمجرد الإطلاع على قشور من بعض كتب من كتب الفقه والتفسير والحديث أن تنقضها وتنقد أصحابها، وهم بعدُ لم يعلموا مناط كل فرع من الفروع ومنطق عمله، وأصبح الواحد منهم وهو لا يحسن قراءة القرآن ولا الصرف والنحو ولا درجات الحديث يفتي ويجتهد ويفسر، وقد بدأ الأمر في الليبراليين الذين يريدون أن يجعلوا لأهوائهم سندا من الأدلة الشرعية يخدعون بها الناس ويخدعون بها أنفسهم ويحسبون بها أنهم على شيء.

إنه يذكر قول الله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾(سورة الروم:21)، ولا يذكر ما قاله العلماء في تفسير الآية وما أفاضوا فيه، وكأنه لا يوجد علمٌ لتفسير القرآن يجد فيه ما قاله العلماء في الآيات التي نزلت في شأن الزواج، أو علم لشرح الحديث النبوي الشريف وما يستفاد منه

ليجد عشرات الأحاديث المتصلة بالزواج، وما قاله العلماء في شرحها، والتي منها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (**اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله**)(أخرجه أبو داوود في سننه).

ولكن قاسم اكتفى بما جاء في بعض كتب الفقه عن تعريف عقد الزواج حتى يجد ما يكتبه عنهم، ليسفّه من الفقه ويسفّه من الفقهاء على الأخص، وذلك لأن مناط الفقه وعمل الفقهاء **أولا**: هو تعيين الحلال والحرام والأحكام الشرعية المترتبة على ذلك، وتلك الأحكام الشرعية وما نص عليه العلماء بالحِل والحرمة هو ما يقف عثرة في طريق أفكار قاسم أمين المتحررة من الدين وأحكامه، والمنحلة عن شريعة الإسلام، ولهذا كان التسفّيه منهم ركن جوهري عند قاسم أمين في كتابه حتى يسقط قدْرهم في أعين الناس ويُدنّي من قيمة آرائهم في أنفسهم.

و**ثانيا**: فإن الفقه منوط به عند إبرام العقود (هو) تعيين الحقوق المتبادلة فيما يخص المعاملات بين الناس، ولذلك فإن النص على امتلاك بضع المرأة في تعريف الزواج لازم عند الفقهاء لأنه الشيء الوحيد الذي يتملكه الرجل بهذا العقد، ولا يمكن أن يتملكه أحد من العالمين قريبا كان أم بعيدا، ولا أبا ولا أخا ولا يكون إلا للزوج وحده، وذلك العقد هو الفاصل بين الحلال والزنا.

وأما المودة والحب والرحمة وما إلى ذلك فهي ليست مما يترتب عليه فسخ العقد لانتقاص أحد الشروط، ثم يستلزم عليه العوض مثل ردّ المهر، ولذلك فهي خارجة عن تعريف عقد الزواج من الناحية الفقهية. وحتى خدمة المرأة لزوجها فلا تجب عليها إذا كان زوجها قادرا على إحضار خادمة لها، بل لو رأت ألا ترضع أولاده حفاظا على صحتها أو لسبب آخر وهو قادر على استرضاع غيرها ولو بأجر لوجب عليه ذلك.

ثالثا: إن الإيحاء القبيح بأن علم الفقه الإسلامي والفقهاء لا يهتمون بالغاية التي من أجلها شرعت الأحكام والأصول التي قامت عليها هو قول من لا يعرف الفقه ولا الفقهاء ولم يطلع إلا على قشور منه، فإن الفقيه لا يسمى فقيها ولا يحق له الاجتهاد حتى يتسع علمه وذهنه لكل تلك الأسس التي بنيت عليها الأحكام ولكل أصول الدين، ولذلك فإن كل فقيه عالم وليس كل عالم فقيه.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

ومن جهل الليبراليين أيضا بالفقه بل ومن خبثهم أنهم يبحثون في الفقة عن أقوال العلماء فيما أجابوا به عن مختلف القضايا والأحوال التي من الممكن أن يقع فيها أحدُ الناس ولو كانت غريبة ونادرة الحدوث؛ فالفقه منوط به أن يبين للناس ما موقف الدين من أي واقعة من الممكن أن تحدث لأحد المسلمين ولو كانت كما قلنا غريبة أونادرة الحدوث، لأنه لا ريب أن

هذا المسلم الذي أُختص بوقوع تلك الحادثة سيحتاج إلى رأي الدين فيها، وذلك شأن المؤمن في حياته كلها. وكتب الفقه على مر القرون ووقوع الحوادث والأسئلة من الناس قد جمعت وامتلأت بتلك المسائل والأجوبة التي تَخص أحيانا صاحبها فقط ولا يعم حُكمها على الناس جميعا. ولذلك فمما يفعله الليبراليون في زماننا هذا أن بعضهم لبس ثوب الدين وذهب يفتش في كتب الفقه ليستخرج منها تلك الفتاوى التي قد يستغربها الناس، ليلقيها على مسامعهم ليدلل منها على أن الفقهاء وكتب الفقه لا تصلح للأخذ بها، وأنها لزمان قد مضى، وأنها كتب عقيمة لفقهاء قد مضى زمانهم.

وبعد ذلك التمهيد يبدأ قاسم بالتصويب نحو هدفه الخبيث في (ص:74):

فمن دواعي المودة أن لا يقدم الزوجان على الارتباط بعقد الزواج إلاَّ بعد التأكُّد من ميل كل منهما للآخر،

وبداية من هذه الفقرة يبدأ فيضرب في الهدف الذي سطّر من أجله موضوع الزواج وسفّه من أجله الفقهاء، وهو يضرب فيها بكلمات وعبارات فضفاضة يمكن أن يتم إنزالها على الواقع وتطبيق معناها بصور لا حدود ظاهرة لها، ومنها تلك العبارة (التأكد من ميل أحدهما إلى الآخر) ولكن رويد رويدا سيظهر ما كان يربو إليه قاسم من تلك العبارة والتي سنعود إليها.

يقول في (ص: 74) أيضا:

بينما فيما سبق أن جميع المذاهب في اتفاق على أن نظر المرأة المخطوبة مباح لخاطبها، وذكرنا حديثًا عن النبي أمر به أحد الأنصار أن ينظر إلى خطيبته وهو قوله: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». فما بالنا أهملنا هذه النصيحة على ما فيها من الفائدة مع أننا نتمسَّك بغيرها مما يقلُّ عنها في الأهمية؟ — ذلك لأن الجاهل من عادته أن يميل إلى ما يضرُّه وينفر مما ينفعه.

كيف يمكن لرجل وامرأة سليمي العقل قبل أن يتعارفا أن يرتبطا بعقد يلزمهما أن يعيشا معًا وأن يختلطا كمال الاختلاط؟ أرى الواحد من عامَّـة الناس لا يرضى أن يشتري خروفًا أو جحشًا قبل أن يراه، ويدقِّق النظر في أوصافه، ويكون في أمن من ظهور عيب في،. وهذا الإنسان العاقل نفسه يقدم على الزواج بخفة وطيش يحار أمامهما الفكر.

ويقول في الفقرة التالية في (ص:75)

على أن الانجذاب المادي ليس كافيًا في الزواج بل يلزم أن يوجد أيضًا توافق بين نفوس الزوجين. أي إنه يوجد – لا أقول اتحادًا لأنه مستحيل – ائتلاف بين ملكاتهما وأخلاقهما وعقولهما: ولا تتأتى معرفة وجود هذا التوافق وعدم وجوده إلاَّ إذا خالط كل منهما صاحبه ولو قليلاً.

فبعد أن يذكر في الفقرة الأولى ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الندب إلى أن ينظر الخاطب إلى من يريد أن يخطبها أو إلى مخطوبته إن لم يكن قد رآها، ليتقدم إلى الخطبة أو يتمها إن وقع في نفسه الإعجاب بها، يقول في الفقرة الثانية: أن ذلك ليس كافيا!! وكان الأحرى _إن كان شجاعا صادقا _أن يصرح بما يخفيه صدره فيقول: أن ما أشار به الرسول ليس كافيا، لأن هذا بالفعل حقيقة ما قاله.

فهو يبدأ في الفقرة الأولى بالاستناد إلى الشرع ولحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لنقض الخطأ المجتمعي الذي كان موجودا في كثير من الأحيان حينذاك، وهو عدم تمكن الرجل من رؤية من يريد خطبتها أو العكس قبل الخطبة، أو حتى بعدها حتى يتم العقد، ثم بكل براعة يبدع في الأهمية النفسية للرؤية التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستخدم في ذلك عبارات وكلمات منتقاة لهذا الموضع مثل (خروفا وجحشا) زيادة في استفزاز المشاعر، ثم في نهاية الأمر يضع فكرته التي يريد أن يسحب إليها القارئ دون أن يشعر، تلك الفكرة التي لا تمت للإسلام بصلة، وليس عليها دليل شرعي، إلا من تخيلاته التي تكونت في عقله مما فتن به في الغرب، وظنها أحسن من الاقتصار على ما اقتصرت عليه الشريعة. (لأن المرأة بعد تمام الخطبة ما زالت أجنبية بالنسبة للخاطب في الشرع، وعليه أن يتعامل معها مثل غيرها من النساء إلا ما أحله الله له بالنظر إليها بغية النكاح)، فمن الرؤية التي ندب إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يستدرج قاسم القارئ إلى أن يخالط أحدهما الآخر ولو قليلا!!!

فهل أمرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصحابي بأن يخالط مخطوبته ولو قليلا، أم أمره بالنظر إليها فقط؟

هل ظهر الآن ما كان يقصده من عبارته (التأكد من ميل أحدهما إلى الآخر) لقد كان قاسم يريد ما رآه في الغرب ولم يكن يريد ما نصّ عليه الشرع، بل أخذ الشرع مطية لغرضه، فلم يكن يريد أن ينظر كلاهما إلى الآخر أو حتى أن يكلم أحدهما الآخر، فذلك لا يمكن أن يوصف بأن كليهما قد خالط الآخر؛ بل كان يريد أن يقضيا مع بعضهما أوقاتا قبل أو أثناء الخطبة، وهو ما وصفه بيخالط أحدهما الآخر ولو قليلا.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

هذا هو ما يربط الليبراليين بما جاء في القرآن الكريم وبما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم لا يتخذون الآيات والأحاديث إلا مطية لهم للوصول إلى أهوائهم. هم أبدا لا يتحملون الوقوف عند حدودها وأوامرها ونواهيها.

إن طريقتهم هي البدء من عندها ثم تعديها والزيادة عليها للوصول إلى ما يريدون. وهذا ما يجعلهم أكثر خداعا من العلمانيين؛ فالعلمانية والعلمانيون لا يحبون الاستناد إلى الدين في أقوالهم وأفكارهم، بل بغيتهم هو الفصل التام بين الدين وبين الحياة.

أما الليبرالية والليبراليون فهم يربطون أفكارهم بطرف من الدين، ثم يزيدون ويعدلون ويغيرون كيفما يشاؤون، فمثلا الحرية يستدلون عليها من الدين على أنها أصل من أصوله، ثم يتخذون ذلك مطية في الدعوة إلى حرية الفكر الذي لا يحترم عقيدة ولا تقديسا لأي دين، ويدعون إلى حرية الفن والإبداع ولو تعدت تلك الحرية إلى العُري والإغراء وتهييج الغرائز والشهوات.

يقول قاسم في (ص:75):

> ولَمَّا كان الزواج لا يُراعَى فيه اليوم هذا الشرط؛ كانت الرابطة بين الزوجين واهية العقد تنحلُّ لأول عرض يطرأ عليها،

هذا الكلام الجميل الذي يقول فيه أن مثل هذا الزواج الذي لا تتم فيه الرؤية ينحل لأول طارئ هو كلام ظاهره منطقي، ولكن يكذبه الواقع، فبالرغم من الخطأ المجتمعي الذي كان معمولا به وهو منع رؤية الخاطب لمخطوبته في كثير من الأحيان إلا أن هذا الجيل ومن قبلهم كان الطلاق فيهم نادرا بالنسبة إلى حالنا اليوم، ولو نظرنا لِحالِ الأجيال التي اتبعت قاسم أمين وأخذت بكلامه (وخالط كل واحدٍ صاحبَه ولو قليلا – ثم كثيرا) لوجدنا الإحصائيات تُظهر زيادة الطلاق بشدة، وكلما زاد الاختلاط قبل الزواج كلما زادت نسبة الطلاق، ثم وصلنا الى أن أصبح الشباب والفتيات يخالطون بعضهم بغير خطبة ولا إرادة خطبة، وإن حدث بينهم بعد ذلك زواج فإن نسبة الطلاق وصلت بين هؤلاء خاصة إلى ما لا يمكن تصديقه، حتى خرج بعد ذلك من يدعو إلى منع الطلاق الشفوي بحجة زيادة أعداد الطلاق، والغريب أن نسب الطلاق تزيد زيادة مفزعة في المدن الكبرى خاصة، وهي التي لا تتم فيها الخطبة حتى يخالط فيها الشباب الفتيات قبل الخطبة أوقاتا طويلة، ويستمر الاختلاط بعد الخطبة بلا حساب حتى يستطيعوا أن يخرجوا وحدهم كيفما يشاؤون لمجرد أنهم مخطوبان، في حين أن نسبة الطلاق في القرى

والأقاليم الصغيرة متدنية إلى حد كبير بالرغم من أن ذلك الاختلاط المزعوم متدني إلى حد كبير فيها، بسبب أنه ما زالت كثيرٌ من الأسر فيها تتحفظ بشدة في علاقة الفتاة بأي شاب، وتتحفظ إلى حد ما في علاقة الفتاة وخروجها مع خطيبها. **وكل ذلك لأن تنميق الكلام وضبط العبارات واستخدام المنطق لا يغني من الحق شيئا، فإن عقل الإنسان مهما ظن بنفسه هو عقل قاصر، فما الحال لو كان معه هوى وفتنة وضلال تخالف صراحة ما جاء في الشرع.**

فالذي لا يعيه الليبراليون ومن الصعب على كثير من الناس استيعابه _إلا من هدى اللهُ قلبَه –أنّ تَعدّي ما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه من نظر الخاطب إلى مخطوبته إلى ما هو أكثر من ذلك هو سبب رئيسي في زيادة أعداد الطلاق؛ فإن شأن الشاب مع الفتاة والفتاة مع الشاب قبل الزواج سواء كان في خطبة أو بغير خطبة هو التكلف في كل تصرفاتهم، ولا يمكن أبدا أن تظهر حقيقة أخلاق كل منهما قبل أن يختلطا تمام الاختلاط بعد الزواج، بل يعيش كل منهما أثناء الخِطبة فترة أحلام عن الآخر وتخيلات كثيرة، ولا يظهر أبدا من سوء أخلاقهما إلا ما كان فجّا لا يمكن إخفائه، وما من إنسان إلا وفي خُلُقِه شيئ يَعيبه، ومعظم الناس كذلك إلا النادر جدا، ولكن في أغلب الناس يكون ذلك العيب في الدرجة التي يمكن التعود عليها أو التعامل معها، مثل حرص زائد لا يصل إلى البخل، أو كرم زائد يقترب من الإسراف، أو حِدة في الطبع لا تصل إلى القسوة، أو اعتداد بالرأي وشدة في المحاسبة عند الخصومة، أو غضب عند الشجار لا يصل إلى التعدي بالقول أو اليد، وما إلى ذلك من الأخلاق التي لا يخلو رجل أو امرأة من إحداها في الغالبية العظمى من الناس، ولكن التخيلات التي يعيشها الخاطب والمخطوبة عن بعضهما تضخم من أثر تلك الأخلاق على نفسيهتما عندما تظهر بعد الزواج.

وبعد الزواج يبدأ الاختلاط الكامل بينهما ويبدأ كل منهما يصارع ضغوط الحياة العائلية والاجتماعية والاقتصادية، ويظهر لكل منهما كثيرٌ من الأخلاق التي كانا يخفيانها، وكثيرٌ من الأخلاق التي لا تظهر إلا عند التعامل تحت ضغوط الحياة أو عند اشتداد الخلافات، وهنا تكون فترة الخِطبة والأحلام التي تخيلاها عن بعضهما لها أثر عكسي تماما عليهما، فتنقلب الصورة في عين كل منهما عن الآخر حتى تجد من يقول أو تقول إنه ليس فلانا الذي أعرفه، أو لقد تغير فلان بعد الزواج، وهو لم يتغير أو هي لم تتغير، ولم تنقلب صورة أي منهما، ولم يعد أي منهما سيئا كما ظن أحدهما، ولكنها التخيلات والأحلام الوردية التي عاشاها عن بعضهما حين كانا يتكلفا لبعضهما في تلك الفترة التي اختلطا فيها تبعا لما سول لهم الليبراليون ودعاة التنوير وسول لهما الشيطان.

وكل ذلك لأن اختلاطهما ببعضهما قبل الخطبة وبعدها لن يكون السبيل لمعرفة كل واحد منهما للآخر على حقيقته. وكل ذلك لا يحدث في غالبية الأزواج الذين لم يحدث بينهما اختلاط قبل الزواج، بل يتهيئ لكل منهما بعد الزواج حرصه على فهم الآخر وتقبل عيوبه بلا مبالغة، بل وحسن التعامل معها، فمن

السهل مثلا على زوجة ذكية التعامل مع رجل حريص على المال، ومن السهل على رجل بحكمته التعامل مع امرأة كثيرة الغضب، وما إلى ذلك من الأخلاق والطباع التي لا يخلو منها زوجان.

أما الرؤية التي شرعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ما من امرأة أو رجل إلا وفيه نقص نسبي في صورته حسب أذواق الناس، فلربما كانت المرأة جميلة الوجه بيضاء ولكنها قصيرة، فلو أن الرجل تزوجها دون أن يراها فلو أعجبه حينها جمال وجهها إلا أن قِصَرها سيظل عالقا في ذهنه، وبعد قليل حين يتعود على جمالها فسيظل قِصَرها عالقا في نفسيته، ولعله يقول لو رأيتها لما تزوجتها، أما لو رآها ورأى جمال وجهها مع قصرها ثم أقدم بعد ذلك على الزواج منها فسيقدم وهم منشرح الصدر لاختياره وما أعجبه منها، وهذا ينطبق أيضا على المرأة، وهذا مما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)

والسؤال هنا هل مجرد النظر يكفي لدوام العشرة بين الزوجين في سعادة وهناء؟ والإجابة بالطبع لا، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصى الرجل بأن يختار المرأة ذات الدين الصالحة، ووصى المرأة أن تختار الرجل ذا الدين والخلق، لأن الدين والأخلاق هما عماد العشرة الطيبة وهما اللذان يحكمان أفعال المرء عند الخلافات وعند ضغوط الحياة، وليس الحب الوردي الذي عاشه كل منهما قبل أو أثناء خطبتهما، وإن كل أشعار الوهم الذي يزينه الليبراليون بأنه ينبغي أن يتكون الحب قبل الزواج ولذلك ينبغي أن يختلط الشاب بالفتاة كما قال قاسم أمين ما هي إلا أوهام، فالحب لا يستطيع أن يثبت أمام صعوبات الحياة وضغوطها إن لم يكن معه خلق ودين. فحب بلا دين وخلق ما هو الا شهوة وانجذاب، سريعا ما يتبدد عندما تظهر حقيقة كل منهما.

ولا يعني ذلك أن يتقدم الشاب إلى فتاة أو تقبل الفتاة بشاب وإن كانا ذوا دين وخلق وأحدهما لا يشعر بقبول نفسي وراحة تجاه الطرف الآخر، فالإسلام دين الفطرة، والشريعة نزلت لتهذب هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولذلك أمر الشرع أن يبحث الشاب أولاً عن ذات الدين الصالحة، ثم يختار من يشعر ناحيتها بالراحة والقبول، وكذلك الأمر بالنسبة للفتاة لا تنظر في الاختيار بالأساس فيمن ليس معروفا بدين وخلق، ويكون همّها أول ما تسأل عن هذا الأمر فيه، فإن لم يكن كذلك لم تلتفت إليه ولو لحظة واحدة بفكرها، ولو كان وسيما جسيما غنيا، وأما إن كان ذا خلق ودين فلا يجب عليها أن تقبله إن لم تشعر ناحيته بقبول وراحة نفسية أو شعرت بانقباض نفس ناحيته.

وقد يقول قائل كيف يشعر أحدهما بالقبول والراحة دون اختلاط؟ فإن المقصود بالقبول والراحة النفسية هنا هو ما يشعر به المرء تجاه طرف آخر عند رؤيته لأول مرة، وهذا أمر معروف مشاهد بين الناس يدور على ألسنتهم كثيرا في أحاديثهم عن بعضهم، وهم لا يعرفون أسبابه، مع أنه أحيانا قد لا يجد أحدُهم

عيبا فيمن انقبضت منه نفسه. وهذا القبول وهذه الراحة النفسية من طرف لآخر أو الانقباض منه من أسرار الله تعالى في خلقه، ولذلك لم يُلغها الإسلام لأنها بذرة للحب والمودة بينهما، ولكن على أن يكون محلها والاختيار بها فيمن هم على تقوى وخلق، وفيمن هم ملتزمون بشريعة دينهم.

وهنا يظهر سؤال لكِ أيتها الفتاة: **هل الشاب الذي يُخالف ما شرع الله ويسعى إلى الاختلاط والاختلاء بالفتاة قبل أو بعد الخطبة شاب ملتزم بدينه؟؟؟**

وسؤال لكَ أيها الشاب: **هل الفتاة التي تخالف ما أمر الله وتختلط بشاب وتجلس معه وتخرج معه امرأة صالحة ذات دين؟؟؟**

وسؤال أخيرٌ لكما أرجو قراءته عدة مرات:

هل تظنان أن الله سيحْرِم شابا وفتاةً من الحب والمودة وهناء العيش والسعادة إن هما تمسكا بما شرعه الله، واتبعا الطريق الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يحفظ هذا الحب ويديم السعادة وهناء العيش على من خالف أوامره واتبع هواه وكلام الليبراليين؟؟؟

يعود قاسم في (ص:76) إلى مدح الشريعة بعد أن ابتدع وحرّف وزاد فيها، وبعد أن رأى أن ما جاءت به ليس كافيا فيقولفي (ص:77) وهو يتصنع التحسّر على حال الأزواج، متخذا التعميم وسيلة للخداع:

> أين هذا من حال عائلتنا اليوم التي نرى فيها الزوجين وأحدهما أبعد الناس عن الآخر، ولو لم يكن إلاَّ هذا البعد لخفَّ احتماله، لكن لَمَّا كان في طبيعة الإنسان أن يجري وراء سعادته؛ كان كلٌّ من الزوجين يعتقد أن صاحبه هو الحجاب الحائل بينه وبينها، ومن هذا الاعتقاد يتكوَّن في المنزل جوٌّ مشحون بالغيام والكهرباء يعيش فيه كل منهما وقلبه ملآن بعيوب الآخر، وتبدو فيه المناقشات والمخاصمات في كل آنٍ بسبب وبغير سبب في الصباح وفي المساء، حتى وفي الفراش.

لا أدري عن ماذا كان يتحدث وعن أي عائلات؟! إنه يصر على التعميم في واقع نتحسر فيه اليوم عليه، وعلى ما كان فيه من اتفاق ومودة وأنس بين الأزواج لم يعد موجودا الآن، ويكفي دلالة عليه نسب الطلاق التي تدل على مدى ما جناه علينا قاسم أمين وأذنابه من الليبراليين، ويا ليت ما جنوه علينا كان في الزواج والطلاق فقط، بل أيضا ما جرّوه علينا من الخراب الذي عم البلاد والأخلاق، **ولكن أين الذي له عقل يعي ويفطن به، وأين الذي له عين ترى أو أذن تسمع؟!**

الفصل السادس

تعدد الزوجات في كتاب قاسم أمين

بلغ قاسم في هذا الفصل ذروة التعدي على ما شرعه الله تعالى في كتابه بوصف التعدد بأقبح الصور، ولا أظنه كان واعيا تماما لمبلغ السوء فيما سطّره في هذا الفصل، وكل ذلك لأن هدفه من مساواة المرأة بالرجل في كل شيء قد أعمى بصره وبصيرته. ولـمّا كان من المستحيل عقلا وشرعا أن تتساوى المرأة بالرجل في التعدد لم يعد له طريق لتلك التسوية إلا أن يُساوي الرجلَ بالمرأة، فاستهدف أن يمنع الرجل من التعدد ويحرمه عليه.

ولكن آية التعدد صريحة في كتاب الله تعالى:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾(النساء:3) والاتفاق على ذلك إجماع مطلق، والعمل عليه من عهد النبوة لا يحتاج إلى الاستدلال عليه بشيء، فلم يستطع قاسم منع التعدد بدعوى التحريم، ولو باستدعاء قول عالم شاذ أو بتفسير مغلوط لآية، أو بالاستناد إلى حديث معلول، أو حتى بالاحتجاج بمذهب الشيعة وعلمائهم كما فعل في الطلاق، ولكنه بنى خطةً للوصول إلى هذا المنع بصورة شبه كاملة، وكانت تقدمة هذه الخطة هو ربط التعدد بكل قبيح في حق الرجل وفي حق المرأة، وربط تركه بكل معاني الرقي والكمال، ولم يأل جهدا في استعمال كل ما أمكن وصفه في هذا الشأن.

وأريد أولا أن ألفت النظر أنني حين أنقض ما سطّره قاسم فيما كتبه من أجل إبطال التعدد أنني لا أكتبه من أجل الدعوة إلى التعدد ومطالبة الرجال بالتعدد، فهذا شأن شخصي لكل زوج قد أباحه الله تعالى له في كتابه العزيز وليس واجبًا عليه، ولكنّ التعدد من شريعة الله تعالى التي أنزلها على رسوله ونص عليها بآية في كتابه عز وجل، فليس لأحد إبطالها مهما أتى من حجج وبيّنات، فإن حججه كلها باطلة، وبيّناته كلها كاذبة ما دامت تخالف ما جاء في كتاب الله عز وجل.

وإنّ في كل ما شرع الله الخير للرجل والمرأة على السواء، وإنْ كان فيما شرعه كُرْه لأحدهما، والتعدد الذي هو كُرْه للمرأة هو من شريعة الله تعالى التي شرعها في الإسلام، وهو وإن لم يكن واجبا فلا يجوز لأحدٍ مهما كان أن يُبطله، فضلا عن أن يصف فاعلَه والمجتمع والمرأة بأقبح وأشنع الأوصاف، فهذا لا يتوافق مع الإيمان، بل قد ينفي الإيمان والإسلام عنه إن أصرّ على رأيه بعد نصيحته.

سأقوم بداية بتجميع تلك الصور الذهنية التي أراد قاسم أن يبثّها في نفس القارئ في صفحتين فقط من كتابه ثم أذكر فقراتها بعد ذلك:

أولا: ربط وجود التعدد في المجتمع بالانحطاط الذي عليه تكون المرأة وعدم وجوده بارتقائها.

ثانيا: ربط التعدد بامتهان المرأة واستبداد الرجل بها والاحتقار الشديد لها.

ثالثا: ربط التعدد بالشهوانية والحيوانية عند الرجل.

رابعا: ربط كمال عقل الرجل بتركه للتعدد وأن الكمال الإنساني يقتضي تركه.

خامسا: أن من يعرف الشرع والعدل من الرجال لا يطيق القيام بزوجتين.

سادسا: أن الرجل المهذب لا يعدد ولا يفعل بالمرأة ذلك.

سابعا: أن التعدد فيه شقاء للمرأة، ومنبع الشقاق والخصام بين الإخوة.

ثامنا: أن من ترضى بالتعدد من النساء لا ترضاه إلا بسبب نظرتها لنفسها أنها مجرد متاع للرجل.

ثامنا: أن لا عذر للرجل في التعدد إلا في الضرورة المطلقة والتي تكون في حالتين: مرض مزمن أو عقم، وحتى في تلك الأحوال لا يليق بالرجل التعدد.

وهذه هي بعض الفقرات التي كتبها في سبيل تقبيح صورة التعدد.

يقول في (ص:78):

> تعدُّد الزوجات هو من العوائد القديمة التي كانت مألوفة عند ظهور الإسلام ومنتشرة في جميع الأنحاء يوم كانت المرأة نوعًا خاصًا مُعتبرَة في مرتبة بين الإنسان والحيوان، وهو من ضمن العوائد التي دلَّ الاختبار التاريخي على أنها تتبع حال المرأة في الهيئة الاجتماعيَّـة؛

فهل رضي الإسلام للمرأة أن تبقى في مرتبة بين الإنسان والحيوان فلذلك أبقي على التعدد؟!! وهل يُشرّع الله في كتابه ما تكون المرأة به في مرتبة بين الإنسان والحيوان وقد قال الله تعالى ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ (الاسراء:70)؟!!

وفي تلك الفقرة لا ينسى قاسم السند الرئيس الذي استعمله في نقض أحكام الدين الذي تكلم عنها في كتابه، وهو وصف القضية بأنها عوائد تخضع للتوارث، وهدفه من ذلك **أولا**: إخراجها من كونها حكما شرعيا **وثانيا**: بما أنها عوائد فمن الممكن تغييرها حسب رؤية المجتمع ونظرته.

يقول أيضا في (ص:78):

؛ ذلك لأن الرجل المهذّب لا يرضى معاملة المرأة بالاستبداد، ولا تطاوعه مروءته إن همَّت شهوته بامتهانها.
وبديهي أن في تعدُّد الزوجات احتقارًا شديدًا للمرأة؛ لأنك لا تجد امرأة ترضى أن تشاركها في زوجها امرأة أخرى، كما أنك لا تجد رجلاً يقبل أن يشاركه غيره في محبَّة امرأته، وهذا النوع من حبِّ الاختصاص طبيعي للمرأة كما أنه طبيعي للرجل،

لنختصر ما تنطق به وتعبر عنه كلماته في الفقرة السابقة بعيدا عن الديباجة الأدبية التي يُخفي وراءها الصور الذهنية التي يريد أن يخلقها في عقل القارئ:

أن الذي يعدد من الرجال: 1- ليس رجلا مهذبا ولا يتصف بالمروءة

2- يحتقر المرأة بشدة

3- يهين المرأة ويستبد بها.

أيتها الفتاة، هذا الكلام يوافق هوى المرأة من حب الاستئثار بزوجها وعدم مشاركة أحد فيه معها، ولكني أسألك سؤالا بسيطا يخاطب فيك معاني الإيمان بعيدا عن هوى النفس:

هل من الممكن أن يكون فيما شرعه الله وأحلّه علامة احتقار وإهانة للمرأة، ويكون دليل فقدانٍ للمروءة وفقدانٍ للخلق القويم للرجل ؟

أرجو أن تفكري في هذا السؤال جيدا ولا تجعلي كلماته التي يكتبها وينتقيها –وهو يعلم أنها تضرب على وتر شديد الحساسية بالنسبة للمرأة –تستدرج عقلكِ وقلبكِ دون أن تشعري إلى أمر ينقض إيمانك بالله. إنه لا لوم عليك وعلى أي امرأة أن تكره أن تكون معها شريكة في زوجها، ولكنْ أن ترْين أن فيما أحل الله للرجل من التعدد أن الله قد امتهنك واحتقرك بما شرعه فتلك هي الطامة، وأن ترْين أن الشريعة التي جاءت لتتمم مكارم الأخلاق شرعت من الأحكام ما يفقد به الرجل مروءته وأخلاقه فتلك هي المصيبة؟؟

لا تخدعي نفسك بقولك أن هذا لا علاقة له بالشريعة بل بما يفعله الرجل، لأن الشريعة هي التي أحلت له فعل ذلك بآية في كتاب الله عز وجل، ولولاها ما كان له ذلك أبدا، وهذا هو المكر الذي مكر فيه قاسم أمين بكلماته ويمكر به أمثاله. فهو يمدح الشريعة ببعض كلمات ساحرة قائلا الشريعة السمحاء التي رفعت من مكانة المرأة وأعطتها كذا وكذا من الحقوق ورفعت درجتها ويستدل على ذلك بالآيات والأحاديث، ثم تحت هذا الستار الناعم ينقض حكم الشريعة في التعدد، كما دعا من قبل إلى عكس ما ندبت إليه الشريعة من قرار المرأة ببيتها فدعا إلى خروجها بلا حساب، واختلاطها بالرجال كيفما يكون، وأينما يكون بلا ضابط أو قيود أو اعتبار لأحكام وأصول.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

إن عادة كل ليبرالي وليبرالية أن يمدح الشريعة في كلمات جميلة، ثم بعد ذلك يصف أحكامها التي تخص المرأة فيها بأسوأ العبارات، مُستخفيا وراء وصف تلك الأحكام بأنها عادات أو عوائد مجتمعية، أو ربطها بالتخلف والتأخر أو الاحتقار والامتهان، وأن التخلص منها سبيل التقدم والحضارة والرقي، وكل ذلك بالطبع بعد أن يسحب أحدُهم عقولَكم ومشاعرَكم بعيدا عن أنّ تلك أحكام الله تعالى والتي جاءت في كتاب الله لا يجوز تغييرها أو تبديلها بحجة تغير العصر أو بأي حجة أخرى، أو أن يفسر أحدهم آيات الله عز وجل في كتابه بما يتوافق مع ما قد قرره هو مسبقا من رأي ساقه إليه هواه مثل قوله تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) (النساء:129).

يقول قاسم في (ص79):

، فأقل ما فيه أنه ميل مكتسب بلغ من النفس الإنسانيِّـة بالعادة والتوارث مبلغ جميع الكمالات التي تولَّدت في نفوس أفراد هذا النوع عند ارتقائه من أدنى درجاته من الحيوانية إلى ما أُعِدَّ له من الكمال الإنساني؛

إنه يجعل التعدد ضد الارتقاء الإنساني وتركه علامة على ذلك الارتقاء من درجة الحيوانية إلى الكمال الإنساني. فهل حين نزل الإسلام والقرآن فآمن به الصحابة واتبعوه _وهم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكثير منهم قد تزوج أكثر من زوجة_ فهل كانوا حينئذ لم يصلوا بعد إلى قمة الكمال الإنساني؟ هل قول الله تعالى ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء:3) ضد الارتقاء الإنساني؟ أم أن الله شرع لهم حينها التعدد عندما كان الصحابة ما زالوا في درجة من درجات الارتقاء من الحيوانية إلى الكمال الإنساني؟!!!

ويحضرني سؤال منطقي: إذا كان التعدد دلالة ضد الارتقاء من درجة الحيوانية إلى الإنسانية، فما القول في اتخاذ الخليلات وخيانة الزوجات والأزواج والترخيص للدعارة والمومسات، في أي درجة من درجات الارتقاء يكون حال هؤلاء الذين يفعلون ذلك؟؟ من المفترض أن يعتبرهم قاسم في رتبةٍ ليست أعلى من رتبة الخنازير، ومع ذلك فإن من يفعلون ذلك جاء قاسم إلينا ليدفعنا لأن نرتقي إليهم ونسلك مسالكهم!!!

أيها الشاب وأيتها الفتاة: ألم تسمعا قول الله تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة:3). ألم تسمعا قول الله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة:138)

اعلما أن شريعة الله تامة كاملة، وهي قمة الرقي والارتقاء الإنساني، وأن دين الله الإسلام هو خاتم الأديان، أنزله الله سبحانه ليكون منهجا إلى يوم القيامة، وهو نعمة الله تعالى التي تمت وكملت على عباده لا تحتاج إلى تغيير أو تعديل مهما أتى المتعالمون بحجج وبينات وبراهين، وإن حاز أحدهم أعلى الشهادات وأعظم الألقاب، فإن الله عليم حكيم، وهو أعلم منهم وهم لا يعلمون، ومن أصدق من الله قيلا، ومن أصدق من الله حديثا، وهو الله أحكم الحاكمين. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك:14)

وكما قلنا من قبل: إن التعدد ليس قضية وقوع الضرر على المرأة، لأننا هنا نتحدث عن امرأتين، الأخرى منهما رأت في التعدد مصلحة ومنفعة لها، فكيف نختصر الأمر بأن في التعدد شقاء للمرأة؟

يقول الخبثاء: إنه لا ينبغي لامرأة أن تبني سعادتها على حساب أخرى، وكأنهم يُعدّلون على الله تعالى ما شرعه. أليس من حقنا أن نقول أيضا: إنه لا ينبغي لامرأة من أجل أنانيتها بزوجها أن تستأثر بالسعادة على حساب شقاء امرأة أخرى وصل بها الحال أن ترضى بما لا تحبه أيضا كل النساء؟

أيتها الفتاة:

ماذا عن تلك البلاد التي لا يتزوج فيها الرجل إلا بواحدة وقد وصلت إلى قمة الرقي المادي الذي أبهر هؤلاء الليبراليين فلم يعودوا يرون من مساوئهم شيئا، ويريدون منا تقليدهم تقليد العميان؟ هل اكتفى الرجال هناك بزوجاتهم أم أن كثيرا منهم يتخذون خليلات من وراء زوجاتهم، فيقضي أحدهم متعته وينفق ماله على خليلته، وقد يسافر معها أياما، ولا تدري زوجته التي تقوم على رعاية أبنائه شيئا عنه ولا عن خليلته، وهذا في كل البلاد على مختلف أجناسها وأديانها إلا بلاد الإسلام.

أين هذا من الذي شرعه الله من التعدد ومن العدل الذي افترضه الله بين الزوجات، أم أن الأمر لا يهم ما دامت الزوجة مُستَغفَلة لا تدري شيئا عما يفعله زوجها وإن كانت تعيش مع زوج خائن!!

أيتها الفتاة: هل تظنين أن مَنْع ما شرعه الله من التعدد سيضمن لك زوجك وحدك؟ هيهات، فهو إن لم يكن ذا دين فسيبحث عن أخرى ولو خائنة مثله، ولو كانت من قاذورات المجتمع ليتسلى بها وينفق ماله عليها، وأما إن كان زوجا ذا دين وعلى علم بشرع الله تعالى

فلن يمضي في الزواج من زوجة ثانية إلا وهو يعلم حدود الله ويعلم ثِقل ما سيحمله فلا يقدم عليه إلا لسبب شرعي يدفعه لتحمل هذا الحمل الذي سُيسأل عنه يوم القيامة، وهذه الأسباب الشرعية أوسع كثيرا من هذين السببين الذي ابتدعهما قاسم أمين.

سأضرب لكِ بعض الأمثلة وحكمة الله تعالى فوق ذلك كله، وتخيلي أن تكوني أنت هي هذه المرأة لتعرفي هل أشقى الإسلام المرأة أم رحمها من أن يتركها في شقاء حقيقي، وليست أوهام الشقاء التي ينسجها لك الليبراليون.

ماذا عن امرأة أرملة ومعها أطفال أيتام لا تملك ما يكفيها وليس هناك من يقدر على إعالتها وأولادها؟ أتترك مثل هذه تشقى بأولادها شقاء حقيقيا أم يتكفل بها زوج بأولادها فيضمهم إلى أهله. ماذا عن مطلقة ولم تجد عزبا يتزوجها وقد مات أبواها وجميع إخوتها متزوجون فكيف تعيش وحدها، أليس من الأكرم لها أن تعيش في كنف رجل ولو كان متزوجا أم تبقى شقية بوحدتها تخدم إخوتها وأبناءهم بقية حياتها حتى يأتيها الموت؟

ماذا نفعل بزوجات الشهداء إذا اشتدت الحروب ومات كثير من الرجال، هل نمنع شرع الله أم نترك كل هؤلاء النساء لحياة قاسية. قد تقولين لنفسك ويقول لك الليبراليون هذا قدر الله وحظ المرأة فلتتحمله كل امرأة، فلماذا لا نقول هذا شرع الله ولترضى به كل امرأة قبل أن تعرف حظها. ومن أعلم وأحكم، هؤلاء الليبراليون أم الله العليم الحكيم؟!!

ويقول في (ص:79):

ويظهر لي أن رجلاً مهذَّبًا عارفًا بما يفرضه عليه الشرع والعدل لا يطيق النهوض بما يضعه على عاتقه الجمع بين امرأتين فضلاً عن أكثر.

فهو أولا: في العبارة السابقة يلغي أي افتراض لاحتمال أن يكون هناك رجل قادر على النهوض بما أولاه به الشرع من العدل، وثانيا: كان من الممكن أن يقول:"ويظهر لي أن رجلا عارفا بما يفرضه عليه الشرع ....، ولكنه يُصر على زرع كلمات مسمومة تبث في النفس وتزرع فيها مشاعر مضافة، فيضيف هنا كلمة "مهذبا" ليوحي بأن من يفعل عكس ذلك يخرج من دائرة التهذيب.

ويعيد ذلك اللفظ مرارا، فيقولها بطريقة أخرى في نفس الصفحة:

وكانت حياتها عذابًا أليمًا؛ وتلك الحال لا تخفى على الرجل المهذَّب. فكيف يمكن أن تطيب نفسه بمشهد ذلك العذاب الأليم؟

ويكررها في الصفحة التالية في (ص:80):

ولا ريب في أن شقاء المرأة بهذه الحال يكون له أثر شديد في نفس الرجل المهذّب؛ حيث يشعر دائمًا بأنه هو السبب في هذا الشقاء.

وهو عندما يكرر ألفاظا بعينها فعليك أن تعرف أنه يقصد بذلك زرع أحاسيس ومشاعر مقصودة في حد نفسها، يريد لها أن تتسلل داخل القارئ دون أن يشعر، والمثال هنا هو ذلك الإيحاء بانتفاء التهذيب عن أي رجل يفكر أن يتزوج بأخرى لما يسببه ذلك من ألم للأولى.

وفي خبث يعرّض قاسم بالعلماء فيقول في (ص:80):

ويزيد النساء قلقًا واضطرابًا ما صرَّح به الفقهاء من أنه لا يجب على الرجل أن يعدل في محبته بين نسائه، وإنما طلبوا العدل في النفقة وما شاكلها.

ولا أدري ما الذي كان على الفقهاء أن يذكروه في هذا الشأن وقد قال صلى الله عليه وسلم (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تآخذني فيما تملك ولا أملك) يقصد القلب. (رواه أحمد والترمذي وغيرهم).

وفي الصفحة نفسها_ومن عند نفسه_ يبتدع شرطين يُعذر بهما الرجل إذا أراد الزواج بزوجة ثانية:

ولا يُعذَر رجل يتزوَّج أكثر من امرأة، اللهم إلاَّ في حالة الضرورة المطلقة؛ كأن أُصِيبت امرأته الأولى بمرض مزمن لا يسمح لها بتأدية حقوق الزوجية. أقول ذلك ولا أحبُّ أن يتزوَّج الرجل بامرأة أخرى حتى في هذه الحالة وأمثالها؛ حيث لا ذنب للمرأة فيها. والمروءة تقضي أن يتحمَّل الرجل ما تُصَابُ به امرأته من العلل، كما يرى من الواجب أن تتحمَّل هي ما عساه كان يُصَابُ به.

وكذلك توجد حالة تسوِّغ للرجل أن يتزوَّج بثانية إمَّا مع المحافظة على الأولى إذا رضيت، أو تسريحها إن شاءت؛ وهي ما إذا كانت عاقرًا لا تلد؛ لأن كثيرًا من الرجال لا يتحمَّلون أن ينقطع النسل في عائلاتهم.

إذا فلا عذر للرجل إلا في حالتين وإنّ من المروءة ألا يفعل. لقد كان التعدد معروفا من عهد الصحابة والسلف والتابعين، وكانوا خير الناس وأعظم الناس مروءة وأعرفهم بالمروءات، وما أظنه كان ليتجرأ فينكر ذلك، ولا ينكر ذلك إلا فاسق؛ فمن أين جاء بهذين الشرطين الذي أجاز بهما التعدد؟ أمن سنة، أم من قرآن، أم أثر عن سلف صالح؟ أم هو ابتداع من عند نفسه وعقله حتى ينفي عن نفسه تهمة أنه يحرم التعدد ويعارضه بالكلية خلاف ما جاء به الشرع؟ ثم بعد ذلك يلقي على هذين الشرطين إيحاءه بأن من مروءة الرجل ألا يفعل وإن كانت زوجته مريضة.

وعندما استنفذ قاسم ما في جعبته لخصّ ما سبق كله في عبارة حمقاء في آخر (ص:80) فيقول:

> أمَّا في غير هذه الأحوال فلا أرى تعدُّد الزوجات إلاَّ حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية؛ وهو علامــة تدلُّ على فساد الأخلاق، واختلال الحواس، وشره في طلب اللذائذ.

وهكذا بكل ثقة مزيفة يقرن التعدد بكل قبيح، حتى لقد تساءلتُ في نفسي: ماذا بقيَ من الأوصاف لو أحب أن يصف اتخاذ الرجل للخليلات؟!!! نعم، إذا كان الزواج الحلال بزوجة أخرى علامة شهوة بهيمية وفساد أخلاق واختلال الحواس، فماذا بقي ليصف به زوجا يتخذ خليلة سِرا يزني بها؟!

وكأنّ الله عزوجل حين قال: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (النساء:3) بلا شرط سوى العدل، إنما أحل ما يكون به الرجل بهيمي الشهوة فاسد الأخلاق مختل الحواس، وهذا ما اكتشفه قاسم أمين بعد ألف وثلاثمائة عام من الهجرة!! ولكنها شهوته العمياء في تقليد الغرب ومساواة المرأة بالرجل التي وصلت به إلى الحد الذي اختلت فيه بصيرته حتى كتب ما لا ينبغي أن يكتبه مسلم عن أمر أحله الله في كتابه.

كيف لمسلم أن يصل بجرأته أن يصف أمرًا شرعه الله تعالى وأحلّه في كتابه بكل تلك الأوصاف؟

كيف لمسلم أن يُقبّح أمرا أحله الله بهذا الشكل، ثم يستثني هو أحوالا من عند نفسه يجوز فيها التعدد؟

آالله يفرض لعباده ويشرع لهم ما يكون علامة على فساد الأخلاق؟!!

آالله يفرض لعباده ويشرع ما يكون فيه امتهان واحتقار وشقاء للمرأة؟!!

كذب والله، فإن الله لا يشرع حكما _سواء كان بالوجوب أو الإباحة_ إلا وفيه الخير للناس.

نعم إن المرأة تكره أن يتزوج الرجل بأخرى معها، وذلك مما فطرت عليه المرأة بالاستئثار بمن تحب، ولكن الله قد يكتب على عباده ما تكرهه أنفسهم لحكمة يعلمها الله فيهم وابتلاء لهم، ومثال ذلك قول الله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ...﴾(البقرة:216) فالنفس مجبولة على كراهية الحرب لما فيها من تلف الأنفس وتقطيع الأطراف وفقدان الأموال ودمار القرى، ولكن الله تعالى يقول بتكملة الآية ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. نعم، إن الله يعلم وقاسم أمين جاهل لا يعلم، إن الله يعلم وكل الليبراليين جهلة لا يعلمون، ويتكلمون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

ليعلم كل مسلم ومسلمة أن الشريعة عمودها هو مخالفة النفس لشهواتها وتحمّلها للمكاره ابتغاء مرضاة الله، وسواء كان ما شرعه الله واجبا أو مباحا فقلب المسلم يسلّم بما شرعه الله، ولا يكون في صدره حرج منه، وإن كان مكروها إلى نفسه. وإن تسليم القلب بما شرع الله لا يُشترط معه أن تحب النفس ذلك الفعل، فمثلا لا تحب النفس أن تقوم من نومها في ليلة شديدة البرودة، ولكن المؤمن يخرج لصلاة الفجر وقلبه محب لشهود الصلاة، ولا ينفي الإيمان عنه أنه يجاهد نفسه الكارهة للاستيقاظ في ذلك الوقت، وكذلك المرأة عند كراهيتها لأن يتزوج الرجل عليها لا ينفي ذلك الإيمان عنها، ولكن المصيبة في إيمانها حين يتسلل إلى قلبها كراهية الحكم نفسه، ثم تبدأ فتردد أقوالا وتجادل بمثل تلك الأقوال التي يُضلل بها الليبراليون الناس، أو تسعى للانتقام من زوجها إن أقدم على ذلك، أو إلى تنغيص حياته، والسعي لخراب بيت زوجته الأخرى.

ثم بعد هذه التقدمة التي اجتهد فيها قاسم أن يقبح التعدد الذي أحله الله وشرعه، انتقل إلى المغالطة في الآيات التي نزلت في كتاب الله وأخذ يفسرها بجهل لتوافق هواه فيقول في (ص:81):

قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾، ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

ومن هذه الآيات يتَّضح أن الشارع علَّق وجوب الاكتفاء بواحدة على مجرَّد الخوف من عدم العدل، ثمَّ صرَّح بأن العدل غير مستطاع، فمَنْ ذا الذي يمكنه أن لا يخاف عدم العدل مع ما تقرَّر من أن العدل غير مستطاع؟ وهل لا يخاف الإنسان من عدم القيام بالمحال؟ أظنُّ أن كلَّ بشر إذا أراد الشروع في عمل غير مستطاع يخاف بل يعتقد أنه يعجز عن القيام به والوقوع في ضده.

ولو أن ناظرًا في الآيتين أخذ منهما الحكم بتحريم الجمع بين الزوجات لما كان حكمه هذا بعيدًا عن معناهما لولا أن السُنَّة والعمل جاءا بما يقتضي الإباحة في الجملة.

لو كان تفسير الآيتين يفيد التحريم كما كتب قاسم من قريب أو بعيد لكانتا متناقضتين، وهذا ما لا يتصوره إلا جاهل باللغة وبالدين وبالقرآن. فالآية الأولى قد أحلت الزواج مثنى وثلاث ورباع بشرط العدل بينهن. وأوامر الله للمؤمنين حين تنزل تكون فيما لهم قدرة عليه واستطاعة في القيام به ويملكونه، مثل النفقة والمعيشة وحسن المعاملة، ولكن كيف يعدلون فيما ليس لهم قدرة عليه ولا يملكونه مثل الحب والمتعة المتبادلة، فجاءت الآية الثانية، ومن أجل ذلك نزلت لتوضح هذا الأمر لهم وهو أنهم لن يستطيعوا أن يعدلوا العدل التام ولو حرص أحدهم على ذلك، فأرشدهم الله إلى أن أمْرَه بالعدل الذي أوجبه عليهم

هو فيما يستطيعونه، وهو العدل في القسمة والمعيشة وحسن المعاملة ولذلك قال: (**فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما**). والأمر بالإصلاح والتقوى لا يكونان إلا فيما يملك الإنسان القدرة فيه على فعله وتركه، وهذا يعني أن ما يشير إليه قوله تعالى (**ولن تستطيعوا أن تعدلوا**) أنه فيما لا يملك الإنسان العدل فيه والقدرة عليه، وأن الأمر بالتقوى والإصلاح هو فيما يستطيعه المؤمن مما أمر الله فيه من العدل بينهم في المعيشة وحسن المعاملة. وإلا فكيف ينفي الله عنهم استطاعتهم للعدل ثم يأمرهم بالتقوى فيه، فهذا لا يستقيم إلا في أفهام الجاهلين، ولا يدل على التحريم إلا في أفهام المعتدين. والدليل على سوء فهمه للآيتين ما كتبه هو بنفسه في آخر الفقرة:

> ولو أن ناظرًا في الآيتين أخذ منهما الحكم بتحريم الجمع بين الزوجات لما كان حكمه هذا بعيدًا عن معناهما لولا أن السُنَّة والعمل جاءا بما يقتضي الإباحة في الجملة.

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته هم أفهم الناس للقرآن واللغة العربية ومعانيها، فلو كان ما جاء في الآيتين يُفهم منهما التحريم كما زعم أو من الممكن أن يؤخذ منهما معنى التحريم كما توهم لما خالفتهما السنة أبدا تفصيلا أو جملة، وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ليتعدوا ما جاء في كتاب الله تعالى لو كان _كما ادّعى _ يُستنبط منهما نوعا من التحريم، ولكنها فِتْنته التي سيطرت عليه فجعلته يفهم كل ما يقرأ ويسمع بصورة تتوافق مع الهدف الذي وضعه نصب عينه، ولم تَسْلم آيات القرآن المنزّل من أن يفهمها تبعا لهواه، لكي يثبت ما قد قرره مسبقا من الوصول إلى المساواة الحرفية بين الرجل والمرأة، بلا أي اعتبارات دينية، ولو كانت مقررة بالقول والفعل في الكتاب والسنة.

وبعد التقبيح وسوء تفسير الآيات يمكر قاسم من جهة أخرى فيتناول حكم التعدد الذي شرعه الله وأباحه في القرآن بنص صريح على أنه مجرد نوع من الحلال كشراء سيارة أو السفر للسياحة الذي تنطبق عليه الأحكام الشرعية بالمنع والكراهة تبعا للمصلحة والمفسدة فيقول في (ص:81):

> وغاية ما يستفاد من آية التحليل إنما هو حِلُّ تعدُّد الزوجات إذا أَمِنَ الجور، وهذا الحلال هو كسائر أنواع الحلال تعتريه الأحكام الشرعية الأخرى من المنع والكراهة وغيرهما بحسب ما يترتَّب عليه من المفاسد والمصالح. فإذا غلب على الناس الجور بين الزوجات كما هو مشاهد في أزماننا، أو نشأ عن تعدُّد الزوجات فساد في العائلات وتعدٍ للحدود الشرعية الواجب التزامها، وقيام العداوة بين أعضاء العائلة الواحدة، وشيوع ذلك إلى حدٍّ يكاد يكون عامًا؛ جاز للحاكم — رعاية للمصلحة العامَّـة — أن يمنع تعدُّد الزوجات — بشرط أو بغير شرط — على حسب ما يراه موافقًا لمصلحة الأمَّـة.

وقد ابتسمت وأنا أقرأ تلك الفقرة والسبب في ذلك عندما تخيلت لو أن قاسم أمين ما زال حيا وسألته: ما رأيك في أن يُصدر الحاكم –رعاية للمصلحة العامة– قانونا بمنع النساء من كشف وجوههن وتبرجهن ويمنعهن من الاختلاط بالرجال بناء على ما يراه من درءٍ لمفسدة لا ينكر وجودها إلا أعمى من جراء تلك الأفعال؟!! والإجابة معروفة ولو كان قد مات.

لو أننا حَكَمنا على الأحكام الشرعية حسب ما تراه عقولنا القاصرة من مفاسد أو مصالح، لم ندع شيئا من الشريعة قائما، حتى الصلاة في المساجد فلن نعدم أن نجد فاسقا يقول إنه حدث من جراء إجتماع الناس في المساجد مشاحنات واختلافات، ودرءا لتلك المفاسد علينا أن نمنع الناس من شهود الجماعات. وهذا المثال في ذلك الزمان لا أظنه عجيبا فقد وصل الحال بنا إلى أن الليبراليين يدعون إلى منع الكتاتيب بحجة أنها مصدر الإرهاب، وقد يأتي من بعدهم من هو أشد فسقا فيدعوا إلى غلق المساجد كلها ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هدم مسجد الضرار، ويتشدق على ذلك بالآيات والأحاديث التي وردت في ذلك، فهؤلاء هم تلامذة قاسم أمين وهو أستاذهم الذي رسم لهم الطريق، وما زالوا يبعدون في السير عليه من بعد موته.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

كما قلنا فالدين الليبرالي قائم على تحكيم العقل على كل شيء، وأن الأمر لا يقف عند تخيل عقل أحدهم المريض للمفاسد والمصالح حسب هواه، بل إن الأمر يصل إلى الدرجة أنهم لا يقبلون النص الصحيح الصريح ما دام يظهر لهم أنه يخالف العقل...

فإذا رأت عقولهم أن خروج المرأة للعمل واختلاطها بالرجال بلا أي تحفظ هو سبيل النهضة ومصلحة الأمة فهذا هو الحكم الشرعي عندهم في دينهم، والمفاسد والمضار على البيت والمجتمع هنا ليست بذي بال، وقول الله تعالى (وقرن في بيوتكن) ليست آية ذات شأن عندهم ولا تهمهم في شيء، ويمكن تأويلها.

وإذا رأت عقولهم أن التعدد يضر بالمرأة فالحكم الشرعي في دينهم هو منع التعدد، ولا يعنيهم أصلا ما أنزل فيه من آيات صريحة في كتاب الله تعالى وان تناولوها بالمغالطة في تفسيرها في كتاباتهم ومقالهم، لأنه لو أقمت عليهم ألف دليل على أن معنى تلك الآيات هو نص تشريعي يبيح التعدد ولا يشترط سوى العدل فيما يملك الرجل العدل فيه فلن يغير ذلك مما في عقولهم شيئا.

والسبب في ذلك كله أن هناك أمرا آخر في الدين الليبرالي هو أصل في تفكيرهم يريحون بها ضمائرهم، وهو أن تغير العصر والزمان وتغير ثقافات الناس يبيح للناس أن يبدلوا ويختاروا ويلغوا في أحكام الشريعة حسب ما تراه عقولهم وبصائرهم التي لا ترى الحق والباطل إلا مقلوبين.

الفصل السابع

الطلاق في كتاب قاسم أمين

كما قلنا من قبل فلم يكن الهدف الحقيقي لكتاب تحرير المرأة هو إخراج المرأة من بيتها الذي خيّلهُ لها سجناً تعيش فيه عليها أن تنال حريتها منه؛ بل كان هدفه خروجها واختلاطها بالرجال، ولم يكن هدفه بعد خروجها أن تختلط بالرجال فقط، بل أن تختلط بهم اختلاطا كاملا بلا تحفظ أو قيود أو حواجز، ومن تلك الحواجز ذلك الحجاب الذي يغطي وجهها كخطوة أولى، بل إن كل تلك الأهداف كانت من أجل غاية وهدف أكبر، وضمن فكرة أعلى اختمرت في رأس قاسم أمين، وهي أن المرأة والرجل متساويان حرفيا لا فرق بينهما إلا في شكل الخلقة والحمل والإرضاع، في تجاهل تام ومُتعمد للفطرة التي فطر الله سبحانه كليهما عليها، وتجاهل لكل ما شرعه الإسلام؛ ولما زُينت له هذه الفكرة كان لا بد أن يساوي بينهما في كل شيء حرفيا بما في ذلك فرص الطلاق كما في الزواج. وأما الجانب الفطري لكل منهما فقد وضعه تحت قدميه فلم يلق له إشارة واحدة في كتابه.

لقد استخدم قاسم في كتابِهِ كل شيء؛ التاريخ والجغرافيا والصحة والتعليم والتربية والبعد النفسي والاجتماعي والتقدم والنهضة، وكل ما يستطيع به أن يستغله ويُركّبه من أجل إثبات هذه الفكرة التي سيطرت عليه، ولكنه أبدا لم يتطرق لتلك الفطرة التي فطر الله عليها كلا من الرجل والمرأة، وجعل الله لكل منهما مهمة في الحياة تناسب تلك الفطرة، وذلك لأن تلك الفطرة ستُبطل كل ما جاء به من أفكار وتُبطل كل أدلته المركبة التي أراد بها أن يخدع القارئ.

أيتها الفتاة وأيها الشاب: إن الله سبحانه الذي فطر كلاً منكما أنزل ديناً وشريعةً توافق تلك الفطرة ليحيا بها كلاكما في سعادة وهناء ويسر بلا شقاء أو نصب، ولا يمكن أبدا بل من المستحيل أن يحيا الإنسان سعيدا هنيئا مهما بلغ من الرقي والنجاح والتقدم والرفاهية وهو يعيش في وضع يناقض تلك الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها. إنه أشبه ما يكون بأن يتعود الأسد على أكل الأعشاب وأن تتعود الثيران على أكل اللحوم، وحتى لو أعاد الإنسان بذكائه تشكيل تلك الأغذية لتشابه ما يأكل كل كائن منهم فهل تتخيلان أن يحيا كل منهما صحيحا متوازنا، قد يحيا قليلا ولكن سرعان ما تصيبه عوارض وأحوال نتيجة مخالفته لتلك الفطرة التي خلقه الله تعالى عليها، وليس هذا بكلام نظري، بل قد حدث بالفعل عندما أصابت الأبقار ما عرف بمرض جنون البقر، وكان ذلك من جراء تغذيتها بعلف حيواني بغية زيادة لبنها ولحمها، ثم أصيب به الإنسان أيضا عندما أكل لحومها.

والمساواة المخترعة التي دعا إليها قاسم أمين كانت لا تلتفت ولا تأبه بهذه الفطرة، ولذلك لم يذكرها ولم يستدل بها، لأنها تعاكس هوى نفسه، وتضاد كل ما أتى به من أفكار وبدع في الدين، مع العلم أن تلك الفطرة لا تجعل الرجل مفضلا على المرأة في الدين وفي الآخرة إلا بالعمل الصالح، يقول تعالى:

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:97)
- ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:35)
- ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد:18)

فلا فرق بين الرجل والمرأة في الإسلام، وأما في التكاليف الشرعية فلو افترضنا أنهما غير متساويين لكان الميل والرفق في الشريعة ناحية المرأة. وليس هذا بكلام أضرب به على عاطفة المرأة ولكنها الحقيقة التي إذا بحثتِ عنها أيتها الفتاة ستجدينها بادية متجلية في كثير من المواضع حين تجدين الرفق ظاهر في أحكامٍ كثيرة مما يخص شأن المرأة. سترينها أيتها الفتاة حين يراعي الله سبحانه وتعالى حال المرأة حين الحيض فيُسقط عنها فريضتي الصلاة والصيام، وحين يراعى ضعفها عن الخروج بالليل والنهار لشهود الصلاة في الجماعات مثل الرجل فيجعل الأمر إليها إن شاءت شهدتها وإن شاءت صلت في بيتها، وكل ذلك واجب على الرجل صيفا وشتاء لا يعذر عنها إلا بما يضطره لتركها. وهذا الرفق فيما يخص المرأة حين أوجب على الرجل حين الزواج أن يتحمل كل تكاليف الزواج ليس على المرأة منه شيء إلا طواعية منها، وعليه أن يقدم مهرا هو حق لها خاص بها دون أبيها أو وليها، ولها أن تطلب ما تشاء مهرا لزواجها ولو كان قنطارا من ذهب، وأوجب على الرجل بعد ذلك النفقة كاملة عليها وعلى أبنائه منها، وأوجب عليه أن ينفق عليها من سعته وعلى قدر ما أنعم الله عليه، بل أجاز لها إن كان بخيلا أن تأخذ من ماله بغير علمه ما يكفيها وأولادها بالمعروف.

كل ذلك رفقا بالمرأة وهو من العدل الإلهي؛ لأن الله تعالى جعل لكل منهما تكاليفه الشرعية وحقوقه وواجباته التي تناسب فطرته التي فَطَرَهُ اللهُ عليها؛ فهو عز وجل العليم الخبير بما يصلح كلا منهما، والتفريق بين الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية هو كما قلنا من العدل الإلهي، ومن رحمة الله تعالى وعلمه بخلقه؛ ولهذا نجد كثيرا من التكاليف الشرعية الخاصة بالمرأة فيها كثير من التخفيف والتيسير؛ نظرا لطبيعتها التي خلقها الله عليها.

فلا يوجد في الإسلام فرق بين الرجل والمرأة، فلا يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في الكرامة الإنسانية، وفي وجوب طاعة الله تعالى والانقياد له، وفي عمل الصالحات، وفي التفاضل على أساس التقوى.

وأما القوامة التي جعلها الله للرجل على المرأة، فقد جعل الله للمرأة ما هو أفضل منها، وهو البر الذي افترضه الله تعالى على الأبناء فيكون للأم منه ثلاثة أضعاف ما للأب، أو ليس هذا تفضيلا؟ فإن قيل لأن ذلك من عظم عطائها، فكذلك القوامة، فهي **أولا**: ليست إلا مسؤولية ملقاة على كاهل الرجل سيُحاسَب عليها أمام الله عز وجل، وهي ليست سلطة أعطاها الله إياها ليتأمر ويستبد بها على المرأة، ويهمل بها رأي زوجته في شؤون بيتهم، فذلك ضد أخلاق الإسلام وقيمه التي قام عليها لقوله تعالى:﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾(الشورى:38) **وثانيا**: لأن البيت ينبغي أن يكون له قائد، أو ليس طبيعيا أن يكون لكل سفينة قائد يقودها ويُوكَل بتوجيهها حتى يستقيم عملُها، فكذلك شأن البيت يجب أن يكون، حتى لا يغرق وسط التخالف والعناد بين رأسين يأبى كل منهما إلا الاستمساك برأيه ويرى أنّ على الآخر أن يتبعه؛ فأوجب الله على المرأة أن تتبع رأي زوجها إن هو استمسك برأيه حتى يستقيم البيت، وهو في النهاية المسئول الأول عنه، والملام على أي اعوجاج فيه. وهذه المسؤولية تتجلى في القرآن حين يقع اللوم على آدم وحده في أكثر الآيات حين أكل هو وحواء من الشجرة.

يقول عز وجل: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ (طه:121) مع أن المعصية كانت من كليهما، ووقع أثرها عليهما معا لما بدت لهما سوءاتهما، ثم أُنزلا إلى الأرض جميعا، ومع ذلك يضع القرآن المسؤولية على آدم واللوم عليه وحده.

وقبل هذه الآية يقول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (طه:117) فأخذ بعض العلماء من هذه الآية وجوب النفقة من الزوج على زوجته، لأن كلا الزوجين مختص بالتحذير ولكن آدم اختص وحده بوقوع الشقاء عليه إن هما عصيا ربهما، فدل ذلك على أنه المكلف بالكد عليها وتحصيل ضروريات حياتها لها، ولو بالعمل تحت حرقة الشمس وفوق الصخر ووضع رأسه في القاذورات.

ولكن قاسم تغافل وتجاهل عامدا تلك الدرجة التي أعطاها الله تعالى نصا للرجل في القرآن الكريم، وأراد المساواة التامة بين الرجل والمرأة في كل شيء ومن ذلك أمر الطلاق، فأراد أن يساوي الرجل بالمرأة في أمر الطلاق بمعنى أن يقيد طلاقه ليكون مثل خلع المرأة فلا يتم إلا إذا لجأ الرجل إلى القاضي، أو أن يكون طلاق المرأة مثل طلاق الرجل لها أن تطلق نفسَها مباشرة كما يطلقها. فهو يريد مساواة على أي

شكل، بالرغم من أنه يبدو من كلامه عكس ذلك في أول الفصل بكثرة ما أورده من آيات وأحاديث وآراء فقهية غالط فيها من أجل تقييد طلاق الرجل.

يمهد قاسم أمين لهدفه فيرمي جملة في خبث بين السطور في أول صفحات الكتاب في (ص:15) بالرغم من أن الفصل الذي كتبه عن الطلاق كان في أخر صفحات الكتاب، فيقول:

> من احتقار المرأة أن يطلِّق الرجل زوجته بلا سبب،

ففصل الطلاق كان آخر فصل من فصول الكتاب ومع ذلك يمهد له نفسية القارئ في أول صفحات الكتاب فيرمي هنا عبارة يمهد فيها لما أظهره بعد ذلك من هواه في تقييد طلاق الرجل لزوجته. ولكنه تمهيد ساذج لا يحتاج إلا إلى تفكير بسيط ليكشف مدى حمق هذه العبارة. فمن هذا الزوج الذي يطلق زوجته بلا سبب؟!!، وإن كان الزوج سفيها لهذه الدرجة فما الفائدة من الإبقاء عليه مرغما ومقيدا بزواج لا يريده أو التضييق عليه في شأن الطلاق!!!

ولكن قاسم كان يستخدم أي منطق وأي توصيف وأي أسلوب بالتجميل أو التقبيح بأي طريقة ليدلل به على صحة ما في عقله، وليستفز بها المشاعر ويحاول بها أن يسيطر على العقول ليوجهها في الاتجاه الذي يريد أن يندفع القارئ في السير نحوه.

رسالتي الى الشباب والفتيات:

هكذا يفعل الليبراليون؛ فهم يتلاعبون بالعبارات وأساليب التوصيف ويستدلون بأي منطق ولو كان معوجا ليبرهنوا على آرائهم، ولكن لأن كلامهم باطل، وليس فيه من الحق إلا الظاهر، فإن أي عقل فطن أو أي محاولة للتوقف عند أي عبارة من عباراتهم لتحليلها ومراجعتها، ستكشف بسهولة الغش والسذاجة المخبوءة في كلامهم الممنطق والمنمق بكلمات تهز المشاعر وتضرب على العاطفة قصدا.

وهذا الأسلوب في الضرب على العاطفة هو أهم ما يستعملونه في كلامهم، بل هو الأسلوب الذي لا يستطيعون الاستغناء عنه، لأن أدلتهم وحدها ضعيفة في إقناع العقل إلا بخداعه، ولذلك لا بد لهم أن يستخدموا كلمات تهز المشاعر لتبعد العقل أو تخدره عن مراجعة أدلتهم، وهم بارعون في اللعب بالمنطق الذي يخدعون به من هم سطحيون في قراءتهم وفهمهم لما يقرأون.

يقول قاسم في (ص:84):

وإنما نقول إن مَنْ أجال النظر في نصوص الكتاب العزيز، وما اشتمل عليه من الآيات المقرِّرة للطلاق وأحكامه؛ يشعر بالنعم التي أفاضها الله على المسلمين، ويقتنع بأن كتاب الله قد أتى من الحكمة على منتهاها، وأنه وفَّى كل شيء حقَّه.

هكذا يبدأ في كل مرة بمدح الإسلام وما جاء فيه والانتصار لشريعته، بل وينتقد أحيانا الشرائع الأخرى، ثم ما يلبث أن يغير ويبدل ما جاء في شريعة الإسلام، وكأن علوم الدين من السهولة بمكان حتى يحوزها ويتمكن منها كل من حصل على شهادة من العلوم الحديثة، وقرأ قشورا من الكتب الدينية وعلم بعض الأصول فيها، وحاز علما منها لا يتعدى وصفه بالثقافة العامة.

وبعد مدح الشريعة الإسلامية انتقل إلى التسفيه من رأي علمائها الذين أفتوا بما أفتوا به بناء على آيات وأحاديث قال بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقول في (ص:89):

ولو ترك فقهاؤنا الاشتغال بالألفاظ وبحثوا في مآخذ الأحكام التي يقرِّرونها وعرفوا تاريخها وأسبابها وقارنوا المذاهب بعضها ببعض وانتقدوها وبالجملة لو اشتغلوا بعلم الفقه الحقيقي؛ لتبيَّن لهم أن الطلاق لا يكون طلاقًا إلاَّ إذا كان مصحوبًا بنيَّـة الانفصال.

لم أرَ عُجبا بالرأي مثل هذا العُجب، فلو علم هو أهمية اللفظ الذي تكلم فيه الفقهاء لما قال ذلك. فالعلماء تكلموا في الألفاظ احتراسا من وقوع الطلاق بلفظ لا يقع به، وتحذيرا لألفاظ أخرى تعادل الطلاق يجب أن يتنبه لها الناس، فلا تسقط بها ألسنتهم فتطلّق بتلك الألفاظ زوجاتهم، وكل ذلك احتياطا وتعظيما لحكم الطلاق الذي أنزل الله سورة كريمة باسمه في القرآن العظيم، ليتعلم الناس عظم أمر الطلاق وأحكامه عند الله عز وجل، ثم بعد جهله هذا يتهمهم بأنهم لا يشتغلون بالفقه الحقيقي، ولو أنهم فعلوا لاهتدوا إلى رأيه الذي وصل هو إليه!!!

رسالتي الى الشباب والفتيات:

هكذا هم بالضبط الليبراليون، لا يحملون للفقه ولا الفقهاء أي احترام، وهم بعقولهم الجاهلة بالفقه يستدركون عليهم بل ويعيبون فيهم. وكل ذلك لأن لهم أهواءً يريدون الوصول إليها، ويريدون أن تكون أحكام الدين وفقا لما هم مقتنعون به. فشريعتهم هي ما تستحسنه عقولهم ومن يخالفهم ويخالف رأيهم فهو رجعي قليل الفهم لا يُعمِلُ عقله.

أما علاقتهم بالفقه فهي مبنية على شيء واحد وهو أن يستلوا منه ما يوافق هواهم، ولعلك عزيزي القارئ تقول أنه ما دام الرأي قد قاله أحد العلماء فلا ضير منه، ولكن الأمر ليس على

هذه الشاكلة لأنهم ينتقون من آراء الفقيه رأيا معينا وهو ساعتها فقيه معتبر يذكرون اسمه بكل تقدير ويثنون عليه، ويقولون أن هذا هو الإسلام الصحيح تعريضا بمن يخالف هذا الرأي من العلماء، ثم لا يأبهون بنفس العالم إذا كان من أقواله ما يخالف أهواءهم.

فالفقه والفقيه عندهم وسيلة إن استطاعوا استخدامها في تحقيق أهدافهم استخدموها وما غير ذلك حقّروا منه، وسواء وجدوا في الفقه وكلام الفقهاء ما يستطيعون به أن يغالطوا به أنفسهم ويخدعوا به الناس أو لم يجدوا فهم ماضون فيما هم به مقتنعون، ولن يتبعوا أبدا كلام العلماء، لأنهم يعلمون أن رأيهم الحقيقي المكنون في صدورهم في كل قضايا المرأة يخالف كل ما جاء به العلماء على مختلف أرائهم الفقهية والمذهبية.

الغريب أنهم لا ينفكون يتحدثون عن حرية الرأي وهم لا يطيقون آراء العلماء التي تخالف أهواءهم، ويحاولون طمسها والتحقير منها، ولو وجدوا رأي عالم يخالف رأي جمهور العلماء لكنه يوافق هواهم أذاعوا به، وقالوا إن هذا هو الرأي، وقد آن لنا أن نتطور ونواكب العصر، وكل ذلك لأنهم حين يتكلمون عن حرية الرأي فهم يعنون بالأساس حرية الكلام في الدين والتغيير والتبديل فيه من كل الناس، وهم بالطبع على رأس هؤلاء الناس.

وبعد مدح الإسلام وشريعته، ثم تسفيه العلماء، يبدأ في نسج خطته في إبطال طلاق الرجل المباشر لزوجته، فيخطف من هنا رأيا ومن هنا رأيا ليضع بعد ذلك أحكاما جديدة في تركيبةٍ لم يقل بها أي أحد من العلماء؛ ليصل بذلك إلى المساواة بين الرجل والمرأة في أمر الطلاق، ولقد كانت خطته ذكية للغاية أساسها إبطال الطلاق الشفوي، وهدفها النهائي أن يكون طلاق الرجل مثل خلع المرأة، لا يتم إلا أمام القاضي، أو أن يكون للمرأة حق الطلاق مباشرة كما الرجل، ولكنه تدرج تدرجا شديد الدهاء حتى يصل إلى هذا الهدف، وكان عمود خطته هو تقييد طلاق الرجل، وأول ما فعله هو تحميل صورة ذهنية في عقل القارئ بأن الطلاق محظور في الإسلام إلا لعارض يبيحه، وكان ذلك أول نسيج نسجه في خطته بالاستناد إلى أن الشريعة جعلت من الطلاق أمرا غير مستحب، أو كما فضّل هو أن يقول محظورا، واستند إلى آيات وأحاديث ليس عليها خلاف بالرغم من أنه يفسرها بطريقة تخدم هواه.

يقول في (ص :84):

وأول ما يجب الالتفات إليه هو أن شرعنا الشريف قد وضع أصلاً عامًا يجب أن تُردَّ إليه جميع الفروع في أحكام الطلاق؛ وهو أن الطلاق محظور في نفسه، مباح للضرورة، والشواهد على ذلك كثيرة في الآيات القرآنية والأحاديث النبويَّــة، وما جاء في كلام الأئمة نورد منها ما يأتي:

قال تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا﴾.

ولا خلاف كثير حول هذه الفقرة وإن كان مكره فيها ظاهرا، ولكن هناك سؤال أطلب من القارئ ألا ينساه أبدا حتى أصل به إلى نهاية الفصل:

هل من المنطق على من يدعو إلى حظر الطلاق وإبطاله قدر الإمكان في حق الرجل أن يدعو إلى إعطاء المرأة حق طلاق نفسها؟!! أرجو مرة ثانية من القارئ ألا ينسى هذا السؤال.

وبعد هذه الخطوة التي أراد منها صنع صورة ذهنية في عقل القارئ بأن الطلاق شبه محظور، انتقل قاسم إلى الخطوة الثانية بتقييد دائرة وقوع الطلاق، بادعائه أن الطلاق لا يقع إلا بشرط وجود نية الانفصال عند التلفظ به، استناد إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أصل من أصول الدين (إنما الأعمال بالنيات) بمعنى أن الرجل لو قال لزوجته أنت طالق قهرا لها، أو قال لصديقه امرأتي طالق مازحا أو مهددا أو حالفا كذبا بها، وادعى أنه لم يقلها وهو ينتوي الانفصال فعلاً عن زوجته، فلا يقع الطلاق ولا يعتد بطلاقه!!! يقول في (ص:85):

وأخرج الطلاق من مشمول هذا الأصل؛ فقضى بوقوعه على المُكرَه والمخطئ والهازل والسكران مع تعريفهم السكران بأنه هو الذي لا يميِّز السماء من الأرض.

وظاهر أن أهل هذا الرأي لم يعوِّلوا على النيَّــة التي هي أساس الدين الإسلامي، كما يستفاد من حديث «إنما الأعمال بالنيَّات»،

وكلامه في هذه الفقرة من الأدلة التي تؤكد أنه اطلع على قشور من الدين، وطالَعَ طرفا من أصوله، ثم خرج علينا يفتينا ويرشدنا إلى ما زينه له عقله وذكاؤه. فجمهور الفقهاء الذين ازدراهم قالوا بوقوع الطلاق فور التلفظ به دون اعتبار للنية، وفي ذلك حديث صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة.** (رواه الترمذي)، وذلك لأن أبواب المعاملات لها أحكامها

الخاصة، ولكن قاسم بلغ من العُجب برأيه وتسفيهه للعلماء مبلغا ينبئ أنه لا يعطي لكل علماء الفقه منذ صدر الإسلام احتراما ولا تقديرا.

وأما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات) فهو أصل له موضعه وفقهه، فلو كان أصلا عاما لا ضابط له لكان المتصدق بمال مسروق مقبولة صدقته عند الله، وقد ثبت عن رسول الله قوله (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا). فلماذا لم ينفع السارق الأصل الأول وقد قال به الرسول صلى الله عليه وسلم؟!!

ولكن الحقيقة في كل ما غالط فيه في موضوع النية أنها كانت مجرد خطوة أولى في خطته لتقييد الطلاق الشفوي في طريق الوصول إلى إبطاله كله ولو كان مقترنا بالنية كما سيأتي فيما بعد.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

هذا ما عليه الليبراليون والليبراليات، يتمحكون في كلامهم ببعض أصول الدين وهم لا يفقهون عنها شيئا، وإن أسوأ الأمراض التي أصيب بها الليبراليون والليبراليات وسولها لهم الشيطان وانتشر وباءها إلى كثير من العامة أنهم ظنوا أن ذكاء عقولهم مع شهاداتهم الجامعية ومطالعاتهم الثقافية العامة في شتى العلوم تكفي أحدهم أن ينظر في الدين والتفسير والحديث نظر المجتهد المستنبط.

بل إن الليبراليين والليبراليات يعملون دائما على إلباس أفكارهم رداءا دينيا وشرعيا، وهم مع ذلك لا همّ لهم إلا صرف الناس عن إتباع علماء الدين الذين هم أعلم بأصول الدين وأحكامه، مثلما لا همّ لهم إلا الحديث عن الثيوقراطية المسيحية التي عاشتها أوروبا في القرون الوسطى، والتي لم يعرفها الإسلام أبدا، وأن أوروبا تقدمت لما تخلصت منها، وكل ذلك غش منهم وخداع للمسلمين لكي يدمجوا في عقولهم بين التأخر والإستماع لرجال الدين من ناحية، وبين التقدم وأفكارهم من ناحية أخرى فتخلوا لهم أسماع الناس.

ثم يمضي قاسم في خطته فيقول في (ص:85):

والمطَّلع على كتب الفقه وإن كان يجد أن جميع الأئمة قد نظروا على العموم إلى هذا الأصل الجليل الذي من شأن العمل عليه تضييق دائرة الطلاق بما يصل إليه الإمكان.

يقول في آخر الفقرة (**بما يصل إليه الإمكان**)، فبتلك العبارة يسحب عقل القارئ لما سيبتدع فيه بعد ذلك في أحكام الطلاق بما لم يأت به أحد من الفقهاء على مدى أكثر من ألف عام.

ويستمر قاسم في خطته لتقييد دائرة وقوع الطلاق الشفوي قبل أن يدعو إلى إبطاله، ويستمر أيضا في تجرؤهِ على العلماء، فيتكلم في مسألة من أدق أحكام الطلاق، وهي وقوع الطلاق ثلاثا حين التلفظ بهم دفعة واحدة، وهو ما لم يكن عليه العمل زمن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول في (ص:86):

> **ثالثها:** اتَّفق أغلب المذاهب على أن الطلاق ثلاثًا متفرقة في حيض واحد أو في مرَّة واحدة وبلفظ واحد يقع ثلاثًا، على أن هذا النوع من الطلاق الذي اعترف الفقهاء أنفسهم بأنه بدعي – أي مخالف للكتاب والسُنَّة – لا يمكن تصوُّره على الكيفية التي قررها الفقهاء ونصوص القرآن كلها تأبى تأويلهم. قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ وجاء في تفسير هذه الآية في كتاب حسن الأسوة: «وإنما قال سبحانه مرَّتان ولم يقل طلقتان؛ إشارة إلى أنه ينبغي أن يكون الطلاق مرَّة بعد أخرى لا طلقتان

لنقطع هنا أهم الجمل (أغلب العلماء) (اعترف الفقهاء) (بدعي–أي مخالف للكتاب والسنة–).. وتأمل لفظة بدعي وما دسّه بعدها من عبارة– أي مخالف للكتاب والسنة – !!!

هل من الممكن أن يتصور أحد أن جمهور العلماء– وليس أغلبهم كما قال– قد اتفقوا واعترفوا أنهم قد ابتدعوا في الطلاق بما يخالف الكتاب والسنة؟!!! أم أن الأقرب أن قائل هذا الكلام إما جاهل لا يفقه حتى الأدلة التي يستدل بها، وإما معتدٍ في كلامه يريد أن يحمل الناس على رأيه، أو أنه الاثنان معا!!!

الغريب أنه ذكر بنفسه بعد ذلك في (ص:87) أن ما عليه الفقهاء كان اتباعا لرأي عمر رضي الله عنه حين قال:

> إن الناس قد استعجلوا في أمر كان لهم فيه أناة فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم، وذهب جمهور الصحابة والتابعين ومَنْ بعدهم من أئمة المسلمين إلى أنه يقع ثلاثًا.

فكيف يقول إن الفقهاء قد ابتدعوا بما يخالف الكتاب والسنة، أم أن عمر رضي الله عنه هو الذي ابتدع في الدين على محضر من الصحابة وبموافقتهم جميعا، وأقروا جميعا بما يخالف الكتاب والسنة؟! ثم ذكر بعد ذلك في (ص:88) أن ذلك كان من اجتهاد عمر رضي الله عنه ثم يعلق تعليقا ماكرا فيقول (كلنا يعلم أنه لم ينشأ من اجتهاد عمر إلا ... ...) في ثقة مصطنعة يجمع الناس معه فيها ليوحي بأنه اجتهاد خاطئ وخطأه واضح وظاهر للجميع!!!.

يقول عن عمر رضي الله عنه:

> فكأنه اجتهد في جعله عقوبة لردعهم عنه، وكلُّنا نعلم أنه لم ينشأ من اجتهاد عمر إلاَّ استهتار العامَّــة بلفظ الطلاق الثلاث، وتهافتهم عليه في محاوراتهم وإيمانهم.

وهنا أسأل سؤالا: هل يعتقد مسلم أن مثل عمر رضي الله عنه يبتدع في دين الله تعالى بما يخالف كتابه وسنة نبيه، ثم يقره على ذلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عثمان وعلي وسعد وطلحة والزبير وابن عباس وعمار وأبو ذر وغيرهم الكثير، وكان ذلك على مشهد منهم جميعا، ثم يوافقهم السلف والتابعون ومعظم الفقهاء؟!! أم أن أهل العلم يعلمون أنّ ما فعله عمر هو من الحق الذي تعلّمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما شرعه الله سبحانه وتعالى في أصول وأحكام الطلاق وهذا ما سنبينه فيما بعد.

وهكذا بكل بساطة يوحي قاسم أمين أن عمر رضي الله عنه قد أخطأ ومعه الصحابة ومعهم السلف والتابعون. ولا أدري لو لم يُمض عمر رضي الله عنه الطلاق ثلاثا على قائله أكان المستهتر بالطلاق ثلاثا سيعظم الطلاق الواحد فلا يتفوه به أبدا؟!! ليس عندي تعليق على كلامه سوى أن أقول إن أصعب الأمراض شفاء أن يصل عجب المرء بعقله ألا يرى رأيا رشيدا غير رأيه إلا إذا وافق الرأيُ رأيَه، فعندئذ لا يتورع أن يتعدى في كلامه على خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن يتورع أن يغير ويبدل في شريعة الله ولو كان بنص صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

العجيب أن الدليل على ما فعل عمر رضي الله عنه قد ذكره قاسم أمين نفسه في كتابه في (ص:87) من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُخبر صلى الله عليه وسلم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا **فقام غضبانا ثم قال:** (أيلعب **بكتاب الله وأنا بين أظهركم)** (أخرجه النسائي باسناد حسن). وتوقفْ كثيرا أيها القارئ وتأمل في ردة فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ولعلك لن تجد مثلها أبدا في سيرته صلوات الله وسلامه عليه. فقد قام غضبانا مما أُخبر به وقال هذه الجملة التي يجب أن يحفظها كل مسلم، حتى يتعلم كل مسلم موقع وعظم أحكام الطلاق في الدين، فقد غضب صلى الله عليه وسلم بهذه الطريقة؛ لأن الله لم يجعل الطلاق ثلاثا وأنزل ذلك في القرآن العظيم إلا ليجعله مرتان متفرقتان ثم تكون الثالثة هي الفاصلة بينهم، وإن لفظة الطلاق في الإسلام عظيمة جدا، وكيف لا، وهي تحل عقدا وصفه الله في كتابه ب "**ميثاقا غليظا**" وكيف لا، ووقعها على المرأة مؤلم جدا ووقع الواحدة عليها كوقع السيف على جسدها وإن كانت كارهة لزوجها، فلا يصح أبدا الاستهتار بذلك ولا باللفظ نفسه فيلقي الرجل الثلاث في مرة واحدة.

والله عز وجل حين جعل الطلاق مرتان فلكي يعطي الرجل فرصة بعد فرصة لكي يراجع نفسه ويراجع زوجته، حتى إذا كانت الثالثة قضى الله أن تكون الأخيرة لا رجعة بعدها، حتى تنكح زوجا آخر، حتى لا تكون المرأة ومصيرها ألعوبة في يد الرجل وعلى لسانه إلى ما لا نهاية، فيطلقها فإذا اقترب قضاء عدتها راجعها.

وقد كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بهذا، وأعلم الناس بما بُني عليه حكم الطلاق في القرآن، وأعلم الناس بعظم الحكم وكلمة الطلاق، وإن حدث أن أحدا منهم تعدى ذلك الحكم فقد كان أمرا نادرا أو شاذا مع علمه أن ذلك عند الله عظيم.

ولكن الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كثروا ولم يكونوا مثل صحابته صلى الله عليه وسلم وأصبح الرجل كلما طلق طلق ثلاثا وأكثر في المرة الواحدة استهانة منه بأمر الكلمة التي يقولها، ولعلمه أنه مهما طلق من عدد فكل ذلك سيحتسب تطليقة واحدة، وكل ذلك يخالف ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم**) ولكن كثيرا من الناس لم يفقهوه.

فكل من يطلق ثلاثا دفعة واحدة حتى ولو كان عازما عزيمة كاملة وتامة ألا يراجع امرأته أبدا فهو يلعب بكتاب الله كما قال صلى الله عليه وسلم، ولذلك فإن عمر رضي عنه لما رأى الناس قد استهانوا بما قد عظّمه الله تعالى وبما جعل الله لهم فيه سعة ليراجعوا فيه أنفسهم وزوجاتهم شدد عليهم، فأمضى على كل من استعجل في هذا الحكم ما نطق به لسانه حتى لا يُلعب بكتاب الله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتوقفوا ويرتدعوا عن ذلك، وقد وافقه الصحابة على ذلك لأنهم جميعا يعلمون أن ما أشار به عمر يوافق ما جاء في كتاب الله من تعظيم أمر الطلاق، ويوافق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما وصف ذلك باللعب، إلا أنه لم يشدد صلى الله عليه وسلم على ما وقع من ذلك في زمنه لما كان عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظيمٍ لكل أمر ولكل حكم من أحكام الله في كتابه الكريم ومنه الطلاق؛ فحادثة واحدة أو اثنتان لا تنفيان التعظيم الذي عليه المجتمع آنذاك لحكم الله.

وكل هذا لم يستطع قاسم إدراكه وفقهه، بل جاء ليجعل لفظ الطلاق المعظم في كتاب الله بنص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استشهد به هو لا قيمة له أصلا سواء قاله الرجل مرة أو عشرا، وسواء قاله هازلا أو كاذبا (ليفرّ بسرقته)!!!

وأما ما سطره عن وقوع الطلاق ثلاثا في المرة الواحدة وما اختلف فيه العلماء فتلك فقط كانت خطوة في سبيل إبطال الطلاق الشفوي كله من أوله لآخره...

وإن مثل هذا اللغط والخلط وقلة الفهم لما فعله عمر رضي الله عنه وقع أيضا في واقعة أخرى أجد من اللازم ذكرها هنا، وهي عندما منع عمر رضي الله عنه الزكاة عن المؤلفة قلوبهم التي أمر بها أبوبكر وهو خليفة المسلمين.

فقد اتخذ ذلك بعض الليبراليين والليبراليات حجة عندهم يريحون بها نفوسهم الخبيثة أنه يجوز تغيير الأحكام بتغيير الواقع وإن تنزلت تلك الأحكام صراحة في كتاب الله، وذلك كله من تزيين الشيطان لهم وضلالهم ولفقدانهم لأول قواعد الإيمان.

فما كان عمر رضي الله عنه أن يغير حكما في كتاب الله ولا أن يبدل منه حرفا وهو يعلم أن الأصل الأصيل في الإيمان أن لا أحد يستطيع أن يغير حكما من القرآن برأي رآه، ولكنه أدرك حينها رضي الله عنه ما لا يستطيع مثل هؤلاء إدراكه وقد أدركه في حينها أبو بكر رضي الله عنه فأمضاه.

ولتوضيح ما فعله عمر رضي الله عنه في شأن زكاة المؤلفة قلوبهم أسأل سؤالا: هل الفقير الذي قَسَم اللهُ له نصيبا من الزكاة لو أتى في العام الذي بعده قد أغناه الله يكون له الحق في الزكاة؟

والإجابة اتفاقا بالطبع لا؛ وهذا بالضبط ما ارتآه عمر حين كتب أبو بكر للمؤلفة قلوبهم بما اعتاد أن يُفرض لهم كل عام من الزكاة وهو أنهم لم يعودوا مستحقين للزكاة، فرفض أن يُمضي كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه رأى في ذلك باطلا عليه ألا يمضيه. وإن أبا بكر رضي الله عنه حين أمضى ما فعل عمر رضي الله عنه فلأنه فقه ما رأى عُمر فرآه حقا فأمضاه. وإنما فرض الإسلام لهم نصيبا من الزكاة لحداثة إسلامهم وسطوتهم في قومهم. فلما مضى عليهم عهد في الإسلام وثبت إسلامهم وأصبحت السطوة للإسلام لا لهم، رأى عمر رضي الله عنه أنهم قد انتفت عنهم صفة المؤلفة قلوبهم، وأنهم لم يعودوا مستحقين لأكثر مما لغيرهم من المسلمين، ولقد رأينا بعد ذلك أبا سفيان وسهيل بن عمرو وغيرهم ممن كانوا من المؤلفة قلوبهم يجاهدون بالشام، ومنهم من استشهد في سبيل الله.

ورب قائل يقول إن ما تم شرحه هو تعبير بشكل آخر عن تغير الواقع!! وظاهريا يبدو هذا صحيح، ولكن هل عدم إعطاء الزكاة لمن كان فقيرا بعد غناه حجة لمن يقول بتغير الأحكام بتغير الواقع، ثم يصبح ذلك دليلا عنده ليغير في أحكام ثابتة ما ينبغي له أن يغيرها، ويقبل بأمور ما ينبغي له أن يقبلها؟ يقينا لا. وإن الفرق عظيم بين أن نقول إن عمر رضي الله عنه لم يعطهم الزكاة لأنه رأى أنهم لم يعودوا مستحقين لها وبين أن نقول أنه رضي الله عنه لم يعطهم الزكاة لأن الواقع قد تغير، مع أن الأمر ظاهريا واحد ولكن ما يترتب عليه هو الفرق بين الحق المبين و الحق الذي فيه فتنة، كالفرق بين الطبيب الذي يقول عن مريضه أن به التهابا بالبطن وطبيب آخر يقول أن بالمريض إلتهابا بالزائدة الدودية مع أنها بالبطن، ولكن شتان بين قول فصل وقول يضل فيه وبه المرء.

الغريب في هذا الباب أن قاسم أمين قد جعل نفسه حكما بين جمهور العلماء ومن خالفهم، فيقرر بكل ثقة أن الحق مع من خالف الجمهور، ثم بعد ذلك يأتي هو بما يخالف الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، ويخالف علماء الأمة جميعا، ويريد أن يبطل الطلاق الشفوي كله، وهو ما لم يقل به أي أحد من العلماء

من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقته، ويخالف الأصول ويهدم الأركان التي بنيت عليها أحكام الطلاق!!!

ويمضي قاسم في خطته...، فحتى هنا يتهيأ لك أنه يريد الحفاظ على الأسرة بإبطال ما عليه جمهور العلماء من وقوع الطلاق فور التلفظ به إن لم ينوِ حقيقة الانفصال، ومن إبطال وقوع الطلاق ثلاثا فلا تحتسب ثلاث طلقات بل تطليقة واحدة، ولكن الأمر ليس كذلك. فقد انتقل إلى الخطوة التالية وهي إبطال الطلاق الشفوي كله ولو كان مرة واحدة أو ثلاث مرات أو ثلاث عشرة مرة!!! فيبدأ فيقول في (ص:88):

> وإن سمح لي القارئ أن أبدى هنا كل ما أظنُّه صوابا أقول لا يمكنني أن أفهم أن الطلاق يقع بكلمة لمجرَّد التلفُّظ بها مهما كانت صريحة.

(**مهما كانت صريحة**) وتخيلي أيتها الفتاة أن يقول لك زوجك صراحة أنت طالق، ثم يأتي من الليل تجدينيه على فراشك ويقول لك لم أكن أنتوي الانفصال، تخيلي أن يطلق الرجل امرأته ثم يخرج لا تدري هل كان جادا أم مهددا أم مازحا، إنّ كل ذلك يجعل شأن الزواج كله وأحكامه والطلاق والمرأة لعبة على لسان الرجل، وهذا يخالف ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي استشهد به هو (**أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم**) فلم يعقل منه شيئا.

إن كل هذا الكلام هي أكاذيب ظاهرها الشفقة وباطنها العذاب، ظاهرها الحفاظ على الأسرة وباطنها تضييع حقوق المرأة وجعلها ومشاعرها ومصيرها ألعوبة بلسان الرجل. لقد عَدّ رسول الله من استعجل فاستعمل الثلاث تطليقات في مرة واحدة لعبا بكتاب الله، فما الحال لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هناك من يريد أن يجعل قول الرجل لزوجته أنت طالق لا قيمة له إن قالها الزوج غاضبا مهددا!! أو مازحا لاعبا!!!؟ يقول قاسم في (ص:89):

> نحن في زمان ألف الرجال فيه الهذر بألفاظ الطلاق فجعلوا عصم نسائهم كأنها لعب في أيديهم يتصرَّفون فيها كيف يشاءون، ولا يرعون للشرع حرمة ولا للعشرة حقًا؛ فترى الرجل منهم يناقش آخر فيقول له إن لم تفعل كذا فزوجتي طالق فيخالفه؛ فيقال وقع الطلاق، وانفصمت العصمة بين الحالف وزوجته وهي لا تعلم بشيء ما ولا تبغض

لقد عظّم الله أمر الطلاق وكل لفظ يشابهه حفظا للمرأة وصيانة لها من أن يكون مصيرها لعبة على لسان الرجل، وإن الذي يبتدعه قاسم أمين من إسقاط الطلاق الشفوي لمجرد أن الزوج اتخذه هزرا يبطل كل ما أطنب فيه من حديث عن حفظ كرامة المرأة واحترامها وتقدير كيانها وعدم احتقار شأنها، ذلك الاحتقار الذي استعمله كثيرا في إثارة العواطف واستفزازها في مواضع أخرى من الكتاب، ولكنه كان رجلا ماكرا يوظف كلامه ومنطقه بحسب الموضوع الذي يطرحه لكي يصل إلى هدفه المسبق الذي أشرنا إليه من قبل، ولو تم تحليل كلامه لظهر كلامه– لمن يفطن –متناقضا أشد التناقض.

وما الحال لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هناك من أراد إبطال الطلاق الشفوي؛ لأنه أشفق على لص حين اضطر للحلف بالطلاق ليهرب من الاتهام بالسرقة مدعيا الحرص على تلك الأسرة ومشفقا على أسرة لص سارق يطعم زوجته وأولاده من الحرام!!!

يقول في (ص:90):

> ورُبَّ فلاح يرتكب جريمة السرقة مثلاً فيسأله العمدة أو مأمور المركز عما وقع منه فينكر؛ فيستحلفه بالطلاق فيحلف أنه ما سرق، والحال أنه سرق؛ فيقال كذلك وقع الطلاق وهو لم يقصد بيمينه إلاَّ تبرئة نفسه ولم يخطر بباله عند الحلف أنه مباغض لزوجته كارهًا لعشرتها.

وأنا لا أدري هل كان قاسم يريد أن يحافظ على مثل هذه الأسرة من أي شيء؟ من الضياع!! هل يأمل من وراء مثل هذه الأسرة أبناء وبنات فضلاء؟ وفوق ذلك كله، ما حال هذه المرأة مع مثل هذا اللص الذي يريد أن يحافظ عليها له؟ وهل مثل هذا اللص يُكرم امرأته أم يمتهن كرامتها؟ والإجابة أتركها للقارئ.

أين إذاً هنا ما سطره من إعلاء شأن المرأة وحفظ كرامتها وشخصيتها؟!! أم أن كل هذه الكلمات المعسولة المنتقاة فقط ليخدّر القارئ فيما يريد الوصول إليه حين تكون الحاجة إليها في خداعه؟!

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

هذا شأن الليبراليين جميعا، يجيدون تلوين الكلام وتأليف الحجج واستثارة العواطف وإحاطتها بكلمات رنانة، وكل ذلك بخداع وغش لا يستطيع أن يكتشفه إلا إنسان فطن يعيد تحليل ما يقولون وتذكُر ما يقولون في المواقف المختلفة، ليكتشف أنهم يستخدمون كثيرا حججا وبراهين متضادة حسب القضية التي يناقشونها والتي لا يجمعها كلها إلا شيء واحد هو الخروج عن أحكام الشرع إلى أحكام عقولهم.

فهم لا يكّفون عن الكلام عن كرامة المرأة، والمبالغة في تقدير شخصيتها والدعوة لسّن القوانين لذلك، ومنها مثلا أن تسافر المرأة بدون إذن وليها ويستغلون في ذلك مواقف شاذة،

وفي نفس الوقت لا يأبهون أن تعمل المرأة في أعمال يُستغل فيه جسدها مثل عارضة للأزياء والإعلانات، وإن طالب أحد ساعتها بقانون يمنع ذلك استشاطوا بأقوالهم عن أن القانون لا يُصلح وضعاً كهذا بل التربية المجتمعية هي الطريق الوحيد لإصلاحه، ثم يدّعون أن هذه أحوال قليلة لا ينبغي أن تُسن من أجلها القوانين.

وهكذا هم يستطيعون التلون في كل قضية بحجة مغايرة، والفَطِن سيكتشف بسهولة أن كل آرائهم لا يجمعها إلا هدف واحد هو التحلل من أحكام الدين.

ثم يقول قاسم في (ص:90) عن قوله تعالى في سورة الطلاق ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (جزء من الآية:2):

لِمَ لا نقرِّر أن وجود الشهود وقت الطلاق ركن بدونه لا يكون الطلاق صحيحًا؛ فيمتنع بهذه الطريقة هذا النوع الكثير الوقوع من الطلاق الذي يقع الآن بكلمة خرجت على غير قصد ولا رويَّة في وقت غضب؟

وكأن الأمر بأيدينا فنقر شرطا لم يأت به الشرع لمجرد أن عقولنا ارتأت ذلك، أو بالأصح لأن قاسم ارتأى ذلك بعد أن ذهب إلى تفسير الآية على الطريقة التي تناسبه، (((الذي يكفيه أنه استند فيها بعدها إلى رأي أحد علماء الشيعة؟؟؟))). فقد أمر الله تعالى إذا طلق الرجل المرأة –أو راجعها على خلاف بين العلماء –أن يُشهد على ذلك شاهدين، وأغلب العلماء على أن المقصود هو الرجعة، وفي حالة الطلاق فمعناه أن الرجل إذا طلق امرأته أن يستشهد ممن يرضى من العدول على طلاقه، ويخبرهما بطلاقه لامرأته حفاظا على حقوقها التي تبدأ بانتهاء عدتها من وقت طلاقها، ولم يقل أحد –حتى أتى قاسم أمين –أن الطلاق لا يقع ويُشترط لوقوع الطلاق أن يكون قد حدث أمام شاهدين، فإن لم يحدث فإن أي طلاق يتلفظ به لامرأته لا يقع ولا قيمة له إلا أن يذهب ويرجع باثنين من الشهود ليعيد أمامهما الطلاق. فهذا بالضبط يجعل المرأة والرابط الذي بينها وبين زوجها لا وزن له، لأن الرجل كلما غضب سيُلقي الطلاق على امرأته ثم يخرج لا تدري أيعود بشاهدين أم لا، فإن عاد فقد يعود بعد ساعة أو ساعات ولعله يعذبها يوما أو أياما نكاية بها ثم يعود في النهاية بلا شهود ليقول لها هيا إلى الفراش!!! هل يَدّعي أحد أن ذلك ليس من الممكن حدوثه؟؟ لن يدعي ذلك إلا متغاب في نفسه هوى.

إن شريعة الإسلام التي جعلت للرجل القوامة وحق الطلاق ما كانت لتجعل المرأة لعبة في يد الرجل، ولو كان ذلك من أجل الحفاظ على الأسرة واستدامة الزواج، وكما قلتُ فإن الشريعة تميل إلى صيانة المرأة والترفق بها والابتعاد بها عن مواضع الشقاء والنصب والامتهان، وفوق ذلك حفظ كرامتها وصيانة حقوقها.

أليس كل ما يدعو إليه قاسم من هذا الابتداع بإلغاء الطلاق الشفوي يزيد من شقاء المرأة واستضعافها، ويزيد من قهر الرجل لها والتلاعب بها، واحتقار شأنها، عكس كل ما ادّعاه في كتابه حين أراد خلع الحجاب عن وجهها وخروجها للعمل واختلاطها بالرجال.

ثم يمضي الماكر في خطته فيدعو إلى عدم الاعتداد بأي طلاق ولو كان أمام شهود!! إلا إذا ذهب الزوج إلى القاضي!!!، ثم سطّر من عند نفسه قانونا من خمس مواد: أولها أن أي زوج يريد أن يطلق زوجته يجب عليه أن يذهب إلى القاضي الذي ينصحهما ويأمره أن يتروى أسبوعا، فإن أصر الزوج بعث حكمين من أهله وأهلها أو عدلين من الأجانب ثم يقدمان تقريرا للقاضي الذي " يأذن " حينئذ بالطلاق للزوج!! وهكذا يصبح طلاق المسلمين طلاقا كنسيا على الطريقة الأوروبية الحديثة.

وبعد هذا الهزل الفقهي وتلك القوانين يقول في (ص:91):

> والذي يتأمَّل في الآيات التي سبق ذكرها في الاستشهاد والتحكيم يرى أن نظامًا مثل هذا ينطبق على مقاصد الشريعة ولا يخالفها في شيء، وليس لمعترض أن يحتجَّ بأن نظامًا مثل هذا يسلب الزوج حقه في الطلاق؛ لأن حقَّ الزوج في الطلاق باقٍ على ما هو عليه الآن؛

يجعل من ميثاق الزواج والمرأة ألعوبة على لسان الرجل بإلغاء الطلاق الشفوي كله فيطلّق الرجل زوجته نهارا فلا يعد ذلك شيئا، ثم قد يأتيها من الليل لينام إلى جانبها، ثم يقول قاسم بكل ثقة: (مثل هذا ينطبق على مقاصد الشريعة ولا يخالفها في شيء)!! ثم يبتدع بالتحكيم في الطلاق شرطا لوقوعه ثم يقول في الصفحة نفسها:

> ألا يرى أفاضل الفقهاء أن مثل هذه الطريقة البسيطة تترتَّب عليها منفعة عظيمة؛ هي تقليل عدد الطلاق، فضلاً عما فيها من اتباع أوامر الله، وتنفيذ حكم مهم مثل حكم التحكيم المنصوص عنه في الآية التي ذكرناها، واتباع أمر شرعي بقي معطلاً إلى الآن حيث لم نسمع بإجرائه يومًا خصوصا في أمَّــة كأمتنا بلغ أمرها من فساد الأخلاق والطيش إلى حدٍّ أن الرجل يحلف بالطلاق وهو يأكل ويشرب ويمشي ويضحك ويتشاجر ويسكر وامرأته جالسة في بيتها لا تعلم شيئًا مما جرى في الخارج بينه وبين غيره.

يقصد بالتحكيم هنا هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ (النساء:35)، وكأنّ الأولين لم يقرأوا تلك الآية، ولم يقفوا عليها واكتشفها هو في كتاب الله!!! فجاء ليستدل بها على اشتراط التحكيم قبل أن يطلق الرجل زوجته كما عند وقوع الشقاق بين الزوجين، لأنه لم يفقه الفرق بين الحالتين. ففي حالة الخوف من الشقاق تعني أن كلا الزوجين ما زالا في عصمة

الزواج لا يريدان انفصالا، وأما عند طلاق الرجل لزوجته فإن إلغاء الطلاق الشفوي يعني أن المرأة ستصبح ألعوبة فيطلقها الرجل عدد ما يحب من الطلقات، ثم يتركها ولا تدري أيذهب إلى القاضي أو لا يذهب، وإذا ذهب أيرجع عن رأيه أو لا يرجع، فإن رجع فإنّ كل ذلك مهما بلغ عدده لا يحتسب من الطلقات، فإن لم يرجع عن طلاقه فستظل المرأة تنتظر مصيرها المعلق بقرار القاضي إلى حين، ولا أدري في كل ذلك منذ متى تحتسب رجعتها؟ أمن ساعة عزم الزوج على الطلاق الذي لا يُعتد به إلا بعد قرار القاضي، أم من لحظة قرار القاضي بالطلاق للزوج؟! أليس هذا النظام الذي ابتدعه قاسم يجعل الرجل يتلاعب بالمرأة فيطلقها كيفما يهوى ثم يعود إليها بعد حين غير معتد بما قال، وقد يكرر ذلك مرات ومرات. إن هذا كله ضد ما شرعه الله تعالى من حفظ حقوق المرأة وعدم امتهانها بأن يلعب الرجل بها بعد أن ملكه الله تعالى حق الطلاق، وهذا بالضبط ما قاله رسول الله (**أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم**).

وهكذا يبطل قاسم كل الطلاق الشفوي من الرجل سواء قاله قاصدا أو لاعبا أو كاذبا، وسواء كان واحدا أم ثلاثا، وسواء قاله أمام شهود أو بغير شهود، ليصل في النهاية إلى أن الطلاق لا يقع إلا بعد عرضه على القاضي والمحكمين.

فأين ما قاله قاسم وأسرف فيه من كلامٍ حدثنا فيه عن كرامة المرأة وحفظ كيانها طول صفحات الكتاب من تلك الأمثلة والأدلة الفقهية التي تلاعب بها في سبيل إبطال الطلاق الشفوي، لتصبح المرأة به ألعوبة على لسان الرجل. إنه يتلاعب فقط بالكلمات ويتلاعب بالمنطق والأدلة والمشاعر ليسحب القارئ في اتجاه قد حدد الوصول إليه مسبقا يصطنع له استشهادات وحجج توافقها وهو المساواة الحرفية بين الرجل والمرأة، بلا اعتبار لدين أو فطرة أو أحكام شريعة، وحتى الشريعة فإنه تلاعب بها ويتلاعب باختلاف الفقهاء فيها.

والدليل على أن كل ذلك كان تلاعبا هو ما سطرّه وأباح به عندما وصل إلى الخطوة الأخيرة في سبيل هدفه النهائي، عندما بدأ يتحدث عن الكيفية التي يمكن للمرأة أن تطلق نفسها فجعل لها طريقتين: الأولى: أن تلجأ إلى القاضي تشتكي إليه الضرر فيطلقها كما جاء في مذهب الإمام مالك.

الثانية: ولما كان العمل في مصر على مذهب أبي حنيفة الذي لا يجيز للمرأة طلاق نفسها فقد أحتاط لذلك فقال في (ص:93 و 94):

الطريقة الثانية: أن يستمرَّ العمل على مذهب أبي حنيفة، ولكن تشترط كل امرأة تتزوَّج أن يكون لها الحق في أن تطلِّق نفسها متى شاءت أو تحت شرط من الشروط؛ وهو شرط مقبول في جميع المذاهب.

وهذه الطريقة أفضل من الأولى من بعض الوجوه؛ فإن المضار الحقيقية التي تتَّفق كلُّ النساء في التحفُّظ منها، وبذل المستطاع في اتقائها ما لا يكون سببًا يسمح للقاضي أن يحكم بالطلاق في مذهب مالك؛ وذلك كتزوُّج الرجل بامرأة أخرى وزوجته الأولى في عصمته، فإن الزوجة الأولى لو رفعت شكواها إلى القاضي وطلبت منه أن يطلِّقها لم يجز للقاضي أن يجيب طلبها، فلو اشترطت أن تطلِّق نفسها متى شاءت أو عندما يتزوَّج زوجها عليها كان الأمر بيدها، ولكن العمل على الطريقة الأولى أحكم وأحزم؛

تأمل (وهذه الطريقة **أفضل** من الأولى) وهي أن يكون لكل امرأة الحق أن تطلق نفسها متى شاءت بغير شرط أو عند وجود شرط، ولكن الأولى أحكم وأحزم، وهي أن تلجأ إلى القاضي تطلب منه الطلاق. والمقصود إما أن يكون للمرأة حق طلاق نفسها مباشرة مثلما أن الرجل له حق طلاقها مباشرة، وهنا لا مشكلة حول الأسرة والحرص على كيانها ولا داعي لذكر أن يخرج ذلك منها في ساعة غضب أو بدون قصد أو للهروب من السرقة .....!! أو أن يلجأ كلاهما إلى القاضي كما في المسيحية الأوروبية الحديثة!!!

وأمّا ما كان يميل إليه فعلا فهو يظهر في تلك الفقرة الفاصلة التي أوردها في نهاية الفصل في (ص:95) وتؤكد أن كل ما كان يسطره هو مجرد خداع ومكر بعقل القارئ لا أكثر لكي يهدم فيه كل الثوابت والأحكام التي تربى عليها وتعلمها:

ولَّما كان تخويل الطلاق للنساء مما تقتضيه العدالة والإنسانية لشدَّة الظلم الواقع عليهنَّ من فئة غير قليلة من الرجال لم تتحلَ أرواحهم بالوجدانات الإنسانيِّـة السليمة

أيتها الفتاة أيها الشاب هل ظهر الآن أن هذا الماكر لا شأن له بالحرص على الأسرة، ولا بالشفقة عليها، ولا يعنيه كل ما جاء في الفقه من أحكام عن الطلاق، وإنما كان هدفه هو أن يكون الطلاق للمرأة مثلما هو للرجل لا تحتاج فيه للذهاب إلى القاضي، أو أن يكون طلاق الرجل كخلع المرأة لا يتم إلا بأن يذهب الرجل إلى القاضي؟ وهل اتضح الآن أن كل ما يدعيه من احترامه للشريعة هي أكاذيب، لأن هدفه الذي حدده سلفا هو الخروج من أحكام الدين إلى المساواة الحرفية بين الرجل والمرأة، في الخروج واللباس والزواج والطلاق والاختلاط، بلا أي التفات إلى النظام الذي وضعه الإسلام وأحكام شريعته في كل ذلك.

لقد كانت لقاسم غاية واحدة وهو أن يجعل الرجل والمرأة في الطلاق سوءا بسواء على أي وجه، ناقضا وواضعا وراء ظهره كل أحكام الدين والفقه التي يتلاعب فيها و بأدلتها وآياتها وأحاديثها ليفسرها ويفهمها تبعا لهواه.

فهل اتضحت طريقة تفكيره ومنطقه في كل فصول الكتاب، وأنّ ما يؤلفه من حجج واستشهادات وما يستلّه من أقوال العلماء وآراء المذاهب وكل دعاوى الحرص والشفقة على الأسرة أو المرأة ما هي إلا خداع، لأنه لا يريد إلا تبديل النظام الإسلامي الذي شرعه الله للزواج والطلاق وأحكام عمل المرأة وضوابط اختلاطها وحجابها وكل أمر يخصها، فينتقي من الاختلافات الفقهية ما يستطيع منها تركيبها على ما يريد الوصول إليه. فهو يستل من رأي هذا العالم شيئا من كلامه ويستل من هذا العالم شيئا من كلامه ليبرهن على ما يريد ليثبت به نظاما لا يوافقه عليه أي أحد من العلماء الذين انتقى من آرائهم الفقهية، وعلى هذه الطريقة وبهذا الأسلوب يسير تلامذته من الليبراليين والليبراليات حتى اليوم.

إن مثل قاسم أمين كمثل رجل وضع هدفا معينا، ثم ذهب ينظم لهذا الهدف خططا شتى ماكرة وخادعة وشديدة الذكاء يلتف فيها حول هدفه من بعيد، ولا يبالي فيها سوى أن يصل في النهاية إلى هدفه ذاك، ويستغل في ذلك أن الغالبية العظمى من القراء لن يستطيعوا أن يكشفوا تلفيقاته ومغالطاته وخداعه الشديد.

رسالتي إلى الشباب والفتيات:

هذا ما عليه كل الليبراليين؛ يضعون نصب أعينهم هدفا ما ثم بعد ذلك ينسجون ويؤلفون له الحجج والبراهين المدهونة بالكلمات المعسولة والمغمورة بدعاوى الحرص الكاذب على المرأة، والمحاطة بأدلة مغلوطة تُستخدم على الهوى ليخرجوا بذلك كله إلى وضع لا يوافق الإسلام في شيء.

وهذا أيضا هو ما يريدونه عندما يذكرون اختلافات الفقهاء ولو كانت شاذة ومعلولة، وأيضا الأحاديث الضعيفة والمنكرة والآثار الغير ثابتة عن عالم أو صحابي لا يريدون بهذا الوصول إلى الحق، بل يريدون أن يصلوا لمبتغى أهوائهم والتحرر من أحكام الدين وشريعة الإسلام.

فبدلا من تعظيم قاسم أحكام الطلاق وتربية الناس على تعظيمه، يريد أن يسن قوانين تخالف الشريعة وتزيد من استهانة الناس بها، ويزيد من امتهان المرأة، ويجعل الرابط الذي بينها وبين زوجها معلقا بكلمة لا تدري أقالها جادا أم مازحا أم قهرا لها.

إن كل من يطلع على أحكام الطلاق في القرآن من آيات يعلم أن شأن هذا الأمر عظيم جدا عند الله سبحانه، ولقد جعل الله تعالى سورة كاملة باسم الطلاق، وذلك فيه دلالة جلية على عظم هذا الحكم

عند الله تعالى، وقد قال الله عز وجل في أول آيةٍ فيها ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾. فإن أحكام الطلاق من حدود الله، وليس لأحد أن يتكلم فيها بغير علم، زاعما التجديد والتحديث وغير ذلك من دعاوى الكذب والخداع.

وتكفي تلك الآية وما ورد فيها من التفاسير التي ينبغي لكل مسلم أن يتدبرها لكي يعلم شأن الطلاق، ولكي تعلم كل مسلمة ما سنّه الله سبحانه لحفظ كرامتها وشأنها.

يقول الله تعالى في (سورة البقرة :231):

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

فليتأمل كل مسلم ومسلمة قول الله تعالى (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) فهذا ما يجب أن يتربى عليه كل مسلم، ذلك أن اللعب بالطلاق وبالمرأة هو كالاستهزاء بآيات الله، فما بالكم بمن جاء ليجعل الطلاق لا قيمة له مهما تلفظ به الرجل لزوجته، فيجعله ألعوبة على لسان الرجل.

لقد أسرف قاسم من قبل في بيان أن تربية المرأة هي الأساس لنهضة الأمة وحفظ كرامتها ليخادعنا بذلك في سبيل السماح بالاختلاط وترك الحجاب الذي شرعه الله تعالى، وهو هنا يريد أن نترك ما شرعه الله من أحكام الطلاق دون الالتفات إلى وجوب تربية الناس على تعظيم ما شرعه الله كما بين الله في كتابه. فهو حين تعتمد الشريعة على التربية في أمر الطلاق مع حفظ الأحكام التي وضعتها يطلب سن قوانين تبطل تلك الأحكام ولا يلتفت إلى التربية، وحين تضع الشريعة ضوابط للاختلاط وأحكاما للحجاب مع التربية يدعي أن التربية كافية لحفظ المرأة، ويطلب التحلل من ضوابط الاختلاط ورفع أحكام الحجاب!! وهو في كلا الأمرين يريد التحلل من أحكام الدين.

وهكذا هم الليبراليون والليبراليات، هدفهم النهائي هو الخروج عن أحكام الدين كلها وعدم التقيد بها، وكل ما يسوقونه من حجج ودلائل إنما هي وسائل يستعملونها على حسب هواهم، وهم يشكلونها بذكائهم وكلامهم المعسول مع إظهار الشفقة وادّعاء الحرص وما إلى ذلك من أساليب التأثير ليخدعوا بها عقول الناس.

الفصل الثامن

الدين الليبرالي

فالليبرالية لها فكر وأصول تعتمد عليها في تكوين آرائها، ولها رؤية ممنهجة في توجيه حياة الناس وتنظيم جميع العلاقات الدنيوية ابتداء من دستور البلاد إلى الصحة والتعليم إلى الأحوال الشخصية بين الناس وبين الرجال والنساء والأزواج. وأي فكر يحمل كل ذلك فهو عقيدة ودين.

الدين الليبرالي، الذي يعتمد على تحكيم العقل في كل شيء، وفقا لما يناسب العصر من وجهة نظرهم، ولا يَستثني من ذلك شيئا حتى أحكام القرآن وشريعة الإسلام، فما يرونه بعقولهم صالحا يكون من شريعتهم، وما يرونه لا يناسب عصرهم فهم به كافرون، فالليبراليون قد يتركون في الدين ما يرونه صالحا لهم، وينحّون منه ما يرونه غير مناسب للعصر من وجهة نظرهم، ويعدّلُون ما يرون الحاجة إلى تعديله، ويزيدون أو ينقصون ما يرون الحاجة فيه إلى الزيادة أو النقصان، والأمر لا يقف عند تخيل عقل أحدهم المريض للمفاسد والمصالح حسب هواهم، بل إن الأمر يصل إلى درجة أنهم لا يقبلون النص الصحيح الصريح ما دام يظهر لهم أنه يخالف العقل. وكل هذا ضد عقيدة التوحيد وحقيقة الإسلام لرب العالمين، ووجه من أوجه الكفر بألوهية الله تعالى رب العالمين على خلقه، وكل هذا يرفضه العلماء ويرفضه كل مسلم حقيقي مستمسك بدينه يعرف معنى الإسلام لرب العالمين.

فمثلا إذا رأت عقولهم أن خروج المرأة للعمل واختلاطها بالرجال بلا أي تحفظ هو سبيل النهضة ومصلحة الأمة فهذا هو الحكم الشرعي عندهم في دينهم، والمفاسد والمضار على البيت والمجتمع هنا ليست بذي بال، وقول الله تعالى (وقرن في بيوتكن) ليست آية بذات شأن عندهم ولا تهمهم في شيء وليس لها أي اعتبار ويمكن تأويلها. وإذا رأت عقولهم أن التعدد يضر بالمرأة فالحكم الشرعي في دينهم هو منع التعدد، ولا يعنيهم أصلا ما أنزل فيها من آيات صريحة في كتاب الله عز وجل، وهم عندما يتناولون تلك الآيات بالمغالطة في تفسيرها في مقالهم وكتاباتهم فهذا فقط للجدال، لأنك لو أقمت عليهم ألف دليل على أن معنى تلك الآيات هو نص تشريعي يبيح التعدد ولا يشترط سوى العدل فيما يستطيع الرجل العدل فيه، فلن يغير ذلك مما في عقولهم شيئا، والسبب في ذلك أن هناك أمرا آخر في الدين الليبرالي هو أصل في تفكيرهم يريحون بها ضمائرهم وهو أن تغير العصر والزمان وتغير ثقافات الناس يبيح للناس أن يبدّلوا ويختاروا ويلغوا في أحكام الشريعة حسب ما تراه عقولهم وبصائرهم التي لا ترى الحق والباطل إلا مقلوبين.

فدينهم هو التحرر من أحكام الدين بحجة تغير العصر، وأن تلك الأحكام كانت لعصور مضت، وشريعتهم هو ما تهتدي إليه عقولهم، وذلك هو التحرر الذي يريدونه للمرأة، فلا حجاب من أي شكل يلزمها أصلا عندهم وإن اضطروا في بداية ظهورهم في أي مجتمع مسلم ما يزال محافظا على مظاهر الإسلام للاستشهاد بما اختلف فيه العلماء حول حدود عورة المرأة، وكل ذلك لا يكون إلا كخطوة أولى لاستدراج المجتمع، ثم بعد ذلك لا يأبهون بما اختلف فيه العلماء، لأنه لا يكفيهم الحد الأدنى منه وهو كشف الوجه والكفين فقط، ولا يعنيهم عندئذ بالطبع الآيات والأحاديث فكل ذلك في أساس تفكيرهم كانت أحكاما لعصور مضت.

وهذا هو ما يربط الليبراليون بما جاء في القرآن وبما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم لا يتخذون الآيات والأحاديث إلا مطية للوصول إلى أهدافهم وأهوائهم. هم أبدا لا يتحملون الوقوف والثبوت عند حدودها وأوامرها ونواهيها. إن طريقتهم هي البدء من عندها ثم تعديها والزيادة عليها للوصول إلى ما يريدون، وهذا ما يجعلهم أكثر خداعا من العلمانيين؛ فالعلمانية والعلمانيون لا يحبون الاستناد إلى الدين في أقوالهم وأفكارهم؛ لأن بغيتهم هو الفصل التام بين الدين وبين الحياة. أما الليبرالية والليبراليون فهم يربطون أفكارهم بطرف من الدين ثم يزيدون ويعدلون ويغيّرون كيفما يشاؤون.

فالحرية مثلا يستدلون عليها من الدين على أنها أصل من أصوله ثم يتخذون ذلك مطية في الدعوة إلى حرية الفكر الذي لا يحترم عقيدة ولا أحكاما ولا قيما ولا حتى تقديسا لأي دين، ويدعون إلى حرية الفن والإبداع ولو تعدت تلك الحرية إلى العري والإغراء وتهييج الغرائز والشهوات.

والمساواة أصل من أصول دين الإسلام بين الناس جميعا، وبين الرجل والمرأة على العموم إلا ما جعله الله تعالى للرجل في البيت من درجة القوامة؛ لأنه ينبغي أن يكون لكل سفينة قائدٌ، وإزاء تلك القوامة مسؤولية يتحملها الرجل، وقد قسم الله بينهما من المسؤوليات ما يوافق فطرتهما، ولكن الليبراليين يتخذون من تلك المساواة –التي هي أصل في الدين– مطية لإلغاء كل الأحكام المتعلقة بالمرأة وخاصة اختلاطها بالرجال وحجابها، وإلغاء أحكام الطلاق، وإلغاء الولاية، وأيضا إلغاء التعدد للرجل ليتساوى الرجل بالمرأة في هذا الحق لاستحالة مساواة المرأة بالرجل في التعدد.

فقد تراهم يتكلمون عن الحرية من منظور إسلامي، ولكنّهم لا يريدون من ذلك إلا حرية الخروج عن أحكام الإسلام، وتراهم يتكلمون عن المساواة في الإسلام بين الرجل والمرأة، وهم يريدون أصلا تغيير كل ما جاء به الإسلام من نظام فطري يجعل من البيت هو الأولوية الأولى للمرأة، وخروجها استثناء، رعاية لبيتها وأولادها وزوجها، ويتحدثون عن أن الإسلام قد رفع كرامة المرأة وحفظ لها شخصيتها من باب أن تغطية وجهها يحطّ من كرامتها ويضع من شخصيتها، ويتكلمون عن التجديد في الفقه، وما يريدون إلا

تبديل الأحكام الفقهية التي تضيق بها صدورهم إلى أحكام توافق أهوائهم، ويتكلمون عن تجديد الخطاب الديني وما يريدون إلا إسكات الألسن التي تنتقد ضلالهم وأفكارهم المنحرفة.

وملاحظة أخيرة عن تلك الحرية التي يدعون إليها، فهل الحرية فعلا هي ما يدعون إليها؟ وهل فعلا تدل على ما يريدونه في المجتمع؟! إن كل من هو على علم بلغة العرب وما تعنيه كلمة الحرية عندهم يعلم أن حقيقة ما يدعو إليه الليبراليون هو الانحلال وليس الحرية، أو بمعنى آخر أدق (أن يفعل المرء ما يحلو له تماما ما لم يضر غيره ضررا مباشرا) لأن كلمة الحرية تعني في ألزم معانيها عند العرب الترفع عن ما يشين المرء، والالتزام بما يصون العرض والحياء، والغيرة من التعدي عليهما. وليس أدل على ذلك من قول امرأة كانت من ألد أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي هند بنت عتبة حين جاءت تبايعه بعد إسلامها، فكان مما بايعها عليه وأمره الله به كما جاء في كتاب الله عز وجل "**ولا يزنين**" فقالت: **وهل تزني الحرة!!؟** فليتأمل كل مسلم ومسلمة مقولتها تلك لنتعلم معنى كلمة الحرية الحقيقي. وليتأمل أيضا ما تعنيه مقالتنا نحن عندما نصف رجلا بأنه " رجل حر " وما يعنيه هذا الوصف من الأنفة أن يسمح في أهله بالسوء أو بالغيرة أن يرى عليهم ما يشين شرفه ويهتك عرضه.

وإن كانت المرأة الحرة في الجاهلية قد ترفعت عن الزنا وجعلت ذلك من معاني الحرية، فقد جاء الإسلام فجعل مما يشين الحُرّ والحُرّة أن يفعل أمرا يجره هو أو يدعو غيره إلى الزنا من قريب أو بعيد، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (الاسراء:32) فأصبحت الحرية تعني الترفع عن كل معاني الخنا والفواحش من قريب وبعيد. ويكفي أن الله فرض الحجاب على المرأة الحرة ولم يفرضه على الإماء !!، ولذلك فإن كل متبرجة تضع من نفسها، وتنحط بقيمتها إلى مستوى الإماء.

لنتأمل ذلك كله لنعلم أن الحرية في معناها الحقيقي تتبرأ من الليبراليين، وأنهم أبعد الناس عن أن يُوصفوا بأنهم يدعون إليها، وأبعد الناس بعد الإسلام أن يوصف الواحد منهم بأنه رجل حر وامرأة حرة، وكيف يكون حرا من تستعبده شهوته ويستعبده هواه!؟

وباختصار، فإن فكر الليبراليين الحقيقي عن كل أحكام الشرع_ ولو جاءت به نصوص من القرآن والحديث الصحيح _قائم على أن كل أحكام الشرع يحكمها العصر، وقائم على التحرر من الدين والخلق، والمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وأنّه يحق لنا أن نغيّر ونبدل في الأحكام حسب ما يناسب زماننا وعصرنا، وأن التشبث بها هو تخلف ورجعية. وستجد عبارة "**ما يواكب العصر**" دائمة على ألسنتهم لأنها عقدة دينهم.

والسؤال الأول الذي ينبغي أن يسأله كل مسلم لنفسه: **ماذا يبقى من الدين عندئذ إن جعلنا العصر هو أساس التشريع؟**

سيبقى لنا بعض صلوات وصيام وتسبيحات، وهذا ما يريدونه بالضبط ليتفلتوا من كل أحكام الدين التي تضيق صدورهم للالتزام بها.

والسؤال الثاني: **من الذي يحدد ما هو مناسب للعصر عندهم؟**

إنها عقولهم التي تحكمت فيها أهواؤهم.

ومع ذلك كله فهم أحيانا يتشدقون بجمل محفوظة عن حرصهم على الالتزام بالشريعة الإسلامية إن احتاجوا لذلك في بعض المواقف والأحوال، دون أن يبينوا ما هي حقيقة الشريعة في عقولهم وحدودها وثوابتها التي يؤمنون بها؛ لأنهم في الحقيقة وفي داخلهم جميعا يرفضون فكرة أن تكون أحكام الدين غير قابلة للتعديل أو التغيير.

وليس الدين فقط وأحكامه الذي يجعلونهما تحت حكم العقل، بل الأخلاق أيضا والقيم؛ فهم يُحوّلون الأخلاق والقيم إلى وجهة نظر تحت حكم العقل من الاستحسان والاستقباح، وخاصة تلك التي هي من خصائص الأديان السماوية مثل العفاف والحياء، وأخلاق أخرى مثل الرجولة والغيرة، وهم يسعون دائما إلى تغيير مفاهيم الناس ونظرتهم إلى تلك الأخلاق لتناسب ما يريدونه فيهم من التحرر المفتوح والمساواة المطلقة.

والجدير بالذكر أن قيم الإسلام ليست كلها مرفوضة عندهم، بل هناك قيم يأخذونها من الإسلام فيجعلونها في دينهم، فقط لأنها توافق هواهم، وتساعدهم في التعمية على كفرهم، وتحقيق أهدافهم، والمجادلة بها عن أنفسهم لمخادعة الناس، وهم لا يفتأون يستشهدون بتلك القيم ويستندون إليها في البرهنة على بعض أفكارهم، مثل يسر الدين في الأحكام، وسماحة الدين مع أهل الكتاب، وحسن المعايشة والمعاملة معهم ومع غيرهم من الملل الأخرى، ومثل إشاعة السلام في الأرض. ولكي نفهم موضع كُفْرهم ينبغي أن نعرف شيئا عن قيم الإسلام.

فالإسلام يجمع في أغلب الأحوال بين متقابلين متساميين غير متناقضين من القيم:

فهو يجمع بين البر والمعايشة والتسامح مع غير المسلمين ولكن مع الولاء والبراء منهم، وهو دين السلام والرحمة للناس جميعا و دين الجهاد والقوة مع المعتدين، وهو دين اليسر في العبادة ولكن مع التعظيم لها قولا وفعلا، وهو دين العفو والرأفة و دين القصاص والعدل، وهو دين الحكمة والصبر و دين التضحية والفداء، وهو دين التسامح والصفح و دين العزة والحزم.

أما الليبرالي فهو يحب البر والمعايشة مع الملل الأخرى، ويكره الحديث عن الولاء والبراء منهم، لأن ذلك يعني المفاصلة معهم، وعدم تقليدهم في نظام حياتهم، وعدم اتباعهم في أي شيء من عاداتهم، وكل هذا ضد شهوات الليبراليين وأهوائهم، ولذلك فليس أبغض عند الليبرالي من ركن الولاء والبراء، وقد استغل الليبراليون تطرف بعض المسلمين في هذا الركن ليدفعوا العلماء للتوقف عن الحديث عنه.

وهو يريد من الإسلام يُسراً في الأحكام يجعله غير مُلزَم بوجوبها وفعلها بتمامها، ولا يريد تعظيما لشعائر الله لثقلها على نفسه، ولذلك فإن الأمور التعبدية خالية عندهم من التعظيم في قلوبهم، فيعترضون مثلا على تعطيل العمل وإغلاق المحلات وقت الصلاة _بأي حجة من حججهم _مع أنهم في ناحية أخرى قد يطالبون براحة للعامل يستعيد فيها نشاطه أو وجبة غداء له أثناء عمله!!!

وهو يريد من الإسلام رأفة ورحمة يعطّل بها أحكام القصاص، ويلغي بها حد الزنا والرجم، ويكره الحديث عن إقامة الحدود وما شرعه الله من القصاص في القرآن والحديث.

وهو يريد من الإسلام السلام ولا يريد منه الجهاد، لأن غاية الجهاد أن تعلو كلمة الله على كل كلمة، وشرع الله على كل شرع، ولذلك فإن ألدّ أعدائهم إلى أنفسهم المجاهدون؛ لأنهم يسعون إلى إقامة الإسلام في الأرض وإعلاء شرعه.

وباختصار فإنه يريد من الإسلام كل ما يوافق هواه في حب الكافرين والقرب منهم وما يبيح له متابعتهم، ويريد من الإسلام ما يستحل به ترك أحكامه وعدم التقيد بها، ويستبيح به ملذاته وشهواته، وينبذون كل ما يدعوهم لعكس ذلك.

وجدير بالذكر أن الليبراليين ليسو جميعا على درجة واحدة في موقفهم من الدين والشريعة فهم على دركات مثل المنافقين. فمن المنافقين من كان يُظهر صورة الإسلام ويخفي حقيقة الكفر داخله، فيدعي الإسلام وحبه للإسلام، وهو لا يطيق من أحكامه شيئا، ويعادي المسلمين باطنا، ومن المنافقين من كان مذبذبا بين الكفر والإيمان لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء، ينظر لمن تكون الدائرة ليدعي حينها أنه كان منهم، ومن المنافقين من قَبِل الإسلام ولكن ضاق صدره ببعض أحكامه فهو يقبل الإسلام من دونها.

وكذلك هم الليبراليون؛ منهم من يؤمن بالليبرالية إيمانا عقديا فهي دينه وليس للإسلام فيه نصيب إلا الاسم، وهو أعدى عدو لشريعة الإسلام والمسلمين، ومنهم من هو ملتبس بأفكار الليبرالية مع أفكار الإسلام فهو يتذبذب بينهما، ودائما ما يحاول أن يجد بينهما جسرا يجمع ويربط بينهما، مثل من هو مقتنع بالحرية المفتوحة ببعض معانيها الليبرالية لكل الأطراف سواء بسواء مساويا بين من يدعو إلى العفاف وبين من يدعو جهرا إلى الخنا والفواحش والزنا، وإن كان هو ممن يدعو إلى العفاف، ومنهم من

يحمل فكرا وشكلا إسلاميا ولكنه اقتنع ببعض الآراء الليبرالية التي تخالف الإسلام ظنا منه أن تطبيقها يستحيل مع العصر الذي نعيش فيه، مثل حد قطع يد السارق وحد الرجم مثلا، وبعض الدعاة للأسف تحت وطأة ضغط الواقع عليهم والهزيمة النفسية أمام فكر أعدائهم مع ضعف علمهم بعقيدتهم قد أمسوا من الصنفين الأخيرين.

والخلاصة أن الليبرالية دين قائم على أصلين:

أولهما: الحرية المفتوحة –الانحلال– التي لا ضابط لها ولا خلق، والمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة التي لا اعتبارات فيها لفطرة أو أحكام دين، **وثانيهما:** الاعتماد على تحكيم العقل والفكر على كل شيء في الحياة بالاستحسان أو الاستقباح بما في ذلك الدين والأخلاق والقيم.

فالليبرالية لا تُنحّي الدين كالعلمانية، ولكنها أشرٌ منها لأنها تجعل العقل متسلطًا على الدين بالتصحيح والتعديل والقبول والرد، وهي أشد خداعًا منها لأن العقل هو وسيلة الهوى الذي يزيّن لكل نفس باطلها، فتجعل من كل إنسان إلهًا في نفسه لنفسه وتجعل الناس آلهة لبعضهم البعض.

الفصل التاسع

شؤم الليبراليين

نعم هم شؤم على أي بلد يظهرون فيه وينتشرون فيه، فما ظهروا في أي بلد مسلم إلا انقلب حاله بعد حين من الغنى إلى الفقر، ومن العز والمنعة إلى التبعية والذل لأعدائهم.

فنظرة واسعة إلى كل الدول الإسلامية من ساعة ظهور هؤلاء المزيفين فيها ستجد هذه الدول –وإن ضعفت في أواخر عهدها قبل ظهور الليبراليين – أنّها كانت ما تزال على ضعفها غنية عزيزة حتى بدأ هؤلاء في الظهور فيها. وحين ظهروا تصدروا للإصلاح فيها وعلاجها من ضعفها كما فعل قاسم أمين في مصر، وهم لو علموا أولى بالإصلاح والعلاج من غيرهم بما أصابهم من أمراض الفتنة التي أصيبوا بها من الغرب، ومن الأمراض التي أصابتهم في عقيدتهم حين لم يروا في شريعة الله الكفاية لكل عصر ومكان فنشروا أمراضهم تلك في الناس حتى أوبأوا بها البلاد.

وقد يتعجب البعض عندما أقول إنهم شؤمٌ، وأنّ الفقر ملتصق بأقدامهم ويسير في ركابهم وظلهم أينما حلوا وارّتحلوا !!، فما علاقتهم بفقر البلاد وذلها وأسباب فقر تلك البلاد وذلها واضح للعيان في الفساد المستشري بين الناس وفي مؤسسات الدول؟!

وهذا هو بيت القصيد، الفساد، فإن أطروحاتهم كلها تدور حول عدم الالتزام بأحكام الشرع وأنه يَسعنا الخروج عنها، فيهُون بذلك تأثير الدين في أنفس الناس وضمائرهم فلا يعقب ذلك إلا فساد الذمم والأمانات، ومن أهدافهم تهوين شأن علماء الدين في نظر الناس وإبعادهم عن الاستماع لهم؛ فيضعف بذلك تأثير العلماء في إصلاح الناس، ومن أطروحاتهم فتح الحرية لكل شيء بما فيها الحرية للشهوات؛ فتفسد بذلك أخلاق الناس، وتفسد القيم، وينتشر حب الدنيا، وينتشر النفاق وتنتشر الرذائل والفواحش، وكل قبيح مستقبح بين الناس، ثم يعلو في الناس أراذلهم حتى يكون العُهّر والفُجّر هم نجوم المجتمع وصفوته !!.

ومع كل تلك الأسباب لشؤمهم فهم أيضا شؤم في أنفسهم. فلا تبدأ دولة في إتباع آرائهم إلا تحولت عنها كل أسباب الغنى التي كانت تأتيها من عند الله مثل الأرزاق وعوامل التجارة التي لا دخل للإنسان فيها فتتحول بلطف الله عنها، لعل الناس يرجعون إلى خالقهم ويفيقوا من إتباع هؤلاء المزيفين، فإن غَلَبوا على البلاد وزاد اتباع الناس لهم أصابهم الله بفقرٍ أشد من الأول، ثم يضربهم الله بذل أشد من الأول حتى لا يكادوا يرفعون رأسا بين الأمم.

ويا ليتهم شؤم على العباد والبلاد بالفقر والذل من قبل أعدائهم فقط، بل شؤم على حكامهم وعلى الناس بحكامهم أيضا. فنادرا ما تجد دولة إسلامية أصيبت بهم إلا ضاع الحكم ممن كانوا يحكمونها الذين تركوا هؤلاء ليتبوءوا المكانة في المجتمع تحت سلطانهم، ثم يستبدل الله الناس بحكم آخر يكون شديدا بهم ومتجبرا عليهم؛ فيذوقوا الذل على أيدي حكام ممن هم من جلدتهم، فيجتمع عليهم ذل الأعداء وجبروت الحكام، مع فقرهم وفسادهم وأمراض أبدانهم، وذلك جزاء الظالمين الذين يتبعون قول كل مفتون غشاش يدعو إلى الشهوات ويضل عن الحق ويأبى الانصياع لحكم الله وشرعه ويخدع الناس بمعسول الكلام.

خامساً، أخي الشاب وأختي الفتاة:

كما قلت في أول الكتاب؛ إنني لم أكتب هذا الكتاب من أجل نقد قاسم أمين ومعارضة كتابه بكتاب، ولكني كتبته من أجل أمرين اثنين:

أولا: كشف أساليب الليبراليين في هذا العصر في تغيير القناعات وقلب الحقائق بمعسول الكلمات والعبارات، وبالتأثير على المشاعر واللعب عليها، وكشف مكرهم في تغيير أدلة الشرع من القرآن والحديث، وكشف غشهم وخبثهم في اتخاذ الدين حذاء يرتدونه إلى حين يستطيعون خلعه وإلقائه وراءهم.

ثانيا: أن يتتبع كل منكما –أيها الشاب، وأيتها الفتاة– مقالهم ومقالاتهم، وتفطنا لكل كلمة من كلامهم وما يريدونه من وراء الكلمات من أفكار يبتغون بثها في نفوسكم، وأن تفطنا للتدرج الذي يمارسونه في استدراج المجتمع خطوة خطوة لنهاية فاسقة عن الدين والأخلاق والقيم والإسلام كله، وهم يزعمون في بداية أمرهم استنادهم للإسلام غشا منهم وخداعا لكما.

إن ما فعله قاسم أمين ويفعله الليبراليون ليس الدعوة إلى التمسك بأحكام الدين وإصلاح ما هزل في الأمة مما ساء من أحوالها مثل تقديس العمل والمسارعة إلى اغتراف العلم والبحث عنه، وتربية وتعليم المرأة للقيام بواجب بيتها وتربية أبنائها، إنهم يريدون منا التخلي عن أحكام الدين والتخلي عن الحجاب، ويريدون خروج المرأة لتخالط الرجال بلا ضوابط من أجل إفسادها وإفساد المجتمع بها وليس من أجل المشاركة في نهضة الأمة كما يدّعون، وهم في كل ذلك يمنوننا بالرقي والسعادة والحرية والغنى والتقدم، وها هي كثير من البلاد التي استمعت لهم قد أصابها الذل والفقر والشقاء، وهم لا يرجعون عن غبائهم بل يزدادون في فسقهم، ليقولوا أنّ علينا أن نوغل أكثر في الأخذ بأسباب الحضارة التي هي من وجهة نظرهم هو إعطاء المرأة من الحرية أكثر وأكثر لكي نتقدم، والحقيقة أنهم يريدون تحللها أكثر وأكثر من كل أخلاقيات الدين، ويظلّون على ذلك حتى تصبح الفتيات والشباب هائمين على بعضهم مختَلِين ومختلطين وشبه عرايا، وقد أصبحت النساء اليوم في كثير من البلاد الإسلامية تعمل في كل مكتب ومصنع ومؤسسة فما زاد هذا المجتمعات إلا فقرًا والمرأة إلا شقاء وتعاسة حتى فقدت أنوثتها وأمست أغلب النساء فيها لا هي امرأة ولا هي رجل، وذلك لأن الناس لا يعلمون أن الفقر والذل والشقاء يمشي في ركاب الليبراليين، ويتبع آثارَهم وملتصق بكعوبهم، ولكنه يختفي وراءهم ويتخفى وراء ستارٍ من كلمات معسولة من ألسنتهم اللزجة بعبارات تخرج من أفواههم التي تقيئ عسلا مغشوشا يحمل سُما.

أيتها الفتاة: إن ما يأتي به الليبراليون من كلام كمثل قِدْر فيه عسل قد وضعوا لكِ فيه نقاطا من سم زعاف ويريدونك أن تشربي منه، فهل إذا علمتي ذلك ستفعلين؟؟! هذا بالفعل ما ينسجونه لك من كلام جميل عن الحرية والمساواة والعدالة وأهمية خروجك للعمل واختلاطك في كل مكان بالرجال والتخلي عن حجابك للارتقاء بك وبكرامتك، وكل ذلك لن يزيدك إلا قهرا وشقاء ويجعلك عرضة للامتهان والمهانة ثم تصبحين في آخر المطاف شقية مع الرجل فيما كان عليه وحده القيام به، ثم تتحولين كما في الغرب إلى سلعة رخيصة تبحث عمن يخاللها إلى حين.

أيها الشاب وأيتها الفتاة: لا يكن أحدكم ساذجًا خفيف العقل سريع التأثر بحلو الكلمات المنمّقة والعبارات الممنطقة دون أن يستخدم عقله وذاكرته في مراجعة وتحليل كل ما يقول هؤلاء، ودون أن يحفظ أحدكم نفسه من السقوط في براثن كلماتهم الخادعة التي تضرب على المشاعر وتستفزها في اتجاه ما يريدون، فما يقولون إلا زخرفا من القول غرورا، واحذرا أن تسمعا لهم وأن تتبعاهم، فلا يتبعهم إلا من كان في قلبه مرض قد نسيَ الله والدّار الآخرة، فثقلت عليه أحكام الله وأوامره ونواهيه، وتذكرا قول الله تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ،، وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾(الأنعام:112-113)

فهرس الموضوعات

- مقدمة..... 5
- تمهيد 8
- الفصل الأول: فتنة العصر 14
- الفصل الثاني: قاسم وتحرير المرأة 20
- الفصل الثالث: ماذا كان يريد..... 34

- الفصل الرابع: أساليب الخداع؛ **تمهيد** 40
  - ✓ الأسلوب الأول: **التجهيز النفسي** 48
  - ✓ الأسلوب الثاني: **التأثير العاطفي على المرأة**.....63
  - ✓ الأسلوب الثالث: **خدعة التربية**.....74
  - ✓ الأسلوب الرابع: **الإيحاء**.....81
  - ✓ الأسلوب الخامس: **المغالطات والتلفيق**.....88
  - ✓ الأسلوب السادس: **وصم منتقديه وتسفيههم** 102

- الفصل الخامس: **الزواج** في كتاب قاسم أمين.....110
- الفصل السادس: **التعدد** في كتاب قاسم أمين.....119
- الفصل السابع: **الطلاق** في كتاب قاسم أمين.....130

- الفصل الثامن: **الدين الليبرالي** 150
- الفصل التاسع: **شؤم الليبراليين** 156
- الختام..... 158

إنني أعتقد أننا بهذا الأسلوب سنبني درعا متينا تنكسر عليه كل سهام أعداء الله، الذين يريدون تضليلنا عن كتابنا وسنة نبينا، والأهم من ذلك هو الارتقاء بعقل المسلم والمسلمة إلى مدى أبعد من التلقي والتقليد، وإلى مدى يستطيعون به مواجهة أعداء الدين ومواجهة خططهم التي تتطور وتتغير مستخدمين فيها كل العلوم الاجتماعية الحديثة في محاربة هذا الدين الحنيف.